# ** علم الأصوات **

## السنة الأولى

الأستاذ الدكتور حمـ يد النجدي

**بِسْم الله الرحمن الرحيم**

## مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا محمد واله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين الذين ساروا بهديه وكانوا له كظله.

احمده تعالى وأشكره أن منّ عليّ بإنجاز هذه المحاضرات في علم الأصوات ونشأة اللغات وعلم التجويد والتي هي مقررة ضمن المواد الدراسية في الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في كلية اللغة العربية.

أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وان يتقبله بأحسن قبوله وان ينفعني به في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

وأرجو من القارئ الكريم أن يعذرني مما ورد من أخطاء خاصة وأنّ ما في هذه الأوراق كان في الأصل محاضرات صوتية مسجلة لطلبة الجامعة ضمن المناهج الدراسية.

ورغبة من الجامعة وطلابها في الحصول على ملزمة لهذه المادة، فقد تكفل الأستاذ السيد باسم الشهرستاني جزاه الله خيراً عبر استماعه للمحاضرات وتدوينها، فبذل جهداً مباركاً طيباً، وبعون الله تبارك وتعالى قد تم مراجعتها من قبلي حتى أصبحت جاهزة للطبع.

اسأل الله تعالى أن يتقبل ذلك من الجميع وأن ينفع به طلابنا وطالباتنا في هذه الجامعة المباركة.

والله ولي التوفيق

أ. د. حميد النجدي

٢٠١٦/٧/١م

# فهرس


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **المقدمة** | ٧ |
| الصوت لغة واصطلاحاً | ٩ |
| قوانين علم اللغة | ١١ |
| الهدف من دراسة علم اللغة | ١٣ |
| نشأة اللغة | ١٤ |
| النظرية الأولى: الإلهام الإلهي | ١٤ |
| النظرية الثانية: التواضع والاتفاق | ١٦ |
| النظرية الثالثة: الغريزة | ١٧ |
| النظرية الرابعة: المحاكاة | ٢١ |
| المراحل التي اجتازتها اللغة | ٢٣ |
| حياة اللغة | ٣١ |
| أولاً – انتشار اللغة | ٣٢ |
| ثانياً – تفرّع اللغة عن اللغة الأم | ٣٣ |
| ثالثاً – صراع اللهجات | ٣٩ |
| مناهج البحث في علم اللغة | ٤٢ |
| أولاً – طريقة الملاحظة المباشرة | ٤٣ |
| ثانياً – طريقة استعمال الأجهزة | ٥٠ |
| ثالثاً – الطريقة التجريبية | ٥٢ |
| رابعاً – قياس الغابر على الحاضر | ٥٣ |
| خامساً – طريقة الموازنة بين اللغات | ٥٤ |
| سادساً – الطريقة الاستنباطية | ٥٥ |
| تاريخ البحوث اللغوية | ٥٦ |

أولاً – النحو والصرف ..... ٥٦
ثانياً – علوم البلاغة ..... ٥٩
ثالثاً – علم القراءات ..... ٦٠
رابعاً – أدب اللغة وتاريخ اللغة والنقد الأدبي ..... ٦١
خامساً – متن اللغة ..... ٦٢
القسم الأول – معاجم شرح المفردات ..... ٦٢
القسم الثاني – معاجم المفردات الموضوعة لمعاني في أبواب خاصة ٦٣
القسم الثالث – رسائل خاصة في طوائف من الألفاظ والمعاني ..... ٦٤
سادساً – البحوث في علم اللغة ..... ٦٤

**القسم الأول: علم الأصوات** ..... **٧٢**

**الفصل الأول: أعضاء النطق** ..... **٧٢**

**الفصل الثاني: التدرج الصوتي** ..... **٧٧**
أولاً – التدرج الصوتي عند الخليل الفراهيدي ..... ٧٧
ثانياً – التدرج الصوتي عند سيبويه ..... ٧٨

**الفصل الثالث: مخارج الحروف** ..... **٧٩**
١ – مخارج الحروف الحلقية: (ء، هـ، ع، ح، غ، خ) ..... ٨٢
٢ – مخرج حرفي أقصى الحنك: (ق، ك) ..... ٨٧
٣ – مخارج حروف أدنى الحنك: (ج، ش، ي) ..... ٨٩
٤ – مخرج حرف الضاد ..... ٨٩
٥ – مخرج حرف اللام ..... ٩٠
٦ – مخرج حرف النون ..... ٩٠
٧ – مخرج حرف الراء ..... ٩٠
٨ – مخارج الحروف النطعية (ط، د، ت) ..... ٩١
٩ – مخارج الحروف الأسلية (ص، ز، س) ..... ٩١
١٠ – مخارج الحروف اللثوية (ظ، ذ، ث) ..... ٩٢

١١ – مخرج حرف الفاء ..... ٩٢
١٢ – مخارج الحروف الشفوية (ب، م، و) ..... ٩٣
١٣ – مخرج النون الخفيفة (الخفية) ..... ٩٣
**الفصل الرابع: صفات الحروف** ..... **٩٥**
١ و ٢ – الحروف المهموسة والحروف المجهورة ..... ٩٥
٣ و ٤ – الحرف الشديد والحرف الرخو ..... ٩٨
٥ و ٦ – حروف الاطباق والانفتاح ..... ١٠٣
٧ و ٨ – حروف الاستعلاء والانخفاض ..... ١٠٣
٩ و ١٠ – حروف الذلاقة والاصمات ..... ١٠٦
١١ – حروف القلقلة ..... ١٠٩
١٢ – حروف الصفير ..... ١١٠
١٣ – حرفا الانحراف ..... ١١٠
١٤ – حرفا اللين ..... ١١١
١٥ – حرف التكرير ..... ١١١
١٦ – حرف التفشي ..... ١١١
١٧ – حرف الاستطالة ..... ١١١
١٨ – الحرف المهتوت ..... ١١١
١٩ – الحرف الهاوي ..... ١١١
**الفصل الخامس: الحروف والحركة** ..... **١١٢**
المبحث الأول: استدلالات القدامى على أنّ الحركات أبعاض الحروف ..... ١١٣
المبحث الثاني: موقع الحركة من الحرف ..... ١١٩
المبحث الثالث: عدد الحركات ..... ١٢١
المبحث الرابع: مطل (مَدّ) حروف اللين ..... ١٢٣
**الفصل السادس: التعليل الصوتي** ..... **١٢٦**
المبحث الأول: الادغام ..... ١٢٦
المطلب الأول: الادغام الأصغر ..... ١٢٧

المطلب الثاني: الادغام الأكبر ..... ١٢٩
المطلب الثالث: حالات ترك الادغام ..... ١٣٣
المطلب الرابع: وجوب الادغام ..... ١٣٧
المطلب الخامس: جواز الادغام ..... ١٣٨
المطلب السادس: وجوب فك الادغام ..... ١٣٩
المبحث الثاني: الابدال ..... ١٤١
القسم الأول: الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد ..... ١٤١
- ابدال ما بين الهمزة والألف ..... ١٤١
- ابدال ما بين الهمزة والهاء ..... ١٤٥
- ابدال ما بين الهاء والألف ..... ١٥٢
- ابدال ما بين العين والحاء ..... ١٥٤
- ابدال ما بين الغين والخاء ..... ١٥٤
- ابدال ما بين الجيم والياء ..... ١٥٤
- ابدال الجيم شيناً ..... ١٥٩
- ابدال ما بين التاء والدال ..... ١٥٩
- ابدال ما بين الطاء والتاء ..... ١٦٠
- ابدال ما بين السين والصاد والزاي ..... ١٦٠
- ابدال ما بين الذال والثاء ..... ١٦١
- ابدال ما بين الظاء والذال ..... ١٦١

القسم الثاني: الإبدال بين الحروف المتجاورة في المخرج الواحد ..... ١٦٢
- ابدال ما بين العين والهاء ..... ١٦٢
- ابدال ما بين العين والغين ..... ١٦٢
- ابدال ما بين القاف والكاف ..... ١٦٢
- ابدال ما بين الراء واللام ..... ١٦٥
- ابدال ما بين اللام والنون ..... ١٦٦

القسم الثالث: الإبدال بين الحروف المتقاربة المخارج ..... ١٦٧
- ابدال ما بين الثاء والفاء ..... ١٦٧

- ابدال ما بين الكاف والشين ..... ١٦٨
- ابدال ما بين التاء والسين ..... ١٧٣

القسم الرابع: الإبدال بين الحروف المتباعدة المخارج ..... ١٧٤

- ابدال ما بين التاء والهاء ..... ١٧٤
- ابدال ما بين الهمزة والياء ..... ١٧٥
- ابدال ما بين السين والياء ..... ١٧٥
- ابدال ما بين الثاء والياء ..... ١٧٦
- ابدال ما بين الياء والعين ..... ١٧٦

**القسم الثاني: المقاطع الصوتية** ..... **١٧٧**

**الفصل الأول: نسيج الكلمة في اللغة العربية** ..... **١٧٩**

**الفصل الثاني: النبر** ..... ١٨٣

**الفصل الثالث: المماثلة** ..... ١٨٥

أولاً – المجهور والمهموس ..... ١٨٧

ثانياً – انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس ..... ١٨٨

ثالثاً – انتقال مخرج الصوت إلى مخرج آخر ..... ١٨٩

رابعاً – الادغام ..... ١٩٠

- حرف الباء ..... ١٩١
- حرف التاء ..... ١٩١
- حرف الثاء ١٩٣
- حرف الجيم ١٩٣
- حرف الدال ١٩٣
- حرف الذال ١٩٥
- حرف الراء ١٩٦
- حرف السين ١٩٦
- حرف الفاء ١٩٧

- حرف القاف ..... ١٩٧
- حرف الكاف ..... ١٩٧
- حرف اللام ..... ١٩٧

**القسم الثالث: تجويد القرآن الكريم** ..... **٢٠٠**

**الفصل الأول: أحكام النون الساكنة والتنوين** ..... **٢٠١**

الحالة الأولى: الاظهار ..... ٢٠١

الحالة الثانية: الادغام ..... ٢٠٣

الحالة الثالثة: الاقلاب ..... ٢٠٥

الحالة الرابعة: الاخفاء ..... ٢٠٥

**الفصل الثاني: أحكام الميم الساكنة والميم والنون المشدّدتين** ..... **٢١٠**

**الفصل الثالث: أحكام اللام** ..... **٢١٢**

**الفصل الرابع: الادغام** ..... **٢١٥**

**الفصل الخامس: المد والقصر** ..... **٢١٩**

**الفصل السادس: أحكام الراء** ..... **٢٢٥**

**الفصل السابع: أحكام هاء الكناية** ..... **٢٢٨**

**الفصل الثامن: الوقف والابتداء** ..... **٢٣٠**

المبحث الأول: أوجه الوقف ..... ٢٣٢

المبحث الثاني: أقسام الوقف ..... ٢٣٤

المبحث الثالث: علامات الوقف في المصاحف ..... ٢٣٦

المبحث الرابع: الموصول والمقطوع من الكلام ..... ٢٣٧

**الفصل التاسع: أحكام النون الساكنة والمد** ..... **٢٣٩**

المبحث الأول: أحكام النون الساكنة والتنوين ..... ٢٣٩

المبحث الثاني: المد ..... ٢٤١

**الفصل العاشر: حروف القلقلة** ..... **٢٤٣**

**المصادر والمراجع** ..... **٢٤٤**

# مُقَدِّمَة

قبل أن نبتدئ بالحديث عن علم الأصوات والذي يشمل علم التجويد أيضاً، نذكر بعض المصادر التي يمكن للطالب أن يستعين بها وهي: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، وأصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب، الخصائص لابن جني، علم اللغة للدكتور عبد الواحد وافي، وعلم اللغة للدكتور محمد السعران.

وسيشتمل البحث على قسمين: الأول: علم الأصوات الذي هو جزء من علم اللغة، والقسم الثاني: علم التجويد.

للغة نشأتان: الأولى نشأة اللغة للبشرية بشكل عام، والثانية نشأة اللغة بالنسبة للطفل، أي كيف تنشأ الأصوات عند الطفل.

ويهمنا الآن أن نعرف كيف نشأت اللغة وما هي التعبيرات التي يستعملها الإنسان في حياته، هناك عدة طرق يعبّر بها الإنسان عن مدركاته الحسية وهناك انفعالات أيضاً يريد أن يعبّر عنها.

حصر علماء اللغة التعبير عند الإنسان بطريقين: الأول هو الطريق الطبيعي الذي يعبّر به الإنسان عن انفعالاته ومدركاته. والطريق الثاني هو الوضعي الإرادي. هذان الطريقان هما الطريقان الرئيسيان اللذان يجمعان أغلب الطرق التي يعبّر بها الإنسان عن انفعالاته وعن مدركاته وعما يجول في خاطره ويريد أن يوصله إلى الآخرين.

الطريق الأول – التعبير الطبيعي: هذا الطريق لا إرادياً، أي يعبّر عنه الإنسان بطريقة فطرية، وليس من الممكن تسميته لغة لأنه لا يشتمل على أصوات ذات مقاطع تتألف منها كلمات أو جمل، وإنما هذا الطريق الطبيعي يشتمل على انفعالات لا إرادية يعبّر بها الإنسان، ومثال ذلك الإنسان عندما يصاب بالخجل يحمّر وجهه، أو عندما يشعر بالسرور فتنبسط حدقة العين، وفي حالة الفرح تنبسط أساريره، وفي حالة الحزن ينقبض وجهه، فهذه المجموعة من التعبيرات هي انفعالية لا ارادية يعبّر بها الإنسان ولكن بطريق فطري ولا إرادي.

وهذه التعبيرات تنقسم إلى قسمين، وهذا التقسيم تم بناء على طبيعة الاستلام، أي كيف نستلم هذه التعبيرات الطبيعية من صاحبها ؟

مرةً نستلمها عن طريق حاسة البصر فتسمى «تعبيرات طبيعية بصرية»، فنحن ننظر إلى الخجول الذي يحمّر وجهه، والشخص المسرور بانبساط أساريره، فهذه التعبيرات نراها عن طريق العين أي بالنظر.

وأحياناً يصرخ الإنسان في حالة الألم أو الخوف أو يتأوّه من الألم أو يبكي أو يضحك فهذا التعبير ليس ذا مقاطع أو ذا أصوات مقطعية تتألف من الكلمات، وهذا التعبير نستلمه عن طريق السمع فنسميه «التعبيرات الطبيعية السمعية».

الطريق الثاني – التعبير الوضعي: وهو تعبير إرادي، وهو المهم في دراستنا لعلم الأصوات، وهذا التعبير يشتمل أيضاً على عدة أقسام، وهذا التعبير يكون بارادة الإنسان بينه وبين أبناء مجتمعه الذي يعيش فيه. حيث أنه يصطلح على أمور معينة وهذه الأمور ترمز بالصوت أو بالصورة إلى قضايا معينة إما بالكتابة أو بالإشارة ولكن بطريقة إرادية، وهذه أيضاً تنقسم إلى قسمين: التعبيرات الإرادية البصرية والتعبيرات الإرادية السمعية.

أولاً – التعبيرات الارادية البصرية: هي تعبير ولكن ليس عن انفعال لا إرادي، وإنما هو تعبير إرادي، كالصيادين في البحار بينهم إشارات معينة فيفهم الطرف الآخر ما يريد باشارته أو كشرطي المرور عند سياقتك للسيارة فعندما يشير بيده فأنت تقف أو تستدير حسب نوع الاشارة التي أشار بها شرطي المرور. وهذه التعبيرات البصرية وهي الاشارات تنقسم بدورها إلى قسمين وهي:

أ– إشارات مساعدة ونائبة: فعندما يتكلم الإنسان يشير بيديه وعندما يقول: لا، فيشير أيضاً بسبابته فيعبّر بيده فهذه تسمى إشارة بصرية مساعدة للغة وليست هي الاشارة الأصلية كما أنها ليست لغة كاملة. وتستعمل هذه الإشارات أيضاً في بعض الديانات التي يكون الصوم فيها عن الكلام. وكذلك في بعض المناطق التي تكون اللغة فيها بسيطة جداً فيحتاجون إلى استعمال الاشارات كالهنود الحمر في أمريكا الشمالية وبعض القبائل في جنوب أفريقيا وكذلك في استراليا.

ب- الاشارات الأصلية العامة أو الاشارات التحليلية: وهي أيضاً نستلمها عن طريق البصر ولكنها إشارات أصليّة بمعنى أنها لا تنوب عن قول كهز الرأس علامة النفي، ففي بعض القبائل البدائية كانت تستعمل الاشارات كلغة عامة وأصيلة في جميع تعبيراتهم. وقد أجرى علماء اللغة تجربة فطلبوا من أبكم وأخرس في أن يكلّم بعض القبائل البدائية التي تستعمل لغة الإشارة ويقص عليهم حادثة سرقة وفعلاً قام بذلك، وقد فهم الحاضرين من القبيلة جميع ما قاله وسألوه فأجابهم بالاشارة. فهذه اللغة هي إشارات تحليلية إرادية، فيعبّر بها الإنسان بشكل إرادي.

ثانياً – التعبيرات الإرادية السمعية: وهي مورد بحثنا وما أردنا أن نصل إليه، وهو موضع دراستنا في علم اللغة وعلم الأصوات، أي أنّه يصدر أصواتاً مؤلفة من مقاطع وهذه المقاطع تؤلف الكلمات وهذه الكلمات تؤلف الجمل ومجموع هذه الأمور نسميها «اللغة» وهذا هو التعريف الجامع والكامل للغة. فاللغة هي الأصوات المركبة ذات المقاطع التي تتألف منها الكلمات والجمل. وهذه الأصوات تصدر بطريقة ارادية وأنّها تعبّر عن معاني تجول في خاطر الإنسان وتعبّر عن مدركاته – سواءاً كانت عقلية أو حسية – أو عن انفعالاته، ويتمكن الإنسان أن يعبّر بهذه الأصوات ذات المقاطع سواء في حالة الانفعال أو حالة عدم الانفعال.

إنّ ابن جنّي والذي هو من كبار علماء اللغة ويُعتبر كتابه «الخصائص» من أهم الكتب التي كتبت في هذا المجال، فهو يعرّف اللغة بأنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم.

**الصوت لغة واصطلاحاً**

وما دمنا قد عرجنا على اللغة فيجب معرفة ما هو الصوت ؟

الصوت لغةً: «الجَرْسُ، والجمع أصوات. وقد صات يصوت ويصات صوتاً وأصات وصوت به، كله: نادى. ويقال: صوت يصوت تصويتاً، فهو مصوت، وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه. ويقال صات يصوت صوتاً فهو صائت معناه صائح. ابن السكيت: الصوت صوت الإنسان وغيره. والصائت: الصائح .... – إلى أن يقول – وفي الحديث أنهم كانوا يكرهون

الصوت عند القتال، وهو أن ينادي بعضهم بعضاً، أو يفعل أحدهم فعلاً له أثر فيصيح ويعرف بنفسه على طريق الفخر والعجب .

وفي الحديث كان العباس رجلاً صيتاً أي شديد الصوت عاليه، يقال هو صيت وصائت كميت ومائت، وأصله الواو، وبناؤه فيعل فقلب وأدغم، ورجل صيت وصات وحمار صات: شديد الصوت .... – ثم يقول – وكل ضرب من الغناء صوت، والجمع الأصوات. وقوله عز وجل: ﴿ **وَاستَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ** ﴾[1] قيل بأصوات الغناء والمزامير ... – إلى أن يقول – والصيت: الذكر، يقال: ذهب صيته في الناس أي ذكره. والصيت والصات: الذكر الحسن الجوهري: الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح. يقال: ذهب صيته في الناس، وأصله في الواو وإنما انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، كما قالوا: ريح، من الروح كأنهم بنوه على فعل بكسر الفاء للفرق بين الصوت المسموع وبين الذكر المعلوم، وربما قالوا: انتشر صوته في الناس بمعنى الصيت»[2].

والصوت اصطلاحاً: «عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم، والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جَرْساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه أو متجاوزاً له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى الأول وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين»[3].

إنّ الله تبارك وتعالى اختص الإنسان بالأجهزة اللغوية أي الأجهزة التي يصدر منها الصوت، وكذلك الأجهزة التي يحفظ فيها الكلمات ويستذكر فيها الكلمات ويعيدها لكي ينطق بها مرة أخرى، فهذه الأجهزة الصوتية سنمرّ عليها لاحقاً.

---

(١) الإسراء، ٦٤.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٢/ ص ٥٧ – ٥٨، مادة «صوت».

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الاعراب، تحقيق حسن الهنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق ١٩٩٣، ص ٦.

## قوانين علم اللغة

القوانين: هي الأصول العامة التي تبيّن ارتباط الأسباب بمسبّباتها والمقدمات بنتائجها، فالعام منسكيو يعرّف القوانين بأنها «العلاقات الضرورية التي تنشأ من طبيعة الأشياء».

إذن فهناك علاقة بين العلّة والمعلول، وبتعبير آخر العلاقة بين المقدمة والنتيجة أو بين المسبّب والأسباب، وهذه العلاقة هي التي تطلق عليها كلمة القوانين، فهي الأصول والقواعد التي تحكم كثيراً من الأشياء في هذا الكون، فهناك قوانين في الفلك والفيزياء والكيمياء وباقي مختلف أنواع العلوم. ولكن هل اللغة تحكمها قوانين أيضاً ؟ أو هل هذه القوانين مشابهة ومشاكلة للقوانين الطبيعية ؟

من الطبيعي أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فهناك سنن اجتماعية تتحكم في عالم الاجتماع وبما أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وهي قضية ضرورية للإنسان لغرض التفاهم والتعبير عما يجول في خاطره وعما يدركه من مدركات حسية ومعنوية لكي يوصلها للآخرين. ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبيعته فحينئذ لابد من وجود وسيلة يعبّر بها للآخرين الذين يعيشون معه، فمن هذا الجو الاجتماعي نشأت اللغة.

فهل هناك قوانين تحكم نشأة اللغة وتحكم تطور اللغة والتغيّر الطارئ على اللغة في شتى جوانبها سواء الأصوات في القواعد النحوية والصرف والأدبيات وفي انتشار اللغة بين الأوساط الاجتماعية وبين الدول، لماذا تسود هذه اللغة في المجتمعات وتنحسر تلك اللغة في محيطها فقط ؟ ولماذا تندثر هذه اللغة ؟ وكيف تولد هذه اللغة وتنشأ ثم تنضج ثم تندثر ؟ فما هي العوامل التي تتحكم بهذه القضايا ؟

هذه الأمور كلها تُعرف بقوانين اللغة، وعلم الأصوات كذلك له قوانين تتحكم به، والقوانين هي التي تتحكم بعلم اللغة بشكل عام، هناك قوانين عامة تشمل جميع اللغات ولا تنحصر بلغة معينة، وهناك قوانين تختص بلغة معينة، وعادة القوانين التي تتحكم باللغة تنقسم إلى قوانين تحكم عالم الدلالات وقوانين تحكم عالم الأصوات، وهناك قوانين تتحكم بوظائف اللغة وهناك قوانين تتحكم بحياة اللغة.

فالسائد في أذهان اللغويين أنّ اللغة تُولد كما يولد الطفل وتنشأ وتنضج إلى أن تصل إلى أوجها ثم بعد ذلك ونتيجة للظروف الطارئة التي لا يمكن لفرد أو مجتمع التحكم بها، وإنما هناك قوانين صارمة تحكم اللغة وتحكم عليها بالاندثار وهذه القوانين الصارمة هي التي يراد بها من قوانين اللغة ولها علم خاص.

الذي يهمنا هنا لابد أن نشير إلى قضية معينة، حيث أنّ كثيراً من اللغات نشأت في المجتمعات الإنسانية ثم بادت واندثرت، فنشوؤها لعوامل وقوانين وكذلك اندثارها تابع لعوامل وقوانين، ولكن لا توجد لغة من اللغات ثبتت لعدة قرون ولم تتغير أو تتبدل، وهذا قانون يحكم هذه الظاهرة الاجتماعية.

إلا أنّ هناك قضية خارقة في هذا المجال نشير إليها وهي أنّه لماذا بقيت اللغة العربية دون غيرها كل هذه القرون المتطاولة لم تتغير ؟ علماً أنّه لو فتشنا جميع اللغات لم نجد لغة واحدة – عدا اللغة العربية طبعاً – ثبتت على قوانينها وعلى أصواتها ومداليلها ووظائفها اللغوية.

الجواب: إنّ اللغة العربية لها عوامل ساعدت في حفظها وهذه العوامل جاءت من الخارج وضغطت على هذه القوانين وخرقتها، والسبب في ذلك أن العربية هي لغة القرآن الكريم، وهذا القرآن أريد له البقاء محفوظاً من الله تعالى قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[1]، فلابد أن تحفظ اللغة التي نزل بها، وبناء على ذلك حفظت اللغة لحفظ القرآن الكريم، فنجد أن اللغويين المسلمين تخصصوا في مختلف جوانب اللغة العربية وساعدوا في حفظ هذه اللغة.

إلا أن القانون العام لكل لغة هي أن تولد ثم تنضج ثم تبدأ بالاندثار، فالمجتمع عندما يخترع لفظاً من الألفاظ وينزل ذلك اللفظ بالتداول بين الناس لا يمتلك المجتمع أو الفرد الحفاظ على ذلك اللفظ، أي أنّه ليس له القدرة على التحكم بذلك اللفظ لأن القوانين اللغوية تتحكم بهذا اللفظ فتصرفه بمختلف أنواع التصريفات أو تعطيه مختلف أنواع الدلالات، فمثلاً هناك ألفاظ منقولة وضعت لمجتمع معين ولكن حدثت أمور وعوامل كثيرة قد تكون سياسية أو دينية أو

---

(١) الحجر، ٩.

جغرافية غيّرت هذا اللفظ ونقلته في مدلوله إلى معنى آخر وهجر المعنى القديم، فهذه القوانين لا يتحكم بها الفرد ولا المجتمع.

إلا أنّ هذه القوانين تختلف، ففي علم الأصوات باعتباره يتعلق بقضية طبيعية في جسم الإنسان كالشفتين والحنجرة والأوتار الصوتية والحلق واللسان وغيرها، فهذه الأمور باعتبارها قضية طبيعية فتكون القوانين التي تحكم علم الأصوات أكثر وضوحاً ودراستها تكون بشكل أدق ونتائجها تكون أوضح من الظواهر اللغوية في قضية دلالة الألفاظ على المعاني، لأن دلالة الألفاظ على المعاني تحكمها قضايا اجتماعية ولا تتدخل فيها قضايا طبيعية إلا بشكل نادر. فعندما ننظر إلى مجتمع معين من قومية معينة يتحدثون بلغة معينة قبل مائتي أو ثلاثمائة عام وننظر لها الآن نجد أن هناك تفاوتاً كبيراً في الأسلوب والدلالات والألفاظ.

فلو سألنا ما هو سبب هذا التفاوت بين المجتمع الذي ينطق الآن والمجتمع الذي كان ينطق قديماً ؟ فقد تبقى بعض الأصول من تلك اللغة ولكن تندثر أغلب المداليل والألفاظ وهذا ما يوعز إليه سبب في حدوث اللهجات العامية، فهذا ليس خاضعاً للإنسان أو المجتمع وإنما خاضع لتلك القوانين.

لو أخذنا اللغة اللاتينية مثلاً التي هي أصل لكثير من اللغات الأوروبية وخصوصاً اللغة الإنكليزية، فيكاد الإنكليزي الآن لا يفهم تلك اللغة اللاتينية فقد استحدثت كلمات كثيرة نتيجة للاختراعات والثورة الصناعية.

## الهدف من دراسة علم اللغة

هناك أيضاً موضوع آخر يأتي بالترتيب بعد قوانين اللغة وهو الهدف من دراسة هذا العلم، فلماذا ندرس هذا العلم ؟

الهدف من دراسة هذا العلم أننا نريد أن نكتشف أولاً الظواهر اللغوية والأسباب والنتائج والعوامل التي تؤثر في اللغة، ومن خلال هذه الدراسة نحاول أن نكتشف الأساليب الأسرع والأنجع والأفضل في تدريس اللغة وفهمها وتعليمها للصغار والكبار ولغير الناطقين بها. فهناك مشكلات في اللغة كيف نعالجها ؟

فهناك مشكلات في اللغة، في الصوت، في المدلول، في البلاغة، في البيان، في النحو، والقواعد النحوية فهذه المشكلات التي لا تخلو لغة من اللغات إلا وتوجد فيها مثل هذه المشكلات فكيف نعالجها ؟

إنّ كل هذه الأمور تدعونا أن ندرس اللغة كي نتجنب حدوث تلك المشكلات ونبحث عن أسلم الطرق وأسلم الأساليب لتعليم هذه اللغة سواء في الصوت أو في القواعد أو في الكتابة أو في مختلف شؤون هذه اللغة. إذاً هذا هو الهدف من دراسة علم اللغة.

**نشأة اللغة**

نتحدث الآن عن كيفية نشوء الكلمات ولماذا سُلك هذا الأسلوب في الكلام دون غيره؟ وهل هناك أسباب وعوامل أدت إلى أن يسلك الإنسان هذا الأسلوب دون غيره ؟

إننا لا نبحث عن قدرة الإنسان على النطق لأن هذه القضية الله تعالى قد زوّد الإنسان بها وجعلها آية من آياته وزوّده بأجهزة تؤدي بها هذه اللغة. وإنما نبحث عن نشوء هذه اللغة، وهناك عدة نظريات تمّ طرحها سواء من العرب المسلمين وغير المسلمين أو من الأوروبيين أو من غيرهم ومن العصور القديمة والعصور الوسطى ومن المحدثين. وهذه النظريات التي طُرحت ونوقشت وانتُقدت تنحصر في أربع نظريات:

النظرية الأولى: تقول بأن اللغة هي عبارة عن إلهام إلهي، وهنا لابد أن نفرّق بين أنّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ومكّنه بهذه الأجهزة على النطق وإمكانية التعبير، وبين أنّ اللغة إلهام إلهي بمعنى أن الله تعالى علّم الكلمات اللغوية الأولى للإنسان.

هذه النظرية تقول إنّ الله تعالى هو الذي علّم الإنسان الكلمات الأولى التي نطق بها، لا أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية ظهرت بشكل تدريجي وأنّ الإنسان لعوامل أخرى نطق بهذه الكلمات. وهذه النظرية يذهب إليها قسم من المسلمين وغير المسلمين، وكل يستند إلى نصوص إمّا من القرآن الكريم أو من الكتب السماوية الأخرى لإثبات هذه النظرية. فمن الذين ذهبوا إلى هذه النظرية من غير المسلمين كالعالم اليوناني هركليت، ودوفلان في كتابه «التشريع القديم»، ومن المسلمين ابن فارس في كتابه «الصاحب» والإبلامي في كتابه «الكلام». فهؤلاء كلّهم ذهبوا إلى أنّ اللغة بدأت بإلهام إلهي.

هناك نصوص من القرآن الكريم ومن الكتب السماوية يستدل بها هؤلاء على أن اللغة إلهام إلهي، فمن غير المسلمين استدلوا فيما جاء في التوراة ما نصّه: «والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع حيوانات السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسمّيها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»[1]. هذا النص من بعض الكتب السماوية – طبعاً على خلاف بأنها محرفة أو لا –.

وبعض علماء المسلمين ومنهم الصاحبي الذي يذكر بأنه يستند إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُم صَادِقِينَ** ﴾[2].

طبعاً أصحاب هذه النظرية لا يمتلكون دليلاً عقلياً ولا أثرياً على صحة هذه النظرية، بل يستشهدون بهذا الدليل النقلي، وهذا الدليل كما هو واضح من دراسته ليس قطعياً في هذا المعنى، فيحتمل أن يكون التعليم الأول للكلمات من قبل الله تعالى بشكل مباشر ويحتمل أن تكون هذه الكلمات أنّ الله تعالى مكّن الإنسان من النطق ثم بدأ الإنسان ينطق كما ذكرنا في القوانين التي تتحكم في المجتمع وتسبب في اختيار هذا الأسلوب دون غيره لا أنّ الله تعالى ألجأه إلى كلمات معينة.

ثم إنّ الآية الكريمة ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاء كُلَّهَا** ﴾ فما المقصود بالأسماء ؟ هل هي أسماء الأشياء أم أسماء أخرى ؟

إنّ هناك مَن يذهب إلى أنّ هذه الأسماء ليس المقصود بها أسماء الأشياء، وإنما هي أسماء لأشياء عاقلة، ويستدل بذلك بقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلاَئِكَةِ** ﴾، فالضمير «هم» يعود على شخوصات عاقلة، ولو كانت أسماء لأشياء غير عاقلة لقال سبحانه وتعالى «ثم عرضها على الملائكة» فهذا التفاوت بين الضميرين ليس المقصود به هذه الأشياء كالبحر والجبل وما شاكل ذلك.

---

(١) سفر التكوين، الفقرة ١٩ و٢٠ من الاصحاح الثاني.

(٢) البقرة، ٣١.

وهكذا بالنسبة للنص في سفر التكوين «عرض على آدم كيف يسمّيها» أي أنّ آم هو الذي يُسمّي الأشياء لا أنّ الله تعالى علّم آدم الأسماء بشكل مباشر فهذا الدليل كما يقول الدكتور الوافي في كتابه «علم اللغة» دليل عليهم وليس لهم فقد نسب الفعل للتسمية إلى آدم ولم ينسبه إليه سبحانه وتعالى. وعليه فهذه النظرية لا تحل المشكلة وتغفل المشكلة الرئيسية التي تحدثنا عنها وهي تفسير الكيفية التي سلكها الإنسان في اللغة ولا تعطينا دليلاً كافياً في هذا المجال ولذلك لا يمكن الأخذ بها.

النظرية الثانية: وهي نظرية التواضع والاتفاق، وقد ذهب إليها كثير من فلاسفة المسلمين وغير المسلمين، منهم من العصور القديمة مثل ديمكليت من القرن الخامس قبل الميلاد، ومنهم الفيلسوف الانكليزي آدم سميث، وكذلك من علماء المسلمين العرب قد ذهبوا إلى النظرية التواضع والاتفاق، أي إنّ الناس في بدء أمرهم اجتمعوا واصطلحوا وتوافقوا على تسمية الأشياء.

وهذه النظرية لا تصمد أمام النقاش العلمي ولا يمكن الأخذ بها لأنها أيضاً تفتقر إلى الدليل، وثانياً الظاهرة الاجتماعية، وثالثاً أنّه يلزم الدور هنا، لأنّه عند التواضع والاتفاق بأي لغة تفاهم هؤلاء ؟ فلابد من وجود لغة ليتفقوا على تسمية الأشياء فيلزم أن تسبق هذه التسميات التي يريدون أن يضعوها لغة سابقة ونتساءل عن اللغة السابقة كيف وُضعت ؟

وهذه النظرية تفتقر إلى الدليل العقلي والنقلي والتاريخي، «وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة. قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله. بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه كالفاني وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد ... فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه وقالوا: إنسان إنسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا: يد عين رأس قدم أو نحو ذلك. فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيُّها وهلم جرا فيما سوى

هذا من الأسماء والأفعال والحروف. ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها فتقول: الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه «مرد» والذي اسمه رأس فليجعل مكانه «سر» فتتكون اللغة الفارسية وعلى هذا بقية الكلام»[1].

وهذه النظرية من الأساس تفتقر إلى الدليل النقلي، كما أنه لا دلالة من آثار اللغة ودلالاتها، ومن آثار اللغات البدائية ونشوئها بين القبائل التي لازالت موجودة الآن فكل هذه الأمور لا تدلل على هذه النظرية ولا تدعمها، وقد انتقدت انتقاداً كبيراً من قبل العلماء لأنه يستلزم منها الدور. ولذلك لا يمكن الأخذ بها لكل هذه الأسباب.

النظرية الثالثة: وهي نظرية الغريزة، وهذه النظرية تقول بأنّ النوع الإنساني زوّد بغريزة تحمل الإنسان لأن يضع لكل شيء من الأشياء لفظاً يدل عليه كما أنّ الإنسان زوّد بانفعالات لا ارادية وبحركات وبأشياء لا ارادية يعبّر بها فطرياً عن كثير من المدركات الحسية وهذه الانفعالات اللاارادية تعبر عن معاني في حركة الإنسان وسلوكه.

يقول أصحاب هذه النظرية إنّ هذه الغريزة التي زُوّد بها الإنسان في بدء حياته على هذه الأرض حمل الإنسان على الكلام وعلى النطق بكلمات معينة لكل مسمى، ودليلهم في ذلك يقولون الإنسان في المجتمعات البدائية وكذلك الإنسان في الوقت الحاضر يعبّر عن كثير من انفعالاته بطريقة فطرية لا ارادية غريزية فهي مغروزة في ذاته فهو عندما يُسر تنبسط أساريره وعندما يحزن تنقبض أساريره وعندما يخجل يحمر أو يصفر لونه فهذه التعبيرات هي غريزية ولا ارادية وفطرية. واللغة تعبير كظاهرة اجتماعية فكذلك هناك في الإنسان غريزة تدفع الإنسان للتعبير. هذه الغريزة الله تعالى جعلها في الإنسان تدفع الإنسان وتحمله أن يعبّر عن كل شيء باسم معين وبلفظة معينة وبكلمة معينة وهذه الغريزة موجودة في كل النوع الإنساني ولكن بمرور القرون إنّ هذه الغريزة بعد أن أسست البدايات الأولى للغة الإنسانية بعد ذلك أهملت ولم تستعمل ونتيجة للإهمال سُلبت هذه الغريزة، وكأن الإنسان خُلق بهذه الغريزة ثم سُلبت منه أو ضعف استعمالها ولم يعد يحتاجها كما احتاجها من قبل.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢، ج١/ ص ٤٤ – ٤٥.

هذه أصل فكرة هذه النظرية وأيضاً دليلهم على صحّة هذه النظرية يقولون: «أنّ اللغات البدائية في المجتماعات البدائية الأولى نجد أنّ مفردات تلك اللغات متشابهة الأصوات ويُعزونه إلى وجود عامل واحد وهو طريقة التعبير الأولى أو الغريزة التي حملت الانسانية الأولى على استعمال تلك الأصوات، فيردون التشابه في المفردات إلى هذا العامل فيقولون لذلك نجد وجود التشابه في مفردات تلك اللغات وفي أصوات تلك اللغات فهذا دليل على وجود عامل واحد في إحداث هذه اللغة وفي نشأتها.

العالم اللغوي الألماني ماكس ميلر[١]، والعالم الثاني الفرنسي رينان[٢]، وهما قد ذهبا إلى هذه النظرية، فأصحاب هذه النظرية يقولون بأن الإنسان كما يمتلك القوة الفطرية بالتعبير عن بعض الأشياء في حالة الخوف أو الحزن أو السرور فتجده يضحك أو يبكي أو يصرخ فهذه تعبيرات ويفهمها جميع الناس، فالناس يشتركون في هذه التعبيرات بمختلف القوميات وبمختلف النشئات.

وبما أنّ الغريزة الأولى التي زُوّد بها الإنسان أيضاً غريزة تدفع الإنسان وتحمله على أن ينطق ببعض الكلمات، فأصحاب هذه النظرية قالوا بما أن التعبيرات النظرية الأولى تشترك عند الإنسانية ولجميع أفراد النوع الإنساني كذلك اللغة الأولى بما أن الغريزة هي التي تدفع الإنسان بوضع تلك الكلمات فإذن لابد أن تكون تلك الكلمات أيضاً متقاربة في مفرداتها وفي أصواتها.

---

**(١) ولد هذا العالم في مدينة ديسو الألمانية سنة ١٨٢٣م وتوفي في أوكسفورد الانكليزية سنة ١٩٠٠م، له مؤلفات وبحوث لغوية مهمة منها دراسته للغات الهندية والأوروبية. تخرج من جامعتي ليبز وبرلين ثم رحل إلى باريس حيث حظر دروس الأستاذ برنوف في اللغة السينسكريتية ثم ذهب إلى انكلترا واستقر في أكسفورد وعُين أستاذاً في الآداب واللغات في جامعة أكسفورد. وكان أشهر أستاذ في القواعد المقارنة ومن أشهر مؤلفاته «دروس في غلم اللغة» الذي نشر عام ١٨٦١م و«دروس حديثة في علم اللغة» والذي نشر عام ١٨٦٤م وكان لهذين الكتابين أكبر الأثر في الثقافة اللغوية في ذلك العصر.**

**(٢) ولد في مدينة تريجيه الفرنسية عام ١٨٢٣م وتوفي في باريس عام ١٨٩٠م، ودرس هذا العالم اللاهوت واللغات الشرقية ودرّس اللاهوت واللغة العبرية والتاريخ والفلسفة بالأكاديمية الفرنسية وعيّن مديراً للكلية في دوفرنس، له نحو من خمسين مؤلفاً في مختلف العلوم وأكبر الآثار العلمية له كانت في علم اللغة، لذلك كان له مع موكس ميلر تأثير كبير في الثقافة اللغوية في ذلك القرن.**

عمد موكس ميلر إلى دراسة مفردات وأصول اللغات الهندية الأوروبية وأرجع جميع تلك المفردات إلى خمسمائة أصل وقال: إنّ اللغات الهندية الأوروبية ترجع في الأصل والأصل الأصيل إلى ٥٠٠ معنى وهذه المعاني معاني كلية للأشياء، وأرجع تلك المعاني – وهذه نقطة مهمة لأننا سنحتاج إليها في قضية النقاش – والأصول اللغوية والمفردات إلى معانٍ كلية، أي ليس إلى معاني بدائية جزئية وهذا من الأخطاء التي تؤاخذ بها هذه النظرية. وتبيّن له حسب دراسته من تحليل هذه المفردات أنّها هي الأصول العامة التي تكوّن البدايات الأولى للغات. وهؤلاء العلماء ينتقدون نظرية الالهام الإلهي ونظرية التواضع والاتفاق وينفون هاتين النظريتين باثبات هذه النظرية.

وقد وجّه إلى نظرية الغريزة الانتقاد بعدة ردود ينقضون فيها استدلالات هؤلاء على ما يذهبون إليه، وهذه الردود هي:

الرد الأول: يقولون إنّكم وضعتم مشكلةً بدل مشكلة إنّنا أردنا أن تبيّنوا لنا كيف وُضعت اللغة الأولى وكيف سلك الإنسان سلوكاً معيناً في استثمار القدرات والطاقات اللغوية والأجهزة التي زوّده الله تعالى بها، كيف استعمل الإنسان هذه الأجهزة ؟ أنتم لم تحلّوا المشكلة إنما جئتم بمشكلة غريزة الكلام ووضعتموها بدل مشكلة أخرى وهي تفسير سلوك الإنسان في وضع اللغة الأولى، فلم تفسّروا لنا هذه القضية.

الرد الثاني: قالوا بأنكم قمتم بتفسير الشيء بنفسه «إنّ الإنسان قد لفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع ودلالات مقصودة لأنّه كانت لديه القدرة على هذا النوع من الأصوات، وهذا مجرد تقرير للمشكلة نفسها بصيغة أخرى».

الرد الثالث: إنّ هذه النظرية تتحدث عن وجود الأجهزة في الإنسان التي تمكّن الإنسان من النطق وهذا لا أحد يختلف فيه من علماء اللغة، ولكن الكلام هو الطريقة التي سلكها الإنسان في استعمال تلك الأجهزة التي زُوّد بها، أي أنّ هذه النظرية تثبت أن الإنسان قادر على لفظ الأصوات وهذا لا أحد يختلف فيه، ولكن لا تفسّر الكيفية التي كانت بها نطق ولفظ تلك الأصوات، وكيف تركب تلك الأصوات الكلمات أو المقاطع، فلم تفسّر هذه النظرية هذه النقطة.

الرد الرابع: وهو الأهم في هذا الصدد وهو أنّ أكبر خطأ وقعت فيه هذه النظرية أنها أرجعت الأصول اللغوية للغات الهندية الأوروبية إلى خمسمائة أصل وقالت بأن هذه الأصول هي معان كلية، وقد ذكرنا سابقاً بأن الإنسان عندما يبتدء بالنطق فإنه يبتدأ بقضية بسيطة ويعبّر عن مدركاته الحسية والمعنوية بطريقة بسيطة جداً فلا يصل إلى المعاني الكلية إلا بعد مرحلة طويلة لأنّ المعاني الكلية تشتمل على المعاني الجزئية، فعملية الانتقاء لموكس ميلر ورينان عملية غير دقيقة وليست علمية لأنهم انتقوا المعاني الكلية وتركوا المعاني التي تعبّر عن انفعالات حسية وعن أشياء حسية على وجود القضايا.

إنّ الذين يعيشون بلغة بدائية تظهر عندهم القضايا الحسية قبل القضايا الكلية والقضايا الجزئية قبل القضايا الكلية، فمثلاً الشجر مفهوم كلي ينطبق على مصاديق كثيرة للأشجار فهناك شجرة التفاح وشجرة الموز وشجرة البرتقال وشجرة الرمان .. الخ فنجد بعض القبائل البدائية يعطون لكل نوع من أنواع شجرة البلوط اسماً فشجرة البلوط السوداء لها اسم وشجرة البلوط الحمراء لها اسم ولم يعطوا كلمة واحدة كمفهوم يجمع شجرة البلوط باسم شجرة البلوط فكل نوع من أنواع الشجرة له لفظ، فمن باب أولى أنهم لا يعطون لكل الأشجار كلمة شجرة.

بعض القبائل من السكان الأصليين لأمريكا الشمالية الذين يسمونهم الهورومينين هؤلاء عندهم الفعل المتعدي في حالة الأكل مثلاً الذي يأكل الموز له لفظ والذي يأكل اللحم له لفظ والذي يأكل الخبز له لفظ ولا يوجد عندهم فعل متعدي لا في الزمان فيدلل على الزمان ولا على الأكل بشكل عام كمفهوم الأكل يجمع كل أنواع الفعل.

وهناك بعض القبائل لا يوجد عندهم مفهوم كلي بمعنى الطول فإذا أرادوا أن يعبّروا عن انسان طويل فيقولون هذا كشجرة كذا فهم لا يعرفون مفهوم الطول، هذه البدايات تعبّر بشكل واقعي عن نشأة اللغة وأنها قضايا بدائية فإذا أرادوا أن يعبّروا عن إنسان طويل يصفونه بشجرة طويلة وعن إنسان قصير يصفونه بشجرة قصيرة لأنهم لا يمتلكون لفظاً يدل على الطول أو القصر، فاللجوء إلى هذه الأساليب دلالة على أنّ الإنسان في بدايته لم يعمد إلى المعاني الكلية وإنما إلى المعاني الجزئية ثم انتقل بعد ذلك إلى المعاني الكلية، فهذا من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها هذه النظرية.

وأما الأصول الخمسمائة التي انتقاها أصحاب هذه النظرية فهي بالحقيقة بقايا من لغة قديمة قطعت شوطاً كبيراً في الرقي والتطور ثم اندثرت كما اندثر غيرها من اللغات وليست هي الأصول الأولى التي نشأت منها تلك اللغات الهندية الأوروبية.

وبناءً على هذه الردود فهذه النظرية أيضاً بالأدلة التي أوردناها لا تصلح أن تكون حقيقة علمية ثابتة تفسّر لنا نشأة اللغة.

النظرية الرابعة: وهي نظرية المحاكاة، أي محاكاة الأصوات الطبيعية وأصوات الحيوانات وأصوات الطبيعة كخرير الماء. يقول أصحاب هذه النظرية إنّ الإنسان في بداياته الأولى في سلوكه اللغوي وكيفية وضع الكلمات كان يقلد أصوات الطبيعة وأصوات مَن حوله من الحيوانات، فتأتي بطبيعة الحال هذه الكلمات أو هذه المقاطع أو الأصوات متشابهة في البدايات الأولى.

وقد نادى بهذه النظرية علماء من القرن التاسع عشر الميلادي العالم اللغوي «وتني» له كتاب «حياة اللغة» الذي نشر في سنة ١٨٧٥م وكتاب آخر «اللغة ودراستها» الذي نشر في سنة ١٨٦٧م، وهذا العالم يذهب إلى أن نشأة اللغة والأصوات الأولى والمقاطع الأولى كانت من الإنسان في بداياتها بمحاكاة الأصوات الطبيعية التي تكتنف الإنسان، ولكن هذا العالم يُعتبر متأخراً جداً بالنسبة إلى عالم آخر سبقه وهو العلامة اللغوي الشهير ابن جني الذي عاش في القرن الرابع الهجري الذي سبق العالم وتني القول بهذه النظرية ولكن ابن جني لا ينسب القول بهذه النظرية إلى نفسه وإنما يذكر في كتابه «الخصائص» أن هذه النظرية يقول بها مَن سبقه ولم يذكر اسم هذا العالم الذي قال بهذه النظرية.

يقول ابن جني: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الضبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل»[1] أي أنّه يرجح هذه النظرية على بقية النظريات.

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج١/ ص ٤٦ – ٤٧.

وأيضاً يضرب ابن جني أمثلة كثيرة على هذا الموضوع فيأتي ببعض الكلمات اللغوية التي تشابه في أصواتها أصوات الأشياء فمثلاً عندما يأخذ أصوات الأفعال أو بعض أصوات الأسماء يقارن بين الهضم والقضم وكيف أنّ الإنسان عندما يأكل وكيف يهضم الشيء ويقضم الشيء وبين القبض والبسط وحتى أنّه يقارن بين الحروف التي تتكون منها المقاطع والكلمات والتي تدلّل على تلك الكلمات، وكيف أنّ صوت الغراب الذي يقول مثلاً غاك أو مثلاً أصوات الأشياء كخرير الماء فهناك تشابه بين كلمة الخرير والصوت الذي يصدر الماء في نزوله. هذا التشابه بالأصوات يعتمده ابن جني على أنّ اللغة في بداياته الأولى هي كانت من الإنسان محاكاة للأصوات الطبيعية التي تحيط بها وأصوات الحيوانات وأصوات الانفعالات التي يعبر بها الإنسان عن مختلف شؤونه سواء عن مدركاته الحسية أو مدركاته المعنوية.

كثير من العلماء يذهب إلى أن هذه النظرية من تلك النظريات الثلاث السابقة هي أقرب النظريات لتفسير الظاهرة اللغوية ونشأتها في بداياتها الأولى.

وأما أدلة هذه النظرية فهو ما يأتي: يقولون بأن مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل يبدأ بمحاكاة الأصوات وبالاشارات اليدوية الجسمية، فمثلاً عندما يشاهد الطفل القطة ويريد أن يسميها فإنه يطلق عليها ما يصدر من القط فيقول الطفل عنها «مياو» وعن الكلب «عو عو»، فيعبّر الطفل بأصوات الحيوانات عن أسمائها.

فأصحاب هذه النظرية يقولون بأن اللغة الأولى بأصواتها نشأت كذلك بمحاكاة أصوات الحيوانات كما أن نشأة اللغة عند الطفل بدأت بمحاكاة أصوات الحيوانات وكما أن الطفل يستعين بافهام الآخرين بالاشارة لأن ما عنده من الرصيد اللغوي غير كافٍ للتعبير عن المعاني التي يريد أن يوصلها فيستعمل الاشارة كمساعد لافهام الآخرين، كذلك اللغة البدائية نشأت بمحاكاة أصوات الطبيعة وتنظم إليها قضية الإشارات اليدوية والجسمية.

الدليل الثاني: لأصحاب هذه النظرية هو خصائص اللغات في الأمم البداية، يقولون بأنه إذا درسنا اللغات البدائية وموجود الآن بعض من هذه اللغات بقيت على سذاجتها وبساطتها فهي موجودة عند الهنود الحمر أصحاب أمريكا الأصليين، وكذلك في أواسط أفريقيا هناك شعوب بدائية تتكلم بلغات بدائية، وكذلك في بعض الجزر قرب استراليا وأيضاً سكان أستراليا

الأصليين حيث أن لغاتهم البدائية أيضاً عندما ندرسها نجد ظاهرة مشتركة بين هذه اللغات وهي أن كثيراً من المفردات اللغوية وكثيراً من الكلمات تشابه أصوات العالم الطبيعي الذي يعيشون فيه وأنهم كذلك يكثرون من استعمال الاشارات في كلامهم كلغة مساعدة أو كعملية مساعدة لاتمام المعاني التي يريدون إيصالها إلى الآخرين.

فهذه الأدلة هي أدلة واقعية ولها آثار تدل عليها في واقع المجتمع الإنساني باعتبار أن اللغة كظاهرة اجتماعية تترك آثاراً وتنفعل بعدة عوامل وعدة مؤثرات تؤدي إلى تطورها وارتقائها واندثارها وحياتها وتعديل في وظائفها وتعبيراتها.

**المراحل التي اجتازتها اللغة**

اللغة في بداياتها الأولى نشأت ناقصة مبهمة ساذجة بسيطة سواء من ناحية مدلولاتها أو أصواتها أو وظائفها اللغوية ثم تطورت في سلم الارتقاء والتطور إلى أن نضجت، بعض اللغات لم تتطور لذلك نشاهد تفاوت في درجات الرقي في سلم التدرج بين اللغات. فاللغويون الذين يدرسون هذه الظاهرة في الأصوات وفي المدلولات ينظرون إلى الآثار المتبقية من النشأة الأولى للغة ماذا بقي منها وماذا اندثر ؟ ما الذي يكثر فيها مثلاً من الظواهر اللغوية ؟ فهل يكثر فيها الصفات أم الأسماء أو الحروف وهل فيها صلة الربط أم تخلو من صلة الربط وهي الروابط التي تربط بين الكلمات ؟ هذه الظواهر يدرسها علماء اللغة ويلاحظون ماذا تحتوي اللغة على أي شيء ؟

بناء على هذا هناك عدة نظريات لوحظت وقيلت في هذه المسألة، نذكر أربع نظريات:

١- النظرية الأولى التي تنظر إلى الأصوات وقسمتها إلى ثلاثة مراحل.

٢- النظرية الثانية التى رأسها ماكس موليز

٣- النظرية الثالثة التي رأسها ريفو

٤- النظرية الرابعة التي رأسها شليكل

النظرية الأولى: وهي التي ذهب إليها كثير من علماء اللغة وهي النظرة الأولى التي تنظر إلى الأصوات أي إلى الأصوات اللغوية، وتقول هذه النظرية أن اللغة قطعت في مسيرتها ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الصراخ أي الأصوات التي يطلقها الإنسان كالصراخ، في هذه المرحلة يمر الإنسان بمرحلة يقلد فيها الإنسان أصوات الظواهر الطبيعية وأصوات الأشياء كخرير الماء وهفوف الرياح ويقلد فيها أصوات الحيوانات كنباح الكلب أو عواء الذئاب وما شاكل ذلك، فيقلد في هذه المرحلة مجموع هذه الأصوات ويعبّر عما عنده من المعاني التي يريد أن يوصلها إلى الآخرين. فيقول أصحاب هذه النظرية إنّ اللغة كانت في بداياتها يستعمل فيها الإنسان الأصوات التي تشبه الصراخ ولذلك اصطلحوا على هذه المرحلة بمرحلة الصراخ.

المرحلة الثانية: مرحلة استعمال أصوات المد، أصوات المد أو أصوات اللين ففي اللغة العربية عندنا الألف والواو والياء والحركات التي هي أصغر حركة من الألف والواو والياء والتي هي الضمة والفتحة والكسرة، وهذه الأصوات باللغة الإنكليزية مثلاً هي الحرف A والحرف E والحرف I والحرف O، وهذه الحروف هي حروف مد، ويقول أصحاب هذه النظرية أنّ اللغة بعد أن اجتازت المرحلة الأولى في رقيها وتطورها وصلت إلى مرحلة أخذ الإنسان يستعمل فيها حروف المد، بعد أن كانت اللغة مختصرة على الصراخ.

المرحلة الثالثة: مرحلة المقاطع أو الأصوات الساكنة كحرف الباء والتاء وحروف أخرى مختلفة في أي لغة من اللغات، ففي هذه المرحلة يجمع فيها الإنسان بين المد وبين الحرف الصامت، والأصوات تشمل الحروف والحركات الملحقة بالحروف.

فيقول أصحاب هذه النظرية أنّ اللغة الإنسانية قطعت مرحلة أخرى جديدة من مراحل تطورها فوصلت إلى مرحلة الأصوات الساكنة أو مثلاً الحروف الإنكليزية BCD وكذلك في بقية اللغات، وهذه المقاطع التي تتكون من حرف صامت ويقترن بحرف مدٍ أو بحركة تُسمى بالأصوات الساكنة أو الصامتة.

وأما دليل أصاحب هذه النظرية وكيف توصّلوا إليها فيقولون إنّ الطفل في بداية حياته يبدأ بالصراخ وباستعمال الأصوات ولا يستعمل في تلك المرحلة حروف المد والحروف

الصامتة، فيعتبرون أن الطفل في مبدأ حياته يُعبّر عن مسيرة حياة الإنسان، بمعنى أنّه يبين كيف تطورت اللغة عند الإنسان، ثم يستعمل الطفل حروف المد وعندما يتدرج في الرقي اللغوي يصل إلى مرحلة استعمال الأصوات الصامتة.

ثم يقولون إنّنا لو تتبعنا اللغات البدائية الساذجة والموجودة عند بعض القبائل إلى الآن هناك استعمالات لهذه اللغات البدائية لأنها محصورة في منطقة معينة ولم تحتك باللغات الأخرى فلم تجرِ عليها عوامل الصراع اللغوي. فهذه القبائل لو درسنا لغتها يقولون سنشاهد أنّ المراحل الثلاث قد مرّت بهذه اللغات البدائية، ونجد أن اللغات البدائية في أعمها الأغلب يكثر فيها أصوات المد والصراخ ويقل فيها الأصوات الأخرى.

والرد على هذه النظرية فإنّ هذه النظرية تخلو من الدليل القاطع على صحتها على هذه المراحل لأنّه لو درسنا اللغات البدائية لا نجد لغة من اللغات تخلو من الحروف الصامتة حتى اللغات البدائية الساذجة يوجد فيها حروف صامتة كما أنها أيضاً لا تخلو من حروف المد لأنه لا يمكن استعمال الحروف الصامتة بدون وجود حروف المد.

معنى ذلك أنّ هذه النظرية لا تصلح أن تكون مقياساً للمراحل التي مرت بها اللغة، كذلك لغة الطفل فمنذ بداية حياته حتى عندما يستعمل الصراخ فإنّه يستعمل حروف المد فيستعمل حرف الألف أو A باللغة الإنكليزية وما شاكل ذلك حتى في صراخه وبكائه يستعمل حروف المد فلذلك لا يصلح الاستناد إلى المراحل التي يمر بها الطفل في نشوئه اللغوي وارتقائه، فلا تصلح الأدلة على صحة هذه النظرية التي نظرت إلى الأصوات.

النظرية الثانية: وهناك نظرية أخرى نظرت إلى نشأة اللغة في مراحلها من حيث الدلالة لا من حيث الأصوات، بمعنى أنّ الكلمات التي تتألف منها اللغة لها دلالات تدل على معاني، فهذا الفريق أيضاً نظر إلى الدلالات من زاويتين فانقسم هذا الفريق إلى فريقين: الفريق الأول وعلى رأسه ماكس مولر نظر إلى الدلالات من حيث أن الكلمات الأولى في جميع اللغات الهندية الأوروبية أنها ترجع إلى الأصول الخمسمائة فقال: إنّ اللغة مرّت في المرحلة الأولى بالمعاني الكلية ثم اشتقت من المعاني الكلية المعاني الجزئية وأسماء الذوات وأسماء الصفات والأفعال والحروف، بمعنى أن الأصل هو المعاني الكلية وأنّ الإنسان في ذهنه معاني كلية

ثم تطور واشتق المعاني الجزئية من تلك المعاني الكلية ولم يُقرن قضية الأصوات في هذه المسألة وليس للأصوات دخل عنده في هذه القضية. ودليله وحجته في ذلك قال أنّ الدراسة وتتبع أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية بأننا وجدنا في هذه الأصول ترجع إلى مفردات ذات دلالات تدل على معاني كلية وهذه الأصول الخمسمائة هي التي تجمع وترجع إليها كل اللغات الهندية الأوروبية وبما أنها تدل على معانٍ كلية إذاً الأصل الذي كان في المراحل الأولى للغة هو تلك الأصول أو المفردات أو المعاني الكلية، ثم نشأت منها المعاني الجزئية.

وهذه النظرية – كما ذكرنا سابقاً – لا تصلح ولا تصمد أما النقاش العلمي لأن المعاني الكلية مرحلة متطورة جداً بالنسبة للإنسان، حيث أن الإنسان يبدأ بالقضايا الحسية ثم بالمدركات المعنوية ثم يشتق المفاهيم الكلية لا أنّه يبدأ رأساً بالمفهوم الكلي وهو مرحلة متطورة جداً وقد ناقشنا هذه النظرية سابقاً فلا تصلح أن تكون نظرية علمية تبيّن لنا المراحل التي مرّت بها اللغة واجتازتها.

النظرية الثالثة: الفريق الثاني وعلى رأسه ريفو نظر أيضاً إلى المعاني فهو يتفق في بعض الوجوه مع نظرية ماكس موليز ولكن نظريته تختلف من ناحية التدرج في المعاني. قال ريفو: إن الإنسان بدأ باستعمال المعاني الكلية – فهو يتفق مع ماكس مولر – ولكن المعاني هي استعمال الصفات ثم أسماء المعاني ثم أسماء الذوات ثم الأفعال ثم الحروف. فالمراحل التي مرت بها اللغة هي أولاً استعمال الصفة، ونحن ذكرنا سابقاً بأن اللغات البدائية لا تعرف معنى الصفة كما هو الحال في بعض القبائل المنتشرة في أمريكا الشمالية وقلنا سابقاً بأنه عندما يريدون استعمال صفة الطويل فينظرون إلى شجرة طويلة فيقولون هذا الإنسان مثل هذه الشجرة.

وعليه فهذه النظرية أيضاً فيها أشياء لا تنسجم مع الآثار اللغوية الموجودة في اللغات البدائية للقبائل الساذجة.

يقول ريفو: مرت اللغة الإنسانية بعد استعمال الصفات في مرحلة استعمال الأسماء سواء أسماء الذوات أو أسماء المعاني ثم دخلت اللغة في مرحلة جديدة إلى استعمال الأفعال

بمختلف أزمنتها فعندما توصل الإنسان إلى هذه المرحلة قفزت اللغة قفزة كبيرة في سلم التطور باعتبار أن الأفعال تشتمل على المصادر والحدث الذي فيه تقسيمات إلى زمن ماضي وحاضر ومستقبل، ثم في مرحلة متأخرة جداً وصل الإنسان إلى مرحلة استعمال الحروف، كأنّ استعمال الحروف جاء في مرحلة متأخرة عن استعمال الأفعال.

ودليله في ذلك هو المراحل التي يجتازها الطفل في استعمال هذه القضايا أي استعمال أسماء الصفات أو استعمال الأفعال أو استعمال الحروف، فعندما يدرس لغة الطفل فهذه المراحل أيضاً يشاهد أن الطفل يبتدأ باستعمال الصفات – كما يدعي ريفو ذلك – ثم ينتقل بعد ذلك إلى استعمال أسماء المعاني وأسماء الذوات ثم ينتقل إلى استعمال الأفعال، ولذلك يقول نجد أن لغة الطفل خالية من الروابط أي لا يوجد فيها الحروف الرابطة أو اللواحق الفصلية، وبما أن لغة الطفل خالية من هذه الروابط إذاً تسبق هذه المرحلة في نشوء اللغة مرحلة الأسماء والصفات. وكذلك عندما ينظر ريفو إلى بعض القبائل ويستشهد بخلو ظاهرة الحروف وقلة استعمال الحروف عند بعض القبائل، فنتيجة لدراساته توصل إلى هذه النظرية.

والرد على هذه النظرية هي أنه عندما نريد أن نعمّم فإن الظاهرة اللغوية لابد من أن تُعمّم على كل اللغات لا أنه تختص بلغة دون لغة على اعتبار أنّ القانون لا يعرف الاستثناء ونحن أمام ظاهرة لغوية نريد أن نعمّمها على كل اللغات.

إنّ هذه النظرية لا تصلح أن تكون ظاهرة أو سنة في عالم اللغات، حتى في اللغات البدائية أيضاً اللغات في مختلف مراحلها تحتوي على مختلف أنواع هذه الظواهر لذلك لابد من البحث عن نظرية أخرى قد تكون هي صائبة في هذا الباب.

النظرية الرابعة: هناك فريق آخر نظر إلى القضية من زاوية أخرى وعلى رأس هذا الفريق العالم شليكل وتابعه آخرون في نظرته، فقد قسّم هذا العالم اللغة إلى ثلاثة أقسام أي أنه اختلف مع الفريقين الأول والثاني في هذه القضية، فقال: «إذا نظرنا إلى اللغات فهناك لغات متصرفة وهناك لغات وصلية أو لصقية وهناك لغات غير متصرفة أو العازلة».

ماذا يقصد باللغة المتصرفة ؟ – والتي يعتبرها أعلى درجات الرقي في اللغات –، يقصد باللغة المتصرفة كاللغة العربية والإنكليزية والفرنسية، فإنه ممكن أن نشتق من الكلمة

عدة اشتقاقات فمثلاً «العلم» وهو مصدر ويمكن أن نأخذ منه اسم فاعل «عالم» وممكن أن نأخذ منه اسم مفعول «معلوم» وممكن أن نأخذ منه فعلاً «علّم»، فاللغة المتصرفة يمكن أن نشتق من الكلمة عدة كلمات، وهذه المرحلة من المراحل يعتبرها أعلى المراحل في السلم اللغوي.

يعتبر هذا العالم المراحل اللغوية بدأت باللغات غير المتصرفة ثم وصلت إلى مرحلة اللغات اللصقية أو الوصلية ثم تطورت إلى اللغات المتصرفة كمرحلة أرقى وأعلى فإن الغة تمر بمرحلة اللغة غير المتصرفة ثم تمر بمرحلة الوصلية أو اللصقية، يقول: «في هذه المرحلة الكلمة الأولى التي يستعملها الإنسان ويتوصل إليها والتي هي غير متصرفة يُضيف إليها الإنسان في لغته بعض الكلمات، وهذه الكلمات إما لواحق أو سوابق أي يضيف كلمة لاحقة أو كلمة سابقة إلى الكلمة الأصلية فتعطينا معاني جديدة ومعاني أخرى غير السابقة» وهذه موجودة في اللغة العربية والإنكليزية والتركية، ولكن هو يفترض أن بعض اللغات لم تتطور وتوقفت عند اللغة غير المتصرفة، وبعض اللغات تطورت إلى اللغة الوصلية أو اللصقية وبعضها تطور ووصل إلى المرحلة الثالثة التي هي مرحلة اللغات المتصرفة، فيضرب مثالاً على ذلك كاللغة التركية فيقول: «أنّ كلمة او EW يراد بها المنزل، وإذا أضفنا لها كلمة لار فتصبح اولار فتعطينا معنى جديداً وجملة جديدة بمعنى منازل، وإذا اضفنا لها حروفاً أخرى بحيث تصبح اودن فيعني خارج المنزل» فهو يعتبر اللغة التركية من اللغات الوصلية اللصقية التي لم تتطور ولم تصل إلى مرحلة اللغات المتصرفة لأنه لا يوجد فيها تصرف كما في اللغة العربية والفرنسية.

النوع الثالث الذي يعتقده هو البدايات الأولى للغات وهي اللغات غير المتصرفة أو اللغات العازلة التي هي خالية من السوابق واللواحق أي من القضايا الوصلية وخالية من التصرف في ذاتها وإنما الكلمة مستقلة معزولة عن الكلمات الأخرى ولكن من خلال سياق الكلام يفهم السامع ماذا يراد من سياق الكلمة، ويضرب شليكل مثالاً على اللغات العازلة كاللغة الصينية وكثير من اللغات البدائية فهو يعتبر اللغة الصينية لغة عازلة غير متصرفة فاللغة التركية يعتبرها لغة متطورة نسبة إلى اللغة الصينية.

ودليله في ذلك أن اللغات البدائية الساذجة الأولى في القبائل المنعزلة عن الحضارة وعن الاختلاط باللغات الأخرى والتي حافظت على بداياتها الأولى اللغوية تشابه اللغة الصينية في ذلك فهي لغة غير متصرفة وتكثر فيها المعاني الرأسية بدون وجود روابط بين الكلمات وبدون وجود توصيلات بين الكلمات، فهذه هي المرحلة الأولى التي اجتازتها الإنسانية، تطورت بعد ذلك ووصلت إلى اللغة الوصلية أو اللصقية فأخذ الإنسان يضيف السوابق واللواحق، وحتى السوابق واللواحق يعتبرها كلمات كانت تستعمل مستقلة ثم اختزلت واختصرت وأخذ الإنسان يضيفها إلى الكلمات الأصلية، فهذه الكلمات السوابق واللواحق لها معاني وعندما تُضاف إلى الكلمات الأصلية تعطي معاني جديدة.

فاللغة الوصلية أو اللصقية تُعتبر متطورة بالنسبة للغات غير المتصرفة، ثم بعد ذلك مرّ الإنسان بمرحلة جديدة فوصل إلى اللغات المتصرفة وهذه تعتبر أرقى مراحل الرقي في هذه اللغات.

إنّ ما تقدم سرد للنظريات المذكورة وأدلة أصحابها عليها ولكن أغلب هذه النظريات لا تصمد أمام النقاش العلمي لأنّه لا يقوم عليها دليل لاختلاف اللغات ولأنّ هذه اللغات توجد الكثير منها ممتزجة في هذه النظرات أو الظواهر، وهذا حال النظريات الاجتماعية فلا يمكن البت بها بنظرية دقيقة كما هو الحال في علوم الطبيعة كالفيزياء والكيمياء.

وقد تم الرد على النظريات الثلاث السابقة وبقي الرد على النظرية الرابعة التي يرأسها شليكل، فبالنسبة للغات المتصرفة كاللغة العربية والفرنسية والإنكليزية وما شاكل ذلك فهذه اللغات المتصرفة تتغير بنيتها أي التركيبة الأصلية للكلمة فمثلاً عندما نقول «كَتَبَ» أو «كتابة» فأصل هاتين الكلمتين الجذر الثلاثي وهو الكاف والتاء والباء، وهكذا الحال في اللغات المتصرفة الأخرى هناك أصل في اللغة ثم يتصرف الإنسان بهذا الأصل فيغيّر البنية الأساسية وهذا التغيّر يجعل الكلمة تعطي معانٍ جديدة غير الكلمة الأولى.

ففي اللغة العربية نجد أن هناك كلمات متصرفة كما أن هناك كلمات غير متصرفة فلا يمكن أن نشتق منها كلمات أخرى. وعليه فإن ادعاء شليكل بأن اللغات مرت بمرحلة اللغة غير المتصرفة ثم اللصقية ثم المتصرفة هذا غير صحيح باعتبار أن اللغة العربية كمثال فيها

كلمات غير متصرفة وفيها كلمات لصقية وصلية مثل كلمة «بنت» فعندما نريد أن نجمع نقول «بنات» فنضيف الألف والتاء، وهكذا كلمة «مدرّس» فإذا أردنا أن نجمع نقول «مدرّسون» فأضفنا الواو والنون، وهكذا لو أضفنا قبل الكلمة الألف واللام فتصبح «المدرس» فتعطينا معنى آخر وهو التعريف، فالألف واللام حروف سابقة والواو والنون حروف لاحقة، فاللغة العربية والتي يعدها شليكل من اللغات المتصرفة والمتطورة جداً ومع ذلك فيها من الأشياء الوصلية من السوابق واللواحق.

كذلك بالنسبة للكلمات العازلة وغير المتصرف والتي هي من مراحل اللغة، فعندما نقول «ضرب موسى عيسى»، فعند شليكل هذه الجملة من اللغات العازلة ويعني بأنها غير متصرفة فهو ينظر إلى اللغة من ناحيتين:

من ناحية بنية الكلمة ومن ناحية أخرى ترتيب الكلمات، بمعنى هل يوجد هناك وصل بين الكلمات وهل يوجد هناك روابط فعندما نقول «ذهب محمد وعلي إلى المسجد» فهنا تكون الواو رابطة وأعطتنا معنى العطف، بينما في الجملة السابقة «ضرب موسى عيسى» لا توجد رابطة وكل كلمة منعزلة ومستقلة عن الأخرى ولذلك تسمى في نظره اللغة العازلة أو غير المتصرفة ولكن سياق الجملة وترتيب الكلمات هو الذي يعطينا الفاعل وهو موسى وليس عيسى والمفعول به هو عيسى وليس موسى، فالسامع يفهم من سياق الجملة مَن هو الفاعل ومَن هو المفعول به.

والجملة الثانية «ذهب محمد وعلي إلى المسجد» فهناك روابط وهي الواو وهناك إلى التي هي الغاية وهناك أيضاً الحركات التي على الحروف فالضمة تدل على أنّ هناك فاعل والواو تدل عطف علي على محمد، وإلى تدل الغاية والدال المكسورة ينظر إليها شليكل على أنها تصرف ولكن من ناحية التنظيم. وعليه نجد بأن اللغة العازلة واللصيقة والمتصرفة كلها موجودة في اللغة العربية، وموجودة في اللغات الأخرى فهذا رد على نظرية شليكل ولا تصلح نظريته في تفسير المراحل التي اجتازتها اللغة في تطورها.

وكذلك بالنسبة للغة الصينية التي يعتبرها شليكل من اللغات العازلة على اعتبار كثرة المفردات وكثرة المعاني لكلمة واحدة ولا يوجد فيها اشتقاق ولا يوجد فيها وصل، أيضاً هذه القاعدة

لا تنضبط تمام الانضباط في هذه الظاهرة، فهناك أيضاً بعض الوصل وبعض السوابق واللواحق في اللغة الصينية.

ويعتبر اللغتين التركية واليابانية بالمرحلة الثانية من مراحل اللغة حسب دراسته لهذه المراحل فيقول عنهما بأنهما اجتازتا المرحلة الأولى وهي المرحلة العازلة ووصلا إلى مرحلة اللغات الوصلية أو اللصقية، وهذه ليست ظاهرة عامة فهناك الكثير من التصرف في كثير من هذه الكلمات في اللغتين التركية واليابانية. وعليه لا تصلح أن تكون هذه النظرية مفسرة للمراحل التي اجتازتها اللغة.

## حياة اللغة

تعتبر اللغة ككائن حي، فهو يولد ثم ينمو ويكبر وينضج ثم يصل إلى أوجه ثم يتدهور ويبدأ في سلم الانحدار إلى الموت، فهذه المراحل الولادة والنضج والموت أيضاً تمر في اللغات، فاللغة لها حياة ولها موت حيث أنّ هناك كثير من اللغات ولدت ثم بادت، وكثير من اللغات ولدت بدائية ثم نضجت وتطورت.

هناك قوانين تتحكم بهذه الظواهر وهناك أسباب وعوامل تساعد في انتشار اللغات وصراع اللغات فيما بينها وفي تقلص اللغات على منطقة جغرافية معينة وانتشارها بين أناس آخرين، لقد هجر بعض الناس لغاتهم وأخذوا لغات جديدة، هذه المعاني والظواهر هي التي نقصد بها من حياة اللغة. وسنتناول هذا الموضوع بشيء من الاختصار خشية الاطالة.

وأول موضوع نتناوله في حياة اللغة هو موضوع انتشار اللغة والذي هو متفرع من تعدد اللغات واللهجات، والله سبحانه يعتبر اختلاف البشر واختلاف ألوانهم ولغاتهم آية من آياته وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن آيَاتِهِ خَلقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلافُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَانِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلعَالِمِينَ** ﴾[1]، فالبشرية تشهد ولادة لغات وموت لغات فلابد من وجود عوامل تساعد في موت اللغة أو في حياتها وكذلك هنالك عوامل تساعد في انتشار اللغة.

---

(١) الروم، ٢٢.

**أولاً – انتشار اللغة**

يذكر اللغويون ثلاثة عوامل تسبّب انتشار اللغة وتوسعها في المعمورة:

العامل الأول صراع اللغات: والمقصود به أن بعض اللغات طغت على لغات أخرى وأهملت اللغات الأولى واستعملت هذه اللغة التي غلبت وقهرت تلك اللغات، هذه الظاهرة يسمونها بصراع اللغات، وهذه الظاهرة موجودة في كثير من اللغات فمثلاً اللغة الإنكليزية أو اللغة اللاتينية القديمة التي أصلها في إيطاليا وهذه اللغة اجتاحت الجنوب الغربي من قارة أوروبا وأخذ كثيرون يتحدثون بهذه اللغة وطغت على اللغة السابقة فأصبحت هي لغة الكتابة والحديث والأدب والعلم، فاللغات السابقة لتلك الدول أبيدت وأخذوا يستعملون هذه اللغة.

واللغة العربية أيضاً دخلت في صراع مع بعض فصائل من مجموعة اللغات السامية كاللغة البربرية واللغة القبطية فاستولت وتغلبت وقهرت تلك اللغات في أماكنها وأخذ هؤلاء يتحدثون اللغة العربية. وهذا الصراع له أسباب كأن تكون هذه اللغة هي لغة الدولة أو لغة الدين أو لغة التجارة، وهذه الأسباب تكون سبباً للصراع بين تلك اللغات وهي التي تُسبّب انتصار وتغلب هذه اللغة على اللغات الأخرى.

وكذلك اللغة الألمانية التي انتشرت وامتدت في وسط أوروبا كالنمسا وجزء من بلجيكا وجزء من إيطاليا فأخذوا يتكلمون اللغة الألمانية، وهكذا اللغة الفرنسية واتساعها في بعض البلدان، وهذا صراع لغوي يحدث لأسباب كثيرة جداً.

العامل الثاني الهجرة والاستعمار: انّ استعمار دول لدول أخرى يُهمل لغة البلد المحتل ويؤدي إلى انتشار لغة المستعمر إلى الدولة المتسعمرة، فمثلاً اللغة الإنكليزية التي كانت مختصرة على الجزيرة البريطانية ولكن الآن ملايين من سكان العالم يتكلمون بهذه اللغة، وذلك بسبب الهجرة إلى أمريكا أي هجرة مَن يتحدث اللغة الإنكليزية إلى الجزء الشمالي من الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الإنكليزية وجزء من كندا يتحدثون باللغة الإنكليزية وأما بالنسبة لشبه القارة الهندية وكذلك استراليا فإن انتشار اللغة الإنكليزية فيها باعتبارهما مستعمرتان من قبل الانكليز وقد فُرضت عليهم اللغة الإنكليزية.

العامل الثالث النمو الطبيعي: ويشمل النمو الطبيعي نمو الأفراد أي تكاثر والتناسل بين أفراد تلك القومية وكذلك نمو المدن والأقاليم والقرى واتساع العمران، فظاهرة النمو الطبيعي في البلاد وفي القوميات وفي المناطق الجغرافية أيضاً يسبّب انتشار اللغة.

طبعاً عندما ندرس انتشار اللغة يترتب على هذا الانتشار عوامل كثيرة في قضية تغيّر الأصوات وتغيّر المداليل والمعاني وتشعب اللغات، لأنّه عندما تنتشر اللغة تُفرض عليها قضية أخرى فستتكون لهجات جديدة ولغات جديدة، فالانتشار ليس دائماً ظاهرة إيجابية فصحيح أن اللغة الانكليزية انتشرت ووصلت إلى أمريكا ولكن اللهجة الأمريكية تختلف عن اللهجة الإنكليزية وكذلك بقية اللغات. النمو الطبيعي في لغة ما كاليابان والصين فاللغة الصينية انتشرت عن طريق النمو الطبيعي لسكان الصين وهكذا اللغة اليابانية، وهذا نوع آخر من الأنواع التي تساعد في انتشار اللغة.

**ثانياً – تفرّع اللغة عن لغة الأم**

إنّ كل لغة عندما تنتشر وتتسع فلابد من أن المناطق التي تتوسع فيها تتخذ لها منهجاً جديداً في الانتشار ومنهجاً جديداً في الارتقاء والتطور والتغير الذي يحدث عليها نتيجة لعوامل عديدة مختلفة.

إنّ سعة انتشار اللغة تساعد في عدم الحفاظ على وحدتها الأولى، ففي الوهلة الأولى عندما تنشأ اللغة لاشكَ أنها تتخذ أحياناً اتساعاً أكبر في مساحات أوسع لعوامل متعددة ولكن سعة انتشار اللغة عندما يهيئ للغة ما من اللغات الاتساع والانتشار.

هذا العامل في الوقت الذي هو عامل إيجابي ولكن يتولد منه عامل سلبي يؤدي إلى تشعب هذه اللغة وتفرعها إلى لهجات ولغات أخرى أي أنّ سعة وانتشار اللغة عامل يساعد في تشعب اللغة وتفرعها، والسبب في ذلك لأن اللغة عندما تكون محصورة في بقعة صغيرة وعلى مجتمع محدّد التقاليد والأعراف والثقافة والسلطة والنفوذ حينئذ تتماسك وتحافظ على وحدتها.

ولكن حينما تتسع في أرجاء أبعد من موطنها الأصلي وفي ظروف تختلف عن الظروف التي كانت تحافظ فيها على وحدتها فحينئذ العوامل الجديدة تدخل في تغيير مسار اللغة، الشعوب الأخرى التي تنتشر فيها هذه اللغة والتي بالأصل لها موروثات لغوية من لغات أخرى إما تكاد أن تموت نتيجة للصراع اللغوي أو تندثر أو تنقهر نتيجة لدخول لغة أو لهجة جديدة عليها.

فهذه العوامل ونتيجة لاختلاف الثقافتين والأعراف تتخذ لها منهجاً جديداً تتلائم مع الظروف الجديدة التي تعيش فيها، وتتولد لهجة جديدة. وهذه اللهجة الجديدة تبدأ عادة بالأصوات، أي أنّ الأصوات التي يستعملها الأقوام الجدد التي انتشرت بينهم اللغة الجديدة تختلف عن الأصوات التي يستعملها أصحاب اللغة الأصليون، السبب في ذلك أنّ الأقوام الجدد أو الذين دخلت عليهم اللغة حديثاً لهم مميزات وخصائص ومشخصات في مجتمعهم وفي أفرادهم وكذلك في قضاياهم الجغرافية وموروثاتهم اللغوية تختلف عن أصحاب اللغة الأصليين أو اللغة في موطنها الأصلي.

إنّ أول ما يبدأ من التغير هو التغير في الصوت فلأن هؤلاء يختلفون عن أولئك في نفس هذه اللغة تتغير تدريجياً وبمرور السنين تتغير إلى مدلولات جديدة، فتتخذ اللغة منهجاً جديداً في التغير فيبدأ حصول تغيّر جديد في الدلالات، إنّ القانون اللغوي هنا يبدأ أولاً في تغيّر الأصوات ثم في المداليل ثم يعقب هذا التغير، تغيّر في التركيب والأساليب واختيار العبارات. فيمكن تلخيص هذه التغيرات بالتسلسل التالي:

١- تغير في الأصوات
٢- تغير في المدلولات
٣- تغير في الأساليب والتراكيب اللغوية
٤- التغير في بنية الكلمات وفي القواعد اللغوية

فهذه التغيرات الأربعة وبعضهم يقسمها إلى أكثر من ذلك ولكن هذا هو التغيّر الاجمالي لهذه التغيرات، تحدث على أي لغة تنتشر وتتسع، فحينئذ لا تستطيع أن تحافظ على وحدتها

الأولى فتحدث تغيرات حتى تضحى كل لغة لا يفهمها أو كل لهجة لا يفهما إلا أهل تلك المنطقة فيصبح الفهم قاصراً على أهل تلك المنطقة.

فبالتدريج تفرّعت من لغة معينة إلى لغة جديدة لها سمات في الأسلوب والتركيب والبنية والمدلولات والأصوات. وهذا ما يسمونه بتفرع اللهجات واللغات، باعتبار أن الإنسانية الأولى بدأت بلغة معينة ولكن نلاحظ أن هنالك آلاف اللغات عاشت على سطح هذا الكوكب وبين هذه اللغات تفاوت كبير في الأصوات والمدلولات والتراكيب والآداب واستعمال العبارات ومختلف القضايا.

هذا النشوء والتغير يجري وفق قوانين لا يستطيع الفرد أو المجتمع أن يتحكم فيها ومن هذا المنطلق يظهر بيان خطأ النظرية التي تنادي بأن تكون هناك لغة عالمية واحدة تشمل جميع الناس، لأنه حتى لو وُجدت مثل هذه اللغة وانتشرت في بقاع المعمورة مع وجود هذا التفاوت والاختلاف بين الناس في شتى القضايا الاجتماعية والثقافية والعامل الجغرافي والمناخ والموروثات اللغوية فكل هذه العوامل تساعد على عدم حفاظ تلك اللغة على وحدتها الأولى وستتفرع لغات ولهجات جديدة مختلفة، ولذلك هذه النظرية (اللغة الموحدة) غير قابلة للتطبيق من ناحية الاستمرارية حتى لو فرضنا امكانية ايجاد لغة عالمية شاملة ولكن بعد حين ستتولد منها لغات جديدة ولهجات جديدة، وهذا ما تشير إليه الآية المباركة في اختلاف الألسن في قوله تعالى: **( وَمِن آيَاتِهِ خَلقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلافُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَانِكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلعَالِمِينَ )**.

هناك لغات تعرضت لمثل هذه التشعبات والتفرعات، فهناك عدة لغات انتشرت وسادت في المعمورة منها مجموعة اللغات الهندية الأوروبية فهذه انشعبت إلى مجموعات كثيرة وكل مجموعة انشعبت إلى طوائف أيضاً وكل طائفة من هذه اللغات انقسمت لشعب ولغات جديدة وهذا الانشعاب نثبته عن طريق دراسة اللغات الميتة والظواهر والعناصر المشتركة بين تلك اللغات وكذلك بالنسبة للغات الحية وعلاقتها بتلك العناصر المشتركة، وهذا الترابط الموجود سواء في النحو أو الصرف أو المدلولات هذا الاشتراك يبيّن اندثار تلك اللغات وتشعب هذه اللغات الجديدة عنها.

كذلك لو أخذنا مثالاً آخر كاللغة اللاتينية التي هي إحدى فصائل الفرع الإيطالي، أي تفرعت من اللغة الإيطالية واللغة الايطالية هي مجموعة من اللغات الهندية الأوروبية التي تفرعت وتشعبت فظهرت اللغة الإيطالية ومنها تشعبت وظهرت اللغة اللاتينية، وعندما انتشرت اللغة اللاتينية في ايطاليا والدول المجاورة لها وقهرت اللغات المحلية الموجودة في البقاع التي انتشرت فيها كألمانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال، ففي العصور الوسطى سيطرت على اللغات المحيطة بها فأصبحت هي اللغة الفصحى ولغة الكتابة وهي اللغة القومية لهذه الشعوب ثم بعد ذلك نفس هذه اللغة أخذت في هذه الدول تموت تدريجياً ويقل استعمالها ونشأت بدل اللغة اللاتينية اللغات الأخرى هي اللغة الألمانية الحديثة والبرتغالية الحديثة واللغة الفرنسية الحديثة واللغة الإسبانية الحديثة، فنشأت على آثار اللغة اللاتينية لغات جديدة، وبنفس الوقت هذه اللغات انتشرت في بقاع أخرى من العالم نتيجة لاستعمارها لدول أخرى، وهذه اللغات عندما انتشترت اختلفت لغة الأم عن اللغات التي انتشرت في بقاع أخرى من العالم فنشأت لهجات جديدة تختلف عن اللغة الأم. وهكذا اللغة الإنكليزية عندما نقارن بين اللهجة الانكليزية في بريطانيا واللهجة الإنكليزية في الولايات المتحدة الأمريكية نشاهد هناك تفاوتاً كبيراً بين اللهجتين حتى يكاد بعض الناطقين يسخر من بعضهم نتيجة للاختلاف.

وكذلك اللغة العربية هي لغة واحدة ولكنها ذات لهجات مختلفة فهناك لهجة حمير ولهجة بني تميم ولهجة قريش، فهذه اللهجات المختلفة ترجع إلى أم واحدة وهي اللغة العربية ولكن نتيجة لاتساع اللغة وانتشارها بين القبائل وفي مناطق مختلفة نشأت لهجات جديدة ولكنها سادت لعوامل متعددة، ولكن تفرع اللغة العربية إلى لهجات مختلفة له عوامل وأسباب، فسعة الانتشار فيه عامل إيجابي ولكن في نفس الوقت فيه عامل سلبي والعامل السلبي يتمثل في أنّ اللغة لا تستطيع أن تحافظ على وحدتها الأولى بالإضافة إلى عوامل أخرى تتدخل وتساعد في تفرع اللغة إلى لهجات ولغات أخرى ومن هذه العوامل المساعدة هي:

أولاً – العوامل السياسية: بمعنى أن هناك بعض المجموعات تتفاوت في النفوذ والقوة من الناحية السياسية، فالدولة مثلاً لها مركزية تتمثل بالعاصمة وللدولة محافظات تابعة لها، فلغة العاصمة عادة تتمتع بنفوذ وقوة سياسية أكبر من اللهجات المحلية في المحافظات الأخرى فعادة لغة العاصمة هي التي تسود الدولة، والمركز السياسي ومركز النفوذ هو الذي يسود في

الدول الأخرى التابعة لهذه الدولة. فالعامل السياسي والاجتماعي له أثر في تفرّع اللهجات وتفرع اللغات، فعندما تسود تلك اللغة وتنتشر وتعيش في تلك المجتمعات تدخل عليها عوامل من تلك المجتمعات وتغير هذه اللغة فتتفرع من اللغة الأصلية إلى لغات جديدة تتفاوت مع اللغة الأصلية.

هناك ملاحظة مهمة في قضية التغير الذي يطرأ على اللغة والتفرع الذي يؤدي إلى انتاج لهجة جديدة ثم تتحول إلى لغة، أنّ اللغة الأصلية التي تنتشر في بادئ الأمر تقاوم التغيرات الطارئة عليها ولكن نتيجة للضغوط لا تستطيع اللغة أن تقاوم هذه الضغوط فيبدأ فيها شيء من التغير بمراحل بدءاً بتغيّر الأصوات ثم المدلولات ثم القواعد والتركيب ولكن هذا لا يعني أن اللغة القديمة التي تُقهر ويتفرع منها لغة جديدة تنعدم آثارها تماماً في اللغة الجديدة بل تبقى من اللغة القديمة وبين اللغة المستحدثة عناصر مشتركة تشير إلى انسلاخ هذه اللغة عن تلك اللغة القديمة، فهذه التغيرات التي تطرأ على اللغة لا تحصل بين عشية وضحاها وإنما تأخذ وقتاً طويلاً وسنين متعددة.

ولذلك فالعلماء اللغويون عندما يدرسون الظاهرة اللغوية وانشعاب بعض اللغات وتولدها عن لغات قديمة يلاحظون أن القواعد اللغوية هي التي تربط بين مجموعة الفصائل، فمثلاً في اللغة العربية يوجد فيه مثنى، وهذا المثنى لا يوجد في اللغات الهندية الأوروبية كاللغة الإنكليزية والايطالية، فالمثنى عندما نجده في اللغة العربية واللغة الحبشية واللغة السواحلية فنستدل من ذلك على وجود لغة أم تشترك فيها هذه اللغات.

وهكذا في اللغة الإنكليزية لا يوجد تمييز في الصفة بين المذكر والمؤنث فكلمة Teacher تشمل المذكر والمؤنث بينما في اللغة العربية واللغات السامية يميّزون في الصفة بين المذكر «معلم» والمؤنث «معلمة». ولو عكسنا الموضوع فكان ضعف النفوذ السياسي أنّ المركزية في هذه القومية أو في هذه الدولة ضعفت فماذا يحصل ؟

إذا ضعف النفوذ السياسي لتلك اللغة حينئذ تنحسر العوامل التي تجمع بين تلك القوميات أو بين تلك الشعوب ويصبح كل شعب من الشعوب مستقلاً عن المركز فتنشأ لغة جديدة مغايرة للأصل، فضعف النفوذ السياسي يؤدي إلى تفرّع اللغة وانشعابها.

ثانياً – العوامل الاجتماعية النفسية والأدبية: كل شعب من الشعوب له عادات وتقاليد يختلف فيها من منطقة إلى أخرى ومن شعب إلى آخر ومن بقعة جغرافية إلى بقعة جغرافية أخرى، هذه العادات والتقاليد تترك أثرها في طريقة التعبير اللغوي والصوت الذي يصدره والنغمة الصوتية التي تصدر من ذلك الشعب، هذه الفروقات الموجودة بين الشعوب، فعندما تنتشر إحدى اللغات نتيجة للعوامل السابقة ويقوى نفوذها ثم يضعف العامل السياسي أو تشتد الفروق بين هذه الشعوب فإنّ العادات والتقاليد والنفسية التي يتمتع بها الشعب هذه كلها تترك آثاراً كبيرة وتؤثر في تفرع اللغة الجديدة وتفرع اللهجة الجديدة فتترك آثاراً في الأصوات والمدلولات واستعمال الأساليب والمنهجية التي تتخذها في البقعة الجغرافية الجديدة وعلى هذا الشعب الذي يمتاز بهذه الفروق عن الشعب الذي له اللغة الأم أو الأصل، حينئذ تبدأ هذه العوامل بنحت تلك اللغة فتغيّر بالصوت والتركيب فنفس الكلمة نجدها في المنطقة الشمالية تنطق بالطريقة الفلانية بينما في المنطقة الجنوبية تُنطق بطريقة أخرى.

في المجتمع المدني نفس الكلمة تُنطق بطريقة معينة وفي المجتمع الريفي تُنطق بطريقة أخرى وذلك بسبب العادات والتقاليد والقضايا النفسية التي يتمتع بها هذا المجتمع دون ذلك المجتمع، فنشاهد بعض اللهجات تميل إلى الضم في بعض الكلمات وبعضها الآخر تميل إلى الكسر في المجتمعات العربية وبعض الآخر تميل إلى الفتح في نطق الكلمات، كل هذه العوامل الاجتماعية تترك أثرها في اللغة وتتدريجياً تنسلخ هذه اللهجة من اللغة الأم وعندما تستقل هذه اللهجة وتنمو وتكبر وتصبح لغة حينئذ المجتمع يهجر اللغة القديمة ويبدأ باستعمال اللغة الجديدة لسهولتها في الاصطلاح والتعبير والتعامل.

ثالثاً – العوامل الجغرافية: هي أيضاً لها أثر بالغ في التأثير على اللغة وفي تغيّرها وتغيير مكوّناتها وعناصرها إلى منهج جديد وأسلوب جديد وأصوات جديدة، فمثلاً لغة مَن يسكن الساحل ولهجته تختلف عن لهجة مَن يسكن الصحراء، فالحرارة والمناخ والبرودة والثلوج كل هذه العوامل تترك آثارها في اللغة والصوت وفي المدلولات أيضاً.

هناك بعض الكلمات تستعمل هنا ولا تُستعمل هناك لقلة احتياج الناس فمثلاً استعمال أدوات التزحلق على الجليد وما شابه ذلك بينما في المجتمع الصحراوي يستعملون أدوات أخرى،

فبالنتيجة تستعمل كلمات هنا ولا تسعمل هناك، وتستعمل أصوات بهذه الطريقة نتيجة لعوامل نفسية، فلا نأخذ هذه العوامل منفردة بل مجتمعة كي نعرف كيف تؤثر في اللغة وكيف تتفرع لهجة من لغة وانقلاب اللهجة إلى لغة جديدة تختلف عن لغة الأم، ولكن مع هذا كلنا نقول أن اللغة الأصلية أيضاً لا تندثر بالكامل بل تبقى آثارها.

رابعاً – العوامل الشعبية: فكل شعب بما له من خصائص ومميزات وتاريخ وثقافة وأدب وأسلوب بالتعبير، هذا الشعب عندما يختلف عن ذاك الشعب هذه العوامل تترك آثارها على اللغة وتُنشأ لغة جديدة أو لهجة جديدة في البداية ثم تنقلب إلى لغة جديدة بعد أن تنمو وتتضح وتنتشر وتقوى سياسياً.

**ثالثاً – صراع اللهجات**

اللغة عادة لها عدة لهجات تختلف باختلاف المناطق، فالكل مثلاً يتكلمون اللغة العربية قبل الإسلام ولكن لهجة قريش تختلف عن لهجة تميم وهذه تختلف عن لهجة هذيل وهي بدورها تختلف عن لهجة حِميَر، فلكل من هؤلاء لهجة وإن كان الجميع يتفقون في الأصوات والمدلولات والأساليب والقواعد اللغوية فمثلاً لهجة قريش تتميز بتليين الكلمات أي لا تنبر فلا تنطق الكلمة بهمزة فمثلاً لهجة قريش تقول «بير» بينما لهجة تميم «بئر» ولهجة قريش تقول «راس»، «فاس»، «ريس»، «ذيب»، بينما بني تميم يقولون «رأس»، «فأس»، «رئيس»، «ذئب»، والقرآن في هذه الناحية نزل بلهجة بني تميم ولم ينزل بلهجة قريش بينما في بقية القضايا نزل في لهجة قريش مع العلم أن كلا اللهجتين يرجعان إلى اللغة العربية، فهناك اختلاف في اللهجات. وعلماء اللغة يسمون هذا الفن باللهجات المحلية، كأن اللغة المحلية لهذه المنطقة تختلف عن اللغة المحلية للمنطقة الأخرى وإن كان كلا اللهجتين يرجعان إلى لغة واحدة.

والصراع كما يحدث بين اللغات كذلك يحدث بين اللهجات، بل أنّ الصراع بين اللهجات هو مقدمة لتفرّع اللغة وانشعابها، وكل لهجة يمكن أن تقهر وتستولي على لهجة المنطقة أو الاقليم الآخر، هناك عوامل تساعد في قهر هذه اللهجة للهجة الأخرى وهذه العوامل كثيرة وقبل أن نذكرها نقول أنّ اللهجة في باريس سيطرت على باريس وعلى المناطق المجاورة لها، وكذلك

اللهجة اللندنية سيطرت على لندن والمناطق المجاورة لها، وهكذا في مدريد سيطرت على المدينة والمناطق المجاورة لتلك العاصمة.

إذا درسنا هذه الظواهر نلاحظ أن لهجة العواصم تسيطر على المناطق والأقاليم التابعة للعاصمة، فنستنتج من ذلك أن نفوذ اللهجة والسلطات المركزية والعامل السياسي هي التي تستولي على بقية اللهجات، وهذا العامل نستنبطه من استقراء اللهجات سواء الآن أو اللغات السابقة، فمثلاً في القرن السابع عشر الميلادي كان هناك اللغة السكسونية وهذه اللغة طاردت جميع اللهجات الألمانية وقهرتها واستولت عليها، فأبيدت تلك اللهجات وبقيت اللغة السكسونية هي الغالبة. وكذلك اللهجة الكوسكانية في إيطاليا طاردت وقهرت جميع اللهجات الإيطالية في القرن الرابع عشر الميلادي وسيطرت عليها فأصبحت تلك اللهجة هي المنتشرة والسائدة.

هذا الانتشار ماذا يسمّونه ؟ يُسمّون هذه اللغة باللغة الفصحى فمثلاً لغة قريش تُسمى «اللغة الفصحى» لأنّها هي اللغة التي سادت وانتشرت وأصبح الجميع يعتبرونها هي المقياس، فهي لغة الدولة وهي لغة السياسة والشعر والكتابة والتدوين.

هذا الانتشار أي سيادة لهجة على باقي اللهجات يُسبّب في أن تكون هذه اللغة هي المقياس والمعيار لبقية اللغات وتلك اللغات تدريجياً تندثر. طبعاً هناك عوامل عديدة تساعد على انتشار لغة دون لغة أخرى، فمثلاً لهجة قريش عندما انتشرت وسادت على بقية اللهجات كان بسبب العامل الاقتصادي والمكانة الدينية وذلك لوجود الموقع المقدس لبيت الله الحرام وهيمنة قريش عليه، وكذلك الموقع الجغرافي حيث أن قريش كانت في مكة وبالتالي تتوسط مرور القبائل، وأيضاً العامل الاقتصادي فكانت قريش معروفة بتجارتها ورحلاتها في الشتاء والصيف ومرورها بالقبائل العربية المختلفة، وانعقاد الأسواق كسوق عكاظ، فحينئذ تنتشر هذه اللهجة وتصبح هي اللغة الفصحى.

هذا الصراع يحدث في كل لغة من اللغات، هناك عوامل مهمة تؤدي إلى انتشار لهجة ما من اللهجات، وهي كالتالي:

أولاً – عامل النفوذ والقوة: كل مركز من المراكز كالعاصمة أو كان في الأقاليم أي المحافظات فلهجة العاصمة هي التي تنتشر وتأتي بعدها لهجة الاقليم أو لهجة المحافظة فهي

التي تسود وتصرع بقية اللهجات القريبة إلى مركز المحافظة، فنستخلص من ذلك أن عملية النفوذ أو السلطان أو القوة هي التي تتحكم في انتشار هذه اللغة وتغلبها على باقي اللغات أو إبادتها أو اندثار تلك اللهجات.

ثانياً – اختلاف المستوى الثقافي: عادة المستويات الثقافية في المجتمع الواحد أو في الدولة الواحدة تتفاوت وتختلف من منطقة إلى أخرى، أقاليم الشمال، أقاليم الجنوب، أقاليم الوسط، أقاليم الساحل، أقاليم الصحراء، يتفاوتون في ثقافاتهم وقوة أدبهم وأساليبهم اللغوية وبلاغتهم وتعبيراتهم، فالمجتمع الذي يمتلك ثقافة لغوية أقوى وأكثر وأشد وإن لم يمتلك سلطاناً فهذا العامل يختلف عن عامل النفوذ والقوة، فلو أخذنا مجتمعين متقاربين من حيث النفوذ والسياسة والسلطة والقوة ولكن يتفاوتان في قضية الثقافة فأحدهما له ثقافة لغوية أقوى من الآخر فعندما ننظر إلى قضية صراع اللهجات نشاهد أنّ المجتمع الذي يتمتع بثقافة لغوية أكثر وأقوى لهجته هي التي تصرع اللهجة الثانية في المجتمع الذي ثقافته اللغوية أدنى.

وهذا أيضاً يظهر في كثير من الأقاليم ومن الشعوب والدول والمناطق فيؤدي انتشار هذه اللغة ذات الطابع الثقافي اللغوي الأكثر على حساب تلك اللغة ذات الطابع الثقافي اللغوي الأقل فهذه اللغة تصرع تلك اللغة، وتلك اللغة تبيد وتندثر تدريجياً.

اللغة الفصحى بعدما تسود وتأخذ مكانتها في المجتمع أو في الدولة أو في الأمة، هذه اللغة لا تقتصر على منحى واحد وأسلوب واحد فهي أيضاً بدورها تنقسم إلى عدة أقسام ولكن هذه الأقسام لا تختلف من حيث الصوت والدلالة ولكن هناك نواحي أخرى تخلف فيها، فمثلاً اللغة العربية هي اللغة الفصحى وهي اللغة السائدة فهي لغة الكتابة والعلوم والفنون، ولكن اللغة العربية عندما يكتب بها المؤرخ فهي تتفق ولكن تختلف من حيث الاصطلاحات وكثير من المدلولات في اللغة عندما يكتب بها الأديب أو الشاعر أو عندما يكتب بها صاحب العلوم الطبيعية، فلكل من هذه العلوم والفنون لغة تتفق بالأصل مع اللغة العامة وتختلف في كثير من الاصطلاحات والمدلولات في أصحاب هذا الفن.

كذلك اختلاف اللهجات في البلد الواحد باختلاف طبقات الناس وفئاتهم، فهناك لهجات يختص بها كل طبقة من الناس، طبقة الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال وطبقة النبلاء في

المجتمعات الأوروبية فهؤلاء لهم لهجة تميّزهم عن لهجة الطبقات الأخرى، كذلك الفئات مثل أصحاب المكتبات وعندنا مثلاً الحوزويون لهم لهجة تميّزهم عن غيرهم وفي أوروبا يكتب علماء اللغة في «تاريخ اللغة» أنّ هناك لهجات خاصة بالحرف وكذلك عندنا أيضاً فالحرفيون لهم لهجات تميّزهم عن غيرهم يفهم بعضهم البعض في استعمالهم تلك العبارات وفي تلك النغمات والأصوات وفي تلك الاصطلاحات.

كذلك هناك لغة اللصوص فلهم لهجة ولغة يمتازون بها وقد كُتب في العصور الماضية بعض المؤلفات في أصحاب هذه اللغة وكيف أنّها لا يفهمها أصحاب الفئات الأخرى أو الطبقات الأخرى من المجتمع، فكل طبقة وكل فئة له لهجته، فالتغيّر اللغوي ليس مختصراً على مجتمع دون مجتمع آخر بل أنّ أبناء المجتمع الواحد أيضاً تتفاوت فيه اللهجات وتختلف ويختص كل منهم ببعض الكلمات وببعض الاصطلاحات وببعض الأصوات، ويحدث صراع أيضاً بين لهجات أو لغات هذه الفئات.

كل هذا الصراع يحدث وينتج لهجات جديدة ولغات جديدة ويُسبّب انشعاب اللغة، فإنّ سنّة التغيير في اللغة لا تهدأ ولا تستقر لهذه العوامل الكثيرة فتحدث حتى في أبناء اللغة الواحدة وأبناء اللهجة الواحدة تغيرات وفروق كثيرة ينشأ منها لهجات جديدة ولغات جديدة.

## مناهج البحث في علم اللغة

ونقصد بمناهج البحث: الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل التي يصلون بفضلها من أغراض وما يهدفون إليه من أهداف، أي ما هو الطريق الذي يسلكه العالم اللغوي لكي يصل إلى موضوعات اللغة ليكتشف القواعد اللغوية والظواهر اللغوية ومداليل اللغة والأساليب والأصوات ؟ فما هو المنهج الذي يسلكه ؟

إن في كل علم من العلوم لابد من منهجية في البحث كي يسلكها أصحاب ذلك العلم ليصلوا إلى أغراضهم في مسائلهم وموضوعاتهم التي يتناولونها، وهكذا للغويين مناهجهم في الوصول إلى مسائل هذا الفن وموضوعاته.

طبعاً هناك طرق يشترك فيها كثير من العلوم فتسمى بالطرق العامة، وهناك طرق خاصة تختص بكل علم وفن، وهذه الطرق الخاصة في مسائل العلم الواحد والفن الواحد أيضاً تختلف في هذا الموضوع وهذا الباب عن ذاك فلا توجد طريقة واحدة شاملة تجمع كل هذه الأبواب العلمية، فمثلاً في علم اللغة هناك علم الأصوات وعلم الدلالة وعلم البيان وعلم الصرف وعلم القواعد وعلم البلاغة .. الخ، فكل باب من هذه الأبواب له منهجية في البحث، فالمنهجية التي نسلكها للوصول إلى علم الأصوات ومخارج الحروف وطريقة النطق والأجهزة الصوتية لاشك أنّها تختلف عن تتبع الظواهر اللغوية في المدلولات. هناك طرق عديدة يسلكها اللغوي في منهجيته للوصول إلى مسائل هذا العلم، وأهم هذه الطرق وأقدمها هي طريقة الملاحظة، فاللغوي يلاحظ اللغة والمتكلمين ويلاحظ نفسه ومن خلال هذه الملاحظات يصل إلى مراده من مسائل هذا الفن، فأول طريقة سنتناولها الآن هي هذه الطريقة.

**أولاً – طريقة الملاحظة المباشرة**

ونقصد بالملاحظة المباشرة خلو هذه الطريقة من الأجهزة ومن الأمور الأخرى التي يستعملها الباحث، فعندما نقول الملاحظة المباشرة فنجرد هذه الطريقة عن الأجهزة الصوتية مثلاً أو الأجهزة السمعية فننظر إلى هذه الطريقة مجردة عن بقية الطرق الأخرى فلا نمزج بين الطرق، ونلاحظ دراسة هذه الطريقة وما هي حسناتها وما هي المؤاخذات التي عليها في الجانب الصوتي ؟ وماذا تؤدي بنا الدراسة في هذه الطريقة ؟

طريقة الملاحظة المباشرة مرة تكون في الأصوات ومرة تكون في الدلالات ومرة تكون في أبواب أخرى من علوم اللغة، فالذي يهمنا هنا هو في علم الأصوات بالدرجة الأولى ثم الأمور الأخرى بالدرجة الثانية.

كذلك طريقة الملاحظة المباشرة مرة تكون من الملاحظ الباحث نفسه ومرة تكون من غيره، وتارة هذه الطريقة أن الملاحظ يلاحظ نفسه أي عندما ينطق وعندما يستعمل بعض الكلمات وعندما يعقد التركيبات بين الكلمات أو الجمل، ومرة أخرى عندما يلاحظ غيره، فالملاحظة أيضاً تختلف فمرة ملاحظة ذاتية وأحياناً ملاحظة خارجية، وأحياناً غيره يلاحظه. هذه كلها تشترك في طريقة الملاحظة المباشرة.

نحن ننتقد كل هذه الطرق سواء كانت الملاحظة الذاتية أو الخارجية على التفاوت بين الأمرين، وكذلك الملاحظة مرة في اللغات الحية المعاصرة التي نعيشها فنحن بسهولة جداً نستطيع أن نلاحظ اللغات المحلية أو اللهجات المحلية أو اللغات العالمية فنسمع ونشاهد كيف ينطقون بها ؟ ولكن ماذا نفعل باللغات الميتة ؟ حيث لا يمكن الفصل في الدراسات اللغوية بين اللغات القديمة المندثرة واللغات المعاصرة لابد من وجود دراسة متكاملة حتى نرى كيف تولدت هذه اللغات وما هي العلاقة بين هذه اللغة وتلك ؟ وما هي القوانين التي تحكّمت فيها الصراع اللغوي وفي موت لغة وحياة لغة ؟

إذاً هناك ملاحظة للغات الميتة وطبعاً لا يتسنى لنا ذلك فنرجع إلى كتب تاريخية تتحدث عن هذه اللغات والآثار التاريخية التي تُركت في المواقع المختلفة من العالم فلابد أن ندرسها حتى نعرف تلك الظواهر اللغوية التي سادت ثم بادت. أما ملاحظة اللغات الحية فهي أيسر بكثير من ملاحظة اللغات الميتة. وسواء قلنا بالملاحظة الذاتية أو الخارجية فإنّه لكل من هذه الملاحظات جانب سلبي وجانب إيجابي، فعندما يلاحظ الإنسان الشخص المتكلم فهذا الشخص المتكلم هو في دوره سلبي أي لا يُحدث شيئاً وأنا في دوري مرة أكون سلبياً أيضاً أي لا أوجهه ولا أبيّن له ماذا أريد منه ولا أقيّده فهو يتكلّم لحاله وأنا ألاحظ، ومرة أكون إيجابياً أي أوجهه وأرشده وأسأله فيجيبني فحينئذ تختلف المسألة أيضاً، فهناك ملاحظة ذاتية وخارجية سلبية وهناك ملاحظة خارجية وذاتية ايجابية يتفاعل فيها المُلاحِظ والمُلاحَظ.

هناك انتقادات وُجهّت لهذه الطريقة مع أنها أقدم الطرق وأفضل الطرق وبهذه الطريقة تمكن كثير من العلماء الوصول إلى مختلف أنواع العلوم ومختلف أنواع الظواهر في شتى العلوم بطريقة الملاحظة المباشرة، هناك كثير من الأبواب والفروع والشعب في كل علم من العلوم تمكن العلماء أن يصلوا إليها عن طريق الملاحظة المباشرة، فهذه الطريقة غير مختصة باللغويين فقط، وإنما هو طريق عام يستطيع أن يسلكه الكثير من أصحاب العلوم الأخرى.

ولكن الذي يخصنا في طريق الملاحظة المباشرة ماهي المؤاخذات التي يوجهها العلماء إلى هذا الطريق ؟ وكيف نتجنب تلك المؤاخذات ؟ وماذا ينتج من سلبيات في الجانب الصوتي وجانب المداليل وجانب التركيب ؟

هناك عدة انتقادات وجهّت إلى هذه الطريقة: إنّ الإنسان عندما يريد أن يلاحظ نفسه عندما يتكلّم فحينئذ في ذهنه عزم على الملاحظة فيحدث التشتت والارتباك لأنّه يريد أن يلتفت إلى الصوت أو إلى المدلول ؟ وكذلك عندما يسمع من الآخرين فيسمع يريد أن يلتفت إلى الصوت وطريقة النطق والشدة أو الرخاوة في الصوت أو إلى المدلول أو المعنى ؟ وأيضاً الذي يريد أن يتكلم يصرف ذهنه وعقله وباله إلى الصوت حينها يفقد بعض المدلولات من المعنى، وإذا التفت إلى المعنى يفقد بعض المدلولات إلى الصوت، وإذا التفت إليهما معاً يأتي كلاهما في حالة نقص. ونذكر الانتقادات عبر عدة أمور:

الأمر الأول: النقد هنا حول الملاحظة الذاتية حيث أنّ الإنسان في أثناء اصدار الظواهر اللغوية فإنّ العقل سوف يتوجه إلى ضبط وملاحظة ومراقبة تلك الظواهر كي تكون سليمة ودقيقة حتى تصدر الأصوات وترابط الكلمات والجمل ونغمة الصوت وطريقة توجيه السؤال أو التعجب أو الاستفهام وما شاكل ذلك، كل ذلك يلاحظه العقل فيصدر الظاهرة اللغوية بشكل دقيق، ولكن إذا وزّعنا على قضية أخرى أي شغلنا العقل بقضية الملاحظة الذاتية فحينئذ قوى العقل تكون مشتتة بين إصدار الظاهرة اللغوية وضبطها والمحافظة على الأصول اللغوية والمعاني والدلالات والأصوات وما شاكل ذلك وبين ملاحظة تلك الظواهر، ففي هذه الحالة العقل يضعف في استيعاب الملاحظة كما أنه يضعف في استيعاب الظواهر اللغوية فيأتي كل من اصدار الظواهر اللغوية وملاحظة تلك الظواهر يأتي ناقصاً ولا يأتي بحالة تامة، وهذه من المؤاخذات المهمة التي يلاحظها العلماء على هذه الطريقة. وخلاصته تشتّت قوى العقل بين إصدار الظواهر اللغوية وملاحظة هذه الظواهر.

الأمر الثاني: أنّ الإنسان عندما تقول له أنني أريد ألاحظك في هذه القضية يرتبك فلا تظهر منه الأصوات بشكل طبيعي وانسيابي فيحدث هناك تفاوت، ويخلق أجواء غير مناسبة كما هو الحال في الحالة الطبيعية بينما في الملاحظة المباشرة نريد أن نلاحظ الظاهرة اللغوية بطبيعتها لا بظروف بعيدة وفيها نوع من الارتباك.

الأمر الثالث: أنّ كثيراً من علماء اللغة عندما يلاحظ ملاحظة ذاتية ما يصدر منه من الظواهر اللغوية، في كثير من الأحيان يمتلك بعض من الأحكام المسبقة لتلك الظواهر

فحينئذ يتأثر هو بتلك الأحكام المسبقة ويعمّمها على الظاهرة اللغوية التي يريد أن يلاحظها فيحدث نوع من الخلط بين ما ينبغي أن يتجرد فيه الباحث في الملاحظة الذاتية وبين ما كان له مسبق من النظريات التي قد حصل عليها أو التي اقتنع بها.

الأمر الرابع: أنّ بعض الظواهر اللغوية قد تكون خاصة بنفس الملاحظ الذي يلاحظ ذاته ويحاول اكتشاف تلك الظواهر اللغوية، وهذه الظواهر المختصة بالباحث أحياناً يتخذها كظاهرة لغوية ويعمّمها على الجميع، وهذه من المؤاخذات على طريقة الملاحظة المباشرة لأنّ بعض الظواهر التي يختص بها الباحث لا تصلح أن تكون قاعدة عامة تعمّم على الجميع فبسبب ذلك يؤدي إلى تعميم ما هو خاص على بقية الناس.

الأمر الخامس: أنّ دائرة البحث في الملاحظة المباشرة تكون ضيقة وذلك أنّها لا تشمل أعداداً كبيرة من الناس فقد تشمل مثلاً بعض الأشخاص لأنّه تحتاج إلى وقت كثير ومدة طويلة وإمكانيات واسعة فتكون دائرة البحث ضيقة في حين أن هناك طرقاً أخرى يتسع فيها ميدان البحث.

الأمر السادس: إنّ في الملاحظة الذاتية باعتبار أنّ اللغة تشمل مراحل مختلفة من حياة الإنسان، فالإنسان في بدء حياته وهو طفل صغير لا يستطيع أن يلاحظ ذاته كما أنّه لا يستطيع حتى في حالة السؤال والملاحظة الإيجابية أن يصف الظواهر اللغوية الداخلية والخارجية أثناء اصدار تلك الظواهر، فالطفولة المبكرة لا يستطيع الطفل أن يلاحظ ذاته، فمعنى ذلك أن طريقة الملاحظة المباشرة لا تشمل بعض المراحل في حياة الإنسان، وهذه أيضاً من المؤاخذات المهمة على هذه الطريقة.

الأمر السابع: أنّ الملاحظة الذاتية في الظواهر اللغوية الداخلية التي يتكلم فيها الإنسان، هناك بعض الظواهر اللغوية تحدث في الداخل كحدوث بعض الأصوات في الحنجرة أو التصاق اللسان في سقف الفم أو المواقع التي تُخرج الأصوات، هذه المواقع أيضاً تختلف من حالة لحالة وتحتاج إلى صفة، بعد اكتشاف بعض أنواع الأجهزة أنّ هذه الظواهر اللغوية لم تكن دقيقة وذلك لأن المُصدر للصوت أو الكلام في حالة إخراج الحروف لا يستطيع في

حالة إصداره للصوت أو للكلمة أن يضبط هذا الاصدار وأن يراقب في نفس الوقت كيفية خروج الصوت ومكانه، وقد اكتشف هذا عن طريق الأجهزة الحديثة، فقد لاحظ العلماء أن هناك فروقاً كبيرة وأخطاء كثيرة بين ما يصفه المتكلم وبين ما يسجّله الجهاز للصوت أو النبرة أو للحركات في المد وما شاكل ذلك.

هذا الاختلاف أدى إلى أن يوجه علماء اللغة مؤاخذاتهم لهذه الطريقة ويعتبرونها غير دقيقة في وصف تلك الظاهرة اللغوية.

هناك بعض الملاحظات حاول العلماء أن يعالجوا فيها بعضاً من تلك المؤاخذات التي ذكرناها، المعالجة الأولى: عدم الاختصار على شكل واحد وذلك بضم عدة طرق فلكي نتحاشا مؤاخذات الملاحظات الذاتية نضم إليها الملاحظة الخارجية ولا نكتفي بالداخلية كي نتحاشا الملاحظة السلبية نضم إليها الملاحظة الخارجية بتوجيه أسئلة إلى المتكلم ولا نكتفي بوصف المتكلم للظاهرة اللغوية فحينئذ نتحاشا بعض النواقص.

المعالجة الثانية: التي يمكن معالجة بعض هذه المؤاخذات أنّنا نستعمل الأجهزة إضافة إلى الملاحظة المباشرة فهناك بعض الأجهزة تساعدنا في تشخيص وتحليل الصوت ونبرات الصوت والدقة في هذه النبرات باستعمال الأجهزة بالطريقة التجريبية كما في قضية الكاشف والمدوّن والمسجّل، فباستعمال الأجهزة تتكامل تشخيص الظاهرة اللغوية.

المعالجة الثالثة: تمرين حاسة السمع خاصة في علم الأصوات فهذه القضية مهمة جداً لتجنب المؤاخذات في الملاحظة المباشرة. عادة الاذن الانسانية تخطأ في سماع بعض الأشياء أو لا تشخّص بدقة الصوت فكلما امتدّ العمر بالإنسان كلما ضعفت حاسة السمع وتكون غالباً آذان الأطفال أشدّ احساساً من اذن الشخص الكبير فتلافي هذه الأخطاء التي تستلمها الاذن نحاول أن نجرد الاذن كأن تكون الاذن ذات حس مرهف بحيث تستمع إلى الصوت بدقة وتصفه بدقة حتى يتمكن السامع أو المتكلم أن يحفظ تلك النغمة بشكل دقيق.

طبعاً هذا يحتاج إلى تدريب ولمدة طويلة وعلى مختلف أنواع الأصوات وعلى مختلف أنواع اللغات فلا تختص بلغة واحدة، نحاول أن نجري مقارنة في هذا الموضوع بين مَن يتعلم اللغة مثلاً، فكثير من الناس حينما يريدون أن يتعلموا اللغة في بادئ الأمر عندما يسمع صوتاً

فإنّه عندما يريد أن يقلّده يجد صعوبة وذلك لأن الاستماع لذلك الصوت لم يكن دقيقاً لأنّ ذهنه في تلك الحالة يكون مشتتاً بين فهم الدلالة وبين الصوت، والهدف من السماع هو الدلالة فيصل إلى المعنى وليس هدفه أن يقلّد الصوت، فاللغات الأجنبية نجد صعوبة ببادئ الأمر في تقليد الصوت وذلك لأنّ الأذن غير دقيقة في سماع الصوت، وقد اكتُشِفَت بعض الأجهزة لايصال الصوت إلى الأذن بشكل دقيق بحيث أنّ السامع يشخص بالضبط ماذا يريد أو أين يقع اللسان أو الصوت في تلك الحالة من السماع فقط وذلك عبر مساعدة الجهاز، وهذا يختصر لنا الزمن في عملية التعلم وخاصة باللغات الأجنبية. ويضربون مثالاً على ذلك أنّ الإنسان في حالة استماعه لأصوات الآخرين فيقولون نحن نحذف حرف من كلمة ونطلق الجملة فنقول: «بسكين هذا الرجل» فالسامع العربي لا يتبادر إلى ذهنه أنّنا غيّرنا حرف الميم بالباء لأنّ ذهن السامع ينصرف إلى المعنى الكلي الاجمالي من دلالة الكلمات ودلالة الجملة فلا يشخّص هذا الخطأ.

هذه العملية اللغوية تستعمل في كثير من الأحيان ويُخطئ الإنسان ويكتشف خطأه ولكن السامع لا يكتشف الخطأ وذلك لانصراف الذهن إلى المعنى الاجمالي، ونفس الشيء يحدث بالنسبة إلى تعلم اللغات فعندما يريد الإنسان أن يتعلم اللغة يقع في هذا الإشكال فإنّ ذهنه ينصرف إلى المعنى العام وكلّما وُزّعت قوى العقل على فعاليات متعددة كلما ضعف العقل في تشخيص ظاهرة من الظواهر لأنّ التركيز على ظاهرة محددة يكون العقل فيها منتجاً قوياً بينما إذا وُزّعت قوى العقل على فعاليات متعددة فحينئذ تضعف تلك الفعاليات بآن واحد، حتى أنّ الكلمات الأجنبية حينما يريد أن يقلّدها السامع المتعلّم للغة الأجنبية يكرر الكلمة مراراً وقد يُخطئ في أن يصدر الصوت الذي يريد أن يصل إليه.

هذه هي العلاجات لطريقة الملاحظة المباشرة في علم الأصوات نستفيد منها خاصة في تمرين حاسة السمع كإيجاد سامع ذي حِسٍّ مرهف لتشخيص الأصوات، فبعض الناس عندهم حس مرهف أدق من الأجهزة بحيث حتى الأجهزة الدقيقة الحديثة لا تصل إلى دقة حاسة السمع عند بعض الناس.

مع هذا أنّ كثيراً من الناس عندما يتكلم يُكتشف لأول وهلة أنه من المدينة الفلانية والسبب في ذلك التفاوت في علم الأصوات، فأحياناً نفس الكلمة ولكن طريقة النغمة أو الصوت هي التي تشخص أنّ هذا المتكلم من البلدة الفلانية أو من القرية الفلانية. مثلاً في العراق سكان مدينة الموصل عندما يتكلمون تختلف طريقة استعمالهم للكلمات وللحروف بأصوات وبنغمات خاصة تختلف عن أهل الوسط، وأهل الوسط يختلفون عن أهل الجنوب وهذا ما حدى بالعلماء إلى إيجاد ما يُسمى بالكتابة السمعية وهذه من العلاجات المهمة في قضية الأخطاء اللغوية أو الأخطاء الصوتية.

الكتابة السمعية علاج مهم، فمثلاً عندما نقول كلمة «واللهِ» في حالة القسم فاللام هنا مفخمة بينما عندما أقول «بِاللهِ» فاللام هنا مرققة فهو قسم في كلا الحالتين من حيث الدلالة اللغوية، ومن حيث الكتابة الإملائية لا يوجد فرق بين اللام في الكلمتين فيتساويان بينما إذا أردنا أن نوجد كتابة سمعية أي كتابة صوتية فنكتبُ بما نسمع أي أن الكتابة تصف لنا الصوت، وهذا نفتقده في اللغة العربية وكذلك في بقية اللغات.

وهذه من المشاكل العويصة للغويين حيث أنّه في الاملاء يكتبون ما لا ينطقون أو بتعبير أدق الكتابة السمعية مفقودة لهؤلاء ولذلك يقعون في أخطاء كثيرة. والمشكلة تكون أكثر تعقيداً في حالة الحروف الصامتة فبعض الحروف تُكتب ولا تُنطق فتربك القارئ وتربك السامع فنحتاج لحل هذه المشكلة اللغوية الصوتية إلى إيجاد ما يسمى بالكتابة السمعية. والكتابة السمعية مثال فقط فمثلاً حرف الجيم عندما نقول كلمة «جامعة» فحرف الجيم يُنطق بأشكال مختلفة فاللبناني ينطقها «شامعة» والمصري «كامعة» والعراقي «جامعة» ولكن من حيث الكتابة غير السمعية نجد أن الجميع يكتبونها بشكل واحد بينما لو كانت لنا كتابة سمعية تفرّق بين الشين والكاف والجيم حينئذ السامع والقارئ سوف يميّز بين أنواع الجيم وهذا ليس فقط في حرفي الجيم واللام بل يشمل بقية الحروف، فمثلاً حرف القاف أيضاً فهناك لهجة حميرية يمنية قديمة ينطقون القاف بالگيم، قال شاعرهم:

رميتُ بگدر الگومِ فانگلبت

نحنُ عندما نقرأ هذا الشطر من الشعر نقول: رميتُ بقدرِ القومِ فانقلبَت

بينما الشاعر اليمني يقرأ القاف كيم، وحتى الآن في خطب الجمعة وبعضهم حتى في القراءة القرآنية ويقول: «گال رسول الله (ص)» ولا يقول «قال» لأنّ عنده القاف ينطقها «گاف» وهذه تعتبر لهجته، وهذه ليست حديثة فمن قبل الإسلام ينطقون القاف بطريق الگاف، فلو لم نعلم نحن بهذا الفرق من ناحية روائية أنّ الرواة كانوا يروونه بالگاف وليس بالقاف فإنّنا من حيث الكتابة الروائية لا نفرّق بين القاف في حالة كونها قافاً والگاف في حالة كونها كافاً.

كذلك مثلاً حرف «چ» ففي جنوب العراق عندما نخاطب المؤنث نقول «عليچ» أو «وياچ» والتي بالأصل يسمونها الكشكشة فلها أصل لغوي ولكن ليس لها كتابة سمعية، قال شاعرهم: عينّاش عينّاها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

نحن في جميع اللهجات العربية نقول:

عيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ولكن عظم الساق منكِ دقيق

قول الشاعر في حالة الكشكشة وكما في جنوب العراق والكويت وبعض الدول الخليجية يقول مثلاً «عينچ»، هذا الاختلاف معناه أن اللهجات في جنوب العراق والتي في بعض دول الخليج عندما يستعمل الجيم المثقلة «چ» بدلاً من الكاف إنما هي لغة عربية أصيلة وبقيت آثارها إلى الآن تستعمل ولكن بالكتابة الإملائية لا نفرّق بين الكاف والكاف المستعملة «چ»، فإذا أوجدنا الكتابة السمعية في اللغة العربية فحينئذ نكتشف أن هناك فروقاً كبيرة جداً بين ما ننطق وبين ما نكتب. والحمد لله أن اللغة العربية فيها قليل جداً الحروف الصامتة كالحروف الشمسية مثل كلمة «الشمس» فلا ننطق حرف اللام، أما اللغات الأوروبية أو اللغات الآرية ففيها المزيد من هذه الاشكالات اللغوية إذا ضممنا الفروق باللهجات.

**ثانياً – طريقة استعمال الأجهزة**

هناك طريقان في استعمال الأجهزة: الأول الطريق الذي يُسجّل لنا العلامات، والثاني هو التدوين المباشر. وقبل أن نبدأ بتدوين العلامات نشرح أولاً التدوين المباشر.

التدوين المباشر: الإنسان عندما يريد أن يسجّل ملاحظاته اللغوية من حيث مخارج الحروف وموقع اللسان في كل حرف والمدة التي يبقى فيها اللسان في مخرج الحرف، في

طريقة التدوين المباشر أول مَن استعمل هذه الطريقة هو العالم اللغوي «مالي» في حدود سنة ١٨٩٠م فبدأ بالتدوين المباشر بالشكل الآتي: يأتي بما يُسمى سقف الفم من مادة جيرية لينة سريعة التأثر فيضع في فم المتكلم غلافاً جيرياً أشبه بالمادة الكلسية أو المادة البلاستيكية الخفيفة جداً وسريعة التأثر فيضغط على سقف الفم بحيث يطابق اللهاة فيرسم صورة دقيقة إلى مجسمة إلى سقف الفم ويطلب من المتكلم أن يتكلم فكلما ينطق بحرف ويضع المتكلم لسانه على سقف الفم فإنّه يترك أثراً على هذه المادة الجيرية أو ما يسمى بسقف الفم الصناعي ويخرج هذه المادة فيلاحظ بالضبط أين موقف الحرف، ويجري التجربة على عدة أشخاص وذلك لأنّ بعض الأشخاص يظهرون مخرج الحرف بطريقة مخلوطة فلا يريد أن يعمّم الخطأ كظاهرة لغوية على الجميع، فيحاول أن يستعمل هذه الحالة لعدة أشخاص أسوياء حتى يشكّل من هذه الظاهرة حقيقة علمية.

هذه العملية لا تحتاج إلى أجهزة سمعية أو أجهزة صوتية وإنما هذه العملية عبارة عن وصف مباشر عن طريق شيء بسيط وهو هذه المادة الجيرية التي تُلصق في فم الإنسان وتُبدي بالضبط مخرج الحرف. وهذه طريقة علمية ودقيقة أيضاً وسهلة وغير مكلفة وفي ذلك الوقت لم تُكتشف هذه الأجهزة الموجودة الآن.

أما طريقة العلامات فهي عبارة عن مجموعة أجهزة، كل جهاز فيه ثلاثة أمور، فكل جهاز يحتوي على أولاً الكاشف وهو الذي يلتقط الذبذبة الصوتية باعتبار أن الحنجرة تصدر أمواجاً صوتية فالكاشف يكتشف هذا الصوت. وثانياً المدوّن وهو كالمؤشر فيتحرك هذا المؤشر تبعاً للموجة الصوتية. وثالثاً المسجّل وهو الذي يسجّل الصوت على اسطوانة فيسجّل الذبذبات الصوتية على هذه الاسطوانة.

وهذه كانت بداية اكتشاف المسجلات وبداية اكتشاف بعض المؤشرات التي تتأثر من الناحية الصوتية بالذبذبة، حيث أن سمع الإنسان له قابلية على السمع تتراوح ما بين ٢٠ ذبذبة في الثانية إلى ٢٠,٠٠٠، أي أن الذبذبات الصوتية الصادرة من الحنجرة ممكن أن يستعملها الإنسان بهذا القدر وممكن أن تفوق ذلك ولكن لا يسمعها، كذلك الأصوات الموجودة في الطبيعة فما كان دون العشرين لا نسمعه وكذلك ما كان فوق العشرين ألف أيضاً لا نسمعه،

فالكاشف والمدوّن والمسجّل يُسجل الظواهر الصوتية المنحصرة بين ٢٠ – ٢٠,٠٠٠، ولكن بعض الناس لعدم امتلاكهم سمع مرهف فقد لا يسمع هذه الذبذبات القريبة من العشرين بينما الأجهزة في هذه الحالة تكون أدق من حاسة السمع فتسجّل كل الأصوات بشكل دقيق.

فيوضع جهاز على الرئة وجهاز على الحنجرة وجهاز على الفم وكل جهاز يحوي ثلاثة أشياء (الكاشف، المدوّن، المسجّل)، وهذه الطريقة هي طريقة جيدة ودقيقة، وهذه الطريقة تطورت كثيراً عن السابق فلم تكن كما هو الحال الآن فالأجهزة أدق كثيراً من السابق كما يُستفاد منها في تعليم الصم والبكم وفي تعليم اللغات الأجنبية. وهناك ملاحظة مهمة حول ما يتعلق بعلم الدلالة لابد من الإشارة إليها، الأجهزة يضعف استعمالها في موضوع علم الدلالة والسبب في ذلك أنّ علم الدلالة يتعلق بقضايا عقلية وقضايا معنوية لأنّه يتعلق بدلالة الكلمة ومعناها، بينما هذه الأجهزة تتعلق بقضايا مادية، وبما أن النطق قضية مادية ولذلك تعتبر هذه الأجهزة طريقة ناجحة جداً وميسرة في عملية النطق والصوت وليست ناجحة في عملية علم الدلالة لأنّه يتعلق بقضايا معنوية ولا مادية.

**ثالثاً – الطريقة التجريبية**

وهذه الطريقة قد يُستعمل فيها الأجهزة وقد لا يستعمل فيها الأجهزة، وهذه الطريقة ليست مقتصرة على البحوث اللغوية بل أنّ البحوث العلمية الأخرى قد سبقت علوم اللغة والعلوم الإنسانية أجمع في استعمالها، فهناك في علوم الطبيعة والفيزياء والكيمياء وأيضاً علوم الجغرافيا والفلك والبحار استُعلمت هذه الطريقة.

الطريقة التجريبية يخلق جو للظاهرة المراد دراستها، فمثلاً يريدون أن يدرسوا ظاهرة علمية في الفيزياء فيحاولون إيجاد تلك الظاهرة أو ظاهرة من الظواهر الطبيعية يحاولون إيجاد تلك الظاهرة ثم دراسة الآثار المترتبة على هذه الظاهرة ونتائجها والعوامل التي تشترك في إيجادها فلا ينتظرون الزمن الطويل لكي تحدث هذه الظاهرة ثم يدرسونها وهذه الطريقة تختزل الزمن بشكل كبير جداً، وقد استُعملت هذه الطريقة في شتى ميادين العلوم وقد استفادت منها العلوم الإنسانية أيضاً ولكن بشكل أقل فائدة من العلوم التجريبية باعتبار أن العلوم الاجتماعية ليس من السهولة فيها اخضاع القضايا الاجتماعية للتجربة فلا يمكن إيجاد مجتمع وتبدلات

كما يوجد في المختبر لذلك اقتصرت في هذه الناحية على بعض الأبواب من العلوم الإنسانية ولم تمتد كامتدادها في العلوم الطبيعية.

في علم اللغة يمكن الاستفادة من هذه الطريقة وكذلك في علوم الدلالة وأيضاً يمكن الاستفادة من هذه الطريقة في علم الأصوات، ولكن الفائدة في علم الأصوات أكبر وأكثر باعتبار أنّ هذا العلم يستند إلى أجهزة النطق وهذه الأجهزة قضية مادية خاضعة للتجربة بينما قضايا الدلالة لا تخضع للتجربة، فعلماء اللغة استفادوا من هذه الطريقة في احداث الأصوات وسماع الأصوات وايجادها وبتصوير الأصوات أو تسجيلها وإحداث تغيّرات ملائمة لهذه الظاهرة، ففي علم الأصوات هذه الطريقة أكثر عملياً وأدق.

ولكن مع هذا استفادوا في علم الدلالة بتوجيه بعض الأسئلة مثلاً إلى الإنسان ويطلبون منه أن يصف حالة معينة كقضية انفعالية أو منظر من مناظر الطبيعة فيتكلمون معه ويسألونه بعض الأسئلة وأثناء توجيههم لهذه الأسئلة يستفيدون من إجاباته في العوامل المؤثرة في الترابط اللغوي والانفعالات وأسلوب التعبير هذا بالنسبة للدلالة والمعاني.

وأما في علم الأصوات فإنّ القضية محصورة بالأجهزة السمعية والصوتية وأجهزة النطق وكيفية تأثير بعض الأصوات أو بعض الكلمات أو بعض الجمل على نسق الصوت أو على الموسيقى الصوتية أو على مخارج الحروف أو على طريقة طرح السؤال أو التعجب أو النهي أو الأمر أو ما شاكل ذلك.

فالطريقة التجريبية لها فائدة كبيرة جداً في علم الأصوات واستُعلمت منذ نهاية القرن التاسع الهجري إلى أن وصلت الآن إلى درجة كبيرة من التطور.

**رابعاً – قياس الغابر على الحاضر**

الغابر هي العصور الماضية التي انقضت وعاش فيها أجيال من الناس ومن المجتمعات بلغات متعددة وهذه العصور قد غابت عنّا ولا نعلم منها إلا آثارها، أما نحن فنعيش ظاهرة اللغة ونعيش التطور بشكل حي، فكل ما يبدو لنا من هذه الظواهر نحاول أن نقيس عليها الأمور الماضية. ولكن قضية قياس الحاضر على أمور الغابر فيها نقد كبير يوجهه

علماء اللغة، وهي أن الظاهرة الاجتماعية لا يمكن أو من الصعوبة تكرارها الآن في الحاضر وأن نقيس الماضي عليها – أن نقيس الغابر على الحاضر – فلا يوجد اتحاد في طبيعة التفكير مثلاً وفي المستوى الثقافي والحضاري وكون المجتمع وصل إلى درجة من التقدم العلمي والتكنولوجي ويختلف عن المجتمعات السابقة.

وتعتبر هذه المؤاخذة من المؤاخذات القوية جداً على هذه الطريقة مما لا يسمح الأخذ بها في كثير من أبواب اللغة ويقاس الغابر على الحاضر.

**خامساً – طريقة الموازنة بين اللغات**

يأتي الباحث اللغوي يدرس مختلف أنواع اللغات ويدرس الظواهر المشتركة بين هذه اللغات، فيدرس القواعد في النحو فعندما يدرس هذه الظاهرة يكتشف أن بعض اللغات تشترك مع البعض الآخر في قاعدة ما فمن هذا الاشتراك يصنّف هذه اللغة إلى فصيلة ما.

سابقاً قبل اكتشاف اللغة السنسكريتية كانوا لا يرجعون فصيلة اللغات الأوروبية واللغات الهندية إلى فصيلة واحدة، فلما اكتشفوا اللغة السنسكريتية، اكتشفوا بأن في اللغات الهندية والآرية واللغات الأوروبية هناك عدة ظواهر مشتركة في القواعد اللغوية وفي الأصول التي انحدرت منها الأصوات أو الكلمات فبعض الكلمات انحدرت من أصل واحد أرجعوا تلك الكلمات فوجدوا أنّ هناك أصلاً واحداً انحدرت منه هذه الكلمة، مثلاً عندنا في أغلب اللغات الأوروبية هناك قاعدة المفرد والجمع، ففي اللغات الأوروبية والآرية عندما يجمعون يبدأون بالمثنى فالمفرد واحد والجمع يبدأ من رقم (٢) اثنان فصاعداً فمثلاً كتاب Book مفرد ولا يوجد عندهم مثنى «كتابان» وإنما هو الجمع كتب Books فإذا كان هناك كتابان يقولون «كتب Books».

هذه الظاهرة موجود في اللغات الآرية كالفارسية والأفغانية والأردوية وكذلك في اللغات الأوروبية، فلما اكتشفوا هذا الأصل فبطريقة الموازنة بين اللغات قالوا إنّ اللغات الهندية، الآرية والأوروبية كلها ترجع إلى فصيلة واحدة أي أنها انشعبت من أصل واحد، فقالوا فصيلة اللغات الهندية الأوروبية.

كذلك هناك ظاهرة أخرى تميّز هذه الفصيلة عن فصيلة اللغات السامية، كظاهرة الصفة والموصوف للمذكر والمؤنث واحدة في اللغات الهندية الأوروبية فمثلاً نقول للمذكر والمؤنث: This is a teacher وهكذا في اللغة الفرنسية والايطالية والألمانية وباقي الدول الأوروبية فكلهم لا يميّزون بين المذكر والمؤنث في الصفة، وكذلك في اللغات الآرية كاللغة الفارسية والهندية فلا يميزون بين المذكر والمؤنث في الصفة. بينما في فصيلة اللغات السامية يميّزون بين المذكر والمؤنث فيقولون: «هذا معلم» للمذكور، و«هذه معلمة» للمؤنث. وهناك ظواهر أخرى كقضية المضاف والمضاف إليه حيث أن اللغات الآرية والهندية والأوروبية يقدّمون الصفة على الموصوف إليه فيقولون مثلاً «هذا عجوز رجل» This is an old man بينما في اللغات السامية كاللغة العربية تقدّم الموصوف على الصفة «هذا رجل عجوز»، وهكذا بالنسبة للمضاف والمضاف إليه ففي اللغة السامية كالعربية نقول «هذا كتاب علي» بينما في اللغات الهندية والأوروبية والآرية يقدمون المضاف إليه على المضاف فيقولون: This is Ali's book.

فعندما يأتي الباحث اللغوي ويوازن بين اللغات ويكتشف ظواهر مشتركة كالأمثلة السابقة فيبدأ في تصنيف هذه اللغات تبعاً لهذا المشترك، فاللغويون من الغرب واللغويون من الشرق أكتشفوا – وخاصة اللغة العربية التي اشهر باحثوها أشد من غيرهم في هذه العلوم – هذه الموازنات وهذه الظواهر المشتركة وأخذوا على ضوء ذلك يصنّفون مجموعة اللغات.

**سادساً – الطريقة الاستنباطية**

وهذه الطريقة فيها عدة أسس وقواعد تابعة لعلم المنطق حيث أن لحوقها أكثر من علم اللغات، ولكن اللغويين يستعملون الأسلوب الأول وهو التلازم في الوقوع في بعض القضايا اللغوية، بمعنى كلما وقعت حادثة ما وقع معلولها أو وقعت نتائجها، فالتلازم في الوقوع إذا حدث شيء حدث معلوله، والتلازم في التخلف إذا لم يحدث شيء لم يحدث معلوله. وهذه الطرق تُدرس في المنطق وليس محلها هنا ولكن يهمنا التلازم في الوقوع فيُستفاد من الطريقة الاستنباطية في حدوث ظاهرة كلما حدثت ظاهرة أخرى فمثلاً الرفع كلما جاء الفاعل فيأتي مرفوعاً، فعندما أدرس هذه الظاهرة في اللغة العربية فمثلاً كلما وقع الاسم مفعولاً به يكون

منصوباً فأكتشف أن المفعول به في اللغة العربية دائماً منصوب وأنّ الفاعل في اللغة العربية دائماً مرفوع، فهذه الحالات التلازم في الوقوع كلما وقع شيء وقع شيء آخر هذه أيضاً تفيدنا كثيراً في هذا الجانب فقط، ويندر استعمالها في بقية الأشياء.

هذه هي الطرق الست تقريباً هي أشهر الطرق التي استُعملت في البحوث اللغوية وفي مناهج البحث اللغوية.

## تاريخ البحوث اللغوية

باعتبار أن كل علم من العلوم له تاريخ، كيف نشأ علم اللغة وكيف تطور ؟ وكيف دُرست قواعده ؟ وما هي موضوعاته التي يدرسها الباحثون ؟ فالبحوث اللغوية لها تاريخ ولها نشوء ولها فروع، وأهم فرع ندرسه هو النحو والصرف.

**أولاً – النحو والصرف**

الهدف من النحو هو ضبط القواعد التي يسير عليها اعراب الكلمات والجمل، أي ضبط اللسان من أن يقع في الخطأ، وأما الصرف فيمنع اللسان أيضاً من الوقوع في الخطأ في بنية الكلمة فكأن الصرف يبحث في القضايا البنوية كحروف الكلمة وميزان الكلمة والنحو يبحث في قضايا الاعراب. فكلا العلمين يعصم اللسان من الوقوع في الخطأ.

إنّ العرب كانت تتكلم على السليقة فلا يوجد لغة عامية ولغة فصحى، ولكن كانت هناك لهجات بين القبائل فبعض الدلالات تختلف من قبيلة إلى أخرى.

بعد الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام إلى أناس ليسوا من العرب ودخول بعض الأعاجم في الإسلام فشى اللحن في اللغة أي بدأت الأخطاء النحوية تظهر حتى لبعض العرب فالحريصون على اللغة وعلى القرآن الكريم أرادوا أن يعصموا ويحفظوا هذا اللسان العربي من الخطأ فأرادوا أن يضعوا قوانين وقواعد لغوية تعصم اللسان من الخطأ وهناك عدة قصص في هذا المجال، ولكن المشهور أنّ أول واضع للنحو العربي هو أبو الأسود الدؤلي الذي هو من أصحاب أمير المؤمنين الإمام علي (ع) حيث رُوي أن ابنة أبي الأسود قالت له: ما أجْمَلُ السمَاءِ ؟ فقال: نجُومُهَا، قالت: أنا لا أستفهِمُ يا أبتاه بل أتعجب. فقال: إذا أردتِ أن تتعجبي

فافتحي فاكِ وقولي ما أجمَلَ السَمَاءَ ! فأخبر بذلك عليّاً (ع) فبدأ الإمام (ع) بالإملاء على أبي الأسود الدؤلي في صحيفة وبدأ (ع) يقسّم فقال: الكلمة اسم وفعل وحرف، فالاسم كذا والفعل كذا، وكان (ع) يملي على أبي الأسود وهو يكتب ثم قال (ع) له: «انحو هذا النحو» فمن هذه الكلمة التي صدرت من الإمام علي (ع) سمّي هذا العلم «نحو».

فبدأ أبو الأسود الدؤلي يُضيف على تلك القواعد العامة التي أملاها عليه الإمام علي (ع) وجاء بعده أناس كثيرون طوّروا هذه البحوث النحوية، وكان علم النحو وعلم الصرف يُدرسان سويةً، ولكن في نهاية القرن الأول الهجري بدأ الانفصال بينهما.

هناك عدة علماء من المتقدمين في هذا الباب، فأول مَن أسس هذا العلم هو أمير المؤمنين الإمام علي (ع) الذي أملاه على أبي الأسود الدؤلي، ثم عنبسة الفيل، عبد الله بن اسحاق الحضرمي، يحيى بن يعمر، نصر بن عاصم، الأخفش الأكبر، عمرو بن العلاء، ميمون الأقرن. هذا الرعيل الأول من النحاة الذين بحثوا في علم النحو وأسسوا أسسه ووضعوا قواعده، وكان النحو والصرف يدرسان سويةً في باب واحد ولم ينفصلا إلا في أواخر القرن الأول الهجري.

كانت هذه مقدمة لنشأة علم النحو، وأما نشأة علم الصرف فالأرجح والغالب أنّ أبا مسلم معاذ الهرّاء من المدرسة الكوفية هو أوّل مَن بحث في علم الصرف وأوّل مَن وضع باباً مستقلاً لعلم الصرف، ويُعتبر هو المنشئ لهذا العلم. ويرجع في ذلك إلى أستاذه الذي درس أيضاً على يد الإمام علي (ع) وهو أبو الأسود الدؤلي.

الرعيل الثاني من المدرسة الكوفية والأول الذين اشتهروا في علم النحو منهم عيسى بن عمر الثقفي الذي ألّف عدة مجلدات في علم النحو، وأبو جعفر الرؤاسي الذي ألّف كتاب «الفيصل في علم النحو»، واشتهر من النحاة البصريين الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العبقرية والعقلية الكبيرة الذي اشتهر في النحو وفي الصرف واشهر ما اشتهر فيه علم العروض حيث أنّه هو الواضع الأول لعلم العروض.

وأوّل كتاب ألّف في المعاجم اللغوية هو كتاب «العين» في علم اللغة والمفردات حيث وضعه الخليل الفراهيدي على أساس مخارج الحروف، فابتدأ بحروف الحلق وانتهى بالحروف

التي تخرج من الشفتين، فأعمق حرف في اللغة هو العين «ع»، فلذلك سُمّي كتابه «العين» فابتدأ بحروف الحلق الستة والتي هي: العين والخاء والحاء والهمزة والقاف والغين، وتدرج إلى أن وصل إلى حروف الشفتين، ولكن وافاه الأجل قبل أن يتم كتابه هذا فأكمل جماعة كتاب العين بعد نصف قرن من وفاة الخليل الفراهيدي.

من المحدثين البصريين بعد الرعيل الأول «سيبويه» الذي يُعتبر هو إمام النحاة البصريين واشتهر بكتابه المسمى «الكتاب» فهو أول مؤلَّف وُضع في علم النحو، وهو تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان يقول: «كلما أقول سألته فأعني به الخليل، وكلما أقول قال فأعني به الخليل أيضاً». ومن المحدثين البصريين من الرعيل الثاني الأخفش الأوسط الذي شرح كتاب سيبويه، وهكذا أبو علي الفارسي، وأبو القاسم الزجاج، والمازني، والمبرد، وهؤلاء يُعتبرون أئمة النحو البصري والرعيل الثاني.

وأما من الكوفيين فالكسائي الذي يُعتبر زعيم المدرس الكوفية في النحو، والفراء صاحب كتاب «الحدود»، وابن السكيت، وابن خالويه صاحب كتاب «ليس» في علم النحو وله كتاب «رسالة في اعراب ثلاثين سورة من القرآن»، وأيضاً ابن جني الذي اشتهر في علم اللغة وفي النحو له كتاب «سر الصناعة» وشرح ابن جني «التصريف» للمازني ولكنه أكثر ما اشتهر في فقه اللغة في كتابه «المحتسب».

ومن المتأخرين الزمخشري وله كتاب في علم النحو ويُعتبر من أهم الكتب النحوية بعد كتاب سيبويه وهذا الكتاب اسمه «المفصّل في علم العربية» ولهذا الكتاب شروح عديدة تكاد أن تصل إلى مائة شرح منها المطبوع هو شرح ابن يعيش.

وهناك أيضاً شرح الخوارزمي وشرح الإمام الرازي، وممّا وُفقت فيه في دراستي للدكتوراه هو كتاب شرح المفصل للرازي اسمه «عرائس المحصل من نفائس المفصل» الذي ألّفه محمد بن عمر الرازي صاحب كتاب «مفاتيح الغيب» في تفسير القرآن الكريم.

ومن المتأخرين أيضاً ابن الحاجب الذي ألف «الكافية والشافية» في علم النحو وهي من الكتب المهمة، وابن معطي الذي ألف «الألفية» في علم النحو، أي على ما يزيد من ألف بيت من الشعر، وكانت تُدرس في الحوزات العلمية في النجف الأشرف، وهذا الكتاب سابق

لألفية ابن مالك. وكذلك من المتأخرين ابن مالك وله كتاب «التسهيل» في علم النحو وكتاب «الكافية الشافية» وأكثر ما اشتهر به ابن مالك هو «الألفية» التي شرحها ابن عقيل، وهو أشهر كتاب حالياً في العالم العربي فهو يدرّس في الجامعات كما يُدرس هنا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية وهو من أربعة أجزاء بمجلدين.

ومن العلماء الذين اشتهروا في هذا العصر من المتأخرين السكاكي صاحب «مفتاح العلوم» وهو في البيان والبديع، وكذلك ابن هشام الأنصاري الذي يعتبر أشهر نحوي وقد ألّف كتاب «القطر» و«التوضيح» و«الشذوذ» وأهم الكتب وأشهرها «المغني» وهذا الكتاب يُدرس في الحوزات العلمية في النجف الأشرف وفي قم بعد كتاب ابن عقيل «شرح ألفية ابن مالك».

**ثانياً – علوم البلاغة**

ويشمل علم البلاغة ثلاثة علوم:

١- علم المعاني وموضوعه ما ينبغي أن يكون عليه الأسلوب العربي ليطابق مقتضى الحال وليعبّر عن المراد أبلغ تعبير.

٢- علم البيان وموضوعه شرح المناهج التي يسلكها الأسلوب العربي في استخدام التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية.

٣- علم البديع وموضوعه دراسة المحسّنات اللفظية والمعنوية التي يحتملها الأسلوب العربي.

وعلى ضوئها ألّفت الكتب في علوم البلاغة والبيان والبديع والمعاني، وألّفت الكثير من الكتب في هذا الباب، ودُرس ضمن هذا الباب بلاغة واعجاز القرآن الكريم وبيان النكت البلاغية والاعجازية في القرآن الكريم. واشتهر في هذا الباب علماء ألّفوا في هذا المضمار، فمن القدماء الذين ألّفوا في هذا الباب أبو عبيدة حيث ألّف كتاب «مجاز القرآن»، والجاحظ الّذي ألّف كتاب «اعجاز القرآن»، وكتاب «البديع» لابن المعتز، وكتاب «الصناعتين» في العلوم الثلاثة لأبي هلال العسكري الذي يُعتبر أوّل مَن ألف في هذا الباب أي جمع هذه العلوم الثلاثة (المعاني، البيان والبديع) ووضعها في كتاب واحد. وكذلك من المتأخرين بعد هؤلاء السكاكي الذي ألف كتاب «مفتاح العلوم» في هذه العلوم الثلاثة وجاء بعده الخطيب القزويني

فهذب ولخّص مفتاح العلوم وألف فيه. وهناك الكثير ممّن ألف في الاعجاز القرآني وفي البلاغة منهم عبد القاهر الجرجاني الذي ألف «أسرار البلاغة»، وكذلك الزمخشري.

**ثالثاً – علم القراءات**

ونقصد بها القراءات القرآنية وموضوعها بيان الوجوه التي قُرِءت بها آيات الذكر الحكيم، باعتبار أنّ القراءات القرآنية متعددة. كان الرسول (ص) يخاطب القبائل العربية بالقرآن الكريم فكان يتكلم باللغة العربية التي هي لغة قريش التي نزل بها الوحي، فالقرآن الكريم نزل بلغة قريش في الأعم الأغلب وفي بعض الأحيان ببعض لغات العرب.

صحيح أن العرب تجمعهم اللغة العربية ولكن أيضاً لهم لهجات شتى مختلفة، فالرسول الأعظم (ص) كان أحياناً يتكلم بلغة بعض هذه القبائل والمقصود بلغة القبيلة أي اللهجة فكان الرسول (ص) يتكلم بلهجة القبيلة التي يجري الحوار معها.

القرآن الكريم عندما يسمعه أهل القبائل فإنّهم عندما يتلونه فإنّهم يتلونه بلهجتهم الخاصة ولذلك عندما نراجع كتب التفسير نجد أنّه في كل باب بعد أن تورد الآيات هناك اعراب القرآن الكريم وهناك القراءات القرآنية، والقراءات وفقاً للهجات، فالرسول (ص) أحياناً ينطق بلهجة تلك القبائل ويروون هذا الحديث الشريف عندما جاءه أحدهم من قبيلة حمير وكانوا عندما يلفظون أداة التعريف «ال» فإنّهم يلفظونها «ام» فعندما جاءه أحدهم يسأله عن الصيام فقال: «هل من امبر امصيام في امسفر»[1] ؟ فأجابه (ص): «ليس من امبر امصيام في امسفر».

فموضوع القراءات من الناحية اللغوية يكشف لنا عن اللهجات العربية التي كانت سائدة آنذاك وكيفية تأثر هذه اللهجات بلغة قريش وأن الوحي نزل بأنضج لهجة في تلك اللهجات وهي لهجة قريش. فهناك عدة قراءات فهذه القراءات ترجع إلى اختلاف القبائل من حيث هي، وليس من حيث نزول القرآن الكريم حيث أن القرآن نزل بلغة واحدة وبقراءة واحدة، ولكن من أين جاء تعدّد القراءات ؟

---

(١) وكان يقصد هل من البر الصيام في السفر، وبما أن «ال» التعريف كان يلفظونه «ام» فكان سؤاله هكذا.

جاء تعدد القراءات من اختلاف القبائل العربية في لهجتها، فكل قبيلة تقرأ الآيات القرآنية بلهجتها ولذلك نرى التفاوت في القراءات القرآنية. ولذلك ألّفت عدة كتب في هذا المجال، فإلى ما قبل العصر العباسي كانت القراءات تؤخذ بالتلقين فلم تكن هناك قراءات مدونة وإنما كان هناك مشايخ يلقنون تلاميذهم وهؤلاء التلاميذ يأخذون من مشايخهم عن طريق التلقين والسماع. ففي بداية العصر العباسي بدأ عصر التدوين في علوم القراءات، فأخذت القراءات تدوّن وتكتب، وأخذت كتب القراءات تدرّس في ذلك العصر فأخذوا يدرسون القواعد والأسس التي يُقرأ بها وسند تلك القراءات ومَن هو الضعيف ومَن هو الشاذ ومَن هو النادر في تلك القراءات، فصنّفوا قراءات سبعية اختارها بعضهم كما درّسها الأستاذ المرحوم الإمام آية الله العظمى السيد الخوئي (قدس) وبحث فيها بحثاً عميقاً في كتابه «البيان في تفسير القرآن» وأثبت أنّها لم تكن متواترة وأنها قراءة آحاد.

والهدف فيما يخصنا من علم اللغة في دراسة هذه القراءات هي أولاً أننا نكتشف من خلال القراءات لهجات القبائل العربية، والهدف الثاني أنّ القراءات العربية باختلاف اللهجات فيها اختلاف الأصوات، فندرس اختلاف الأصوات واختلاف مخارج الحروف وكذلك المدود والوقفات أي ما يُسمى بعلم التجويد، فمتى نقف وما مقدار المد ؟ الاقلاب والاظهار والإدغام فكل هذه الأمور تُدرس من خلال علم القراءات.

وفي حضن علم القراءات نشأ علم التجويد والذي سنخصّص القسم الثاني من هذا البحث في علم الأصوات إلى علم التجويد وفن التلاوة إن شاء الله تعالى.

**رابعاً – أدب اللغة وتاريخ اللغة والنقد الأدبي**

من علوم اللغة التي تُدرس هو أدب وتاريخ اللغة والنقد الأدبي وقد ألّفت كتب كثيرة في هذا الباب، فلا توجد مكتبة لغوية في العالم أثرى وأكثر تأليفاً في هذا الباب من المكتبة العربية.

تعتبر المكتبة العربية أغنى المكتبات في هذا الباب ولا تضاهيها مكتبة حيث ألّف المؤلفون كتباً كثيراً سواء في الأدب العربي والشعر العربي وفي النقد وفي تأريخ هذا الأدب العربي وفي القصص والروايات فأصبحت المكتبة العربية ثرية والأولى في العالم.

**خامساً – متن اللغة**

التأليف في هذا العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول – معاجم شرح المفردات: ونقصد به المعاجم التي ألّفت والكتب التي ألّفت في الدلالات وفي الألفاظ وفي المفردات، فالإنسان عندما يحتاج إلى لفظة معينة فيحتاج أن يرجع إلى القاموس والمعجم ويعرف ماذا تعني هذه اللفظة ؟ وما هي المعاني هل هو لفظ مشترك أو يختص بمعنى واحد أو له عدة معاني ؟ فمتى ألّفت هذه المعاجم ؟ مَن أوّل مَن ألّف من المعاجم ؟ ومَن هم المؤلفون في هذا الباب ؟ وكيفية تصنيف هذه المعاجم ؟ وما هي المنهجية في تصنيفها أيضاً ؟ هذا هو علم من علوم اللغة.

أوّل مَن ألّف في هذا الباب هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، فعندما كنا ندرس الماجستير في جامعة القاهرة وزّع علينا الأستاذ بعض الملازم مصورة من مجلة من المجلات اللغوية كان فيها بحث شيق عن عبقرية هذا الإنسان حيث أنّه اكتُشف في بعض كتبه أنّه استخرج رقماً للجذور المستعملة للغة العربية، فذكر في كتابه «العين» عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل يبلغ اثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر كلمة أي ١٢ مليون و٣٠٥ آلاف و٤١٢ كلمة. فقد حصر الخليل الفراهيدي بطريقة رياضية باعتبار أن العربية ثلاثية الجذور فترجع إلى أصولها فاستخرج هذا الرقم قبل أن تكتشف الحاسبات وقبل أن يتطور علم الرياضيات بالشكل الحالي. وقد جاء بعد أبو الأسود الدؤلي ويُعتبر من الرعيل الثاني من اللغويين، وفي كتابه «العين» ابتكر طريقة تعتبر أقرب للمادة من المعنى في ترتيبها، لأنّه راعى في ترتيب وضع الحروف قضية مخارج الحروف.

ومن اللغويين الذين ألّفوا في هذا الباب ابن دريد حيث ألّف كتاب «الجمهرة» وألفه على ترتيب حروف الهجاء ابتداءً بالهمزة وانتهاء بالياء، وكانت مصادر كتابه قد أخذها من كتاب «العين» للفراهيدي والأصمعي وأبي عبيده. وجاء بعده الأزهري فألّف كتاب «التهذيب» بعشرة مجلدات، ثم كتاب «المحيط» للصاحب بن عباد، ثم «المجمل» لأحمد بن فارس، و«الصحاح» للجوهري، و«القاموس» للفيروزآبادي، و«أساس البلاغة» للزمخشري، و«لسان العرب» لابن منظور.

القسم الثاني – معاجم المفردات الموضوعة لمعاني في أبواب خاصة: وهذه المعاجم عبارة عن كتب صغيرة الحجم ينفرد كل كتاب منها في بيان باب من الأبواب، واستعمال الكلمات والألفاظ في ذلك العلم، فمثلاً باب يختص في خلق الإنسان فيتحدث هذا الكتاب عن خلق الإنسان، عن الرأس، عن الرقبة، عن الصدر، عن الأطراف، الأصابع، المفاصل، القدمين .. الخ، فيفصّل كيف تستعمل العرب هذه الألفاظ وكيف تأتي المعاني الدقيقة لاستعمال كل لفظ.

وكذلك مثلاً في باب الرضاع والفطام، فالطفل عندما يولد يبدأ بالرضاع، فما هي الكلمات والألفاظ التي تستعمل العرب والمعاني الدقيقة لهذه الألفاظ في كل مرحلة من مراحل ولادة الرضيع، الطفل إلى أن يصل إلى مرحلة الفطام.

ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال كتاب «الألفاظ» لابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت الدروقي الأهوازي المتوفى سنة ٢٤٣هـ، وهذا الكتاب من أهم الكتب في هذا الباب ومؤلفه عالم جليل من علماء اللغة العربية وكان مؤدباً لأبناء المتوكل العباسي وكان من أتباع أهل البيت (ع).

والقصة المشهورة أن المتوكل سأل ابن السكيت: أيهما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فقال: «والله إنّ قنبر خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك». فأمر المتوكّل جلاوزته، فأخرجوا لسانه من قفاه، فمات[1].

وهذا الكتاب أخذه الخطيب التبريزي فهذبه وعلّق عليه وشرح بعض ألفاظه وسمّاه «كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ»، ومن الكتب المهمة في هذا الباب «الألفاظ الكتابية» للهمداني المتوفى سنة ٢٢٧هـ.

وأيضاً كتاب «مبادئ اللغة» للاسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ، وكتاب «فقه اللغة» للثعالبي، وكتاب «المخصّص» لابن سيده ويقع في ١٧ جزءاً وهو يُعتبر من أهم الكتب في علم اللغة وأدق الكتب وأوسع الكتب في هذا المضمار.

---

(١) القاضي ابن خلكان، العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، ط١، دار صادر بيروت ١٩٧٢، ج٦/ ص ٤٠٠.

القسم الثالث – رسائل خاصة في طوائف من الألفاظ والمعاني: وأيضاً هناك كتب ومؤلفات ألّفت في هذا الباب منها «الأنواء» لأبي حنيفة الدينوري، و«الأزمنة والحشرات والطير» لأبي حاتم، و«السلاح والابل والخيل» للأصمعي، و«الأضداد» للأنباري، وكتاب «التعريفات» للجرجاني. هذه الكتب ليست معاجم وإنما كتب تبيّن الألفاظ والكلمات التي استعملت في كل باب من هذه الأبواب، فهي أشبه بالمعاجم ولكنها رسائل صغيرة لا تشكل معجماً كبيرة بصفحات كثيرة.

**سادساً – البحوث في علم اللغة**

وهذا هو محل بحثنا لهذا العام، وتنقسم إلى عدة أقسام هناك علم اللغة العام ويتفرّع إلى علم الأصوات وعلم التجويد، وهناك عدة مؤلفات لمؤلفين كبار ألّفوا في هذا الباب، من هؤلاء بحوث ورسائل في علم الاشتقاق للأصمعي، وكتاب «الصاحب» في علم اللغة لابن فارس وله كتب أخرى وهي «نشأت اللغة العربية»، و«خصائص اللسان العربي»، و«اختلاف لغات العرب»، و«لغات العامة من العرب»، و«القياس والاشتقاق في اللغة العربية»، و«آثار الإسلام في اللغة العربية».

هناك كتب أخرى مهمة في هذا الباب وأهمها كتابي «العين» لخليل بن أحمد الفراهيدي و«الخصائص» لابن جني، وكتاب «المخصّص» لابن سيده، و«فقه اللغة» للثعالبي، و«المزهر» للسيوطي، و«شفاء العليل في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي، و«سر الليال في القلب والابدال» لأحمد فارس.

ونبحث في هذه الكتب التي تعتبر أساس وبواكير مادة علم الأصوات وعلم اللغة والبحوث العربية، وأولها كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي[1] فهذا الكتاب يُعتبر أقدم الكتب وأهمها في علم اللغة، وقد ذكر فيها الخليل الفراهيدي القواعد والأسس في علم اللغة وأراد أن يؤلف هذا المعجم ففكّر بطريقة رياضية بحيث يكتشف من خلال الاستقراء للكلمات والألفاظ المتكونة من حروف اللغة العربية فأحصى المستعمل والمهمل من هذه الحروف وبطريقة رياضية فائقة تدل على عبقرية هذا العالم وعلى عمق تفكيره ومدى استيعابه للغة

(١) ولد سنة ١٠٠هـ وتوفي سنة ١٧٥هـ.

العربية، ويُعتبر الخليل مبتكر ومبتدع لهذا العلم وهو واضع الأسس الأولى لهذا العلم، حتى القواعد والأسس التي بيّنها سيبويه في كتابه فهي في الأعم الأغلب راجعة إلى الخليل الفراهيدي. والفراهيدي من علماء البصرة وكان يعيش بزهد وتقشف وكان كثير من علماء اللغة واللغويين يتكسبون بعلمه وهو يعيش عيشة الفقراء.

وللخليل ابتكارات وابداعات كثيرة لم تقتصر على علم اللغة فهو أول واضع لعلم العروض وهو أيضاً اكتشف بعض القواعد اللغوية ووضع لها أسساً وسنورد بعض هذه الابداعات. وكتاب «العين» الذي هو محل البحث عندما أراد أن يؤلفه ففكر بأي حرف يبتدأ فهل يبدأ بالحروف الأبجدية ؟ فكلما أراد أن يبدأ أراد دليلاً وحجة على هذه البداية ففكّر في مخارج الحروف وأراد أن يضع معجمه على وضع تلك الحروف ومخرج تلك الحروف في الفم فرأى أن أعمق حرف من هذه الحروف هو الهمزة فأراد أن يبدأ بها فوجد أنّها غير مستقرة وليست أنصع الحروف في اللغة العربية، حيث أنّه يعتبر حرف العين وحرف القاف أنصع الحروف في اللغة العربية فترك الهمزة وابتدأ بحرف العين.

فجاء ترتيب الحروف على الشكل الآتي: «ع»، «ح»، «هـ»، «خ»، «غ»، «ق»، «ك»، «ج»، «ش»، «ض»، «ص»، «س»، «ز»، «ط»، «د»، «ت»، «ظ»، «ث»، «ذ»، «ر»، «ل»، «ن»، «ف»، «ب»، «م»، «و»، «ا»، «ي»، والهمزة.

فبدأ بالحروف التي في أعمق الحلق وهي: العين والحاء والهاء والخاء والغين، ثم الحروف التي تصدر من اللهاة أو الحروف اللهوية وهي: القاف والكاف ثم الحروف الشجرية وهي الجيم والشين والضاد، ثم الحروف الأسلية والتي تصدر من نهاية اللسان ومقدمة الفم وهي: الصاد والسين والزاء، ثم الحروف النطعية الطاء والدال والتاء، ثم حروف اللثوية التي تخرج من اللثة وهي: الظاء والثاء والذال، ثم الحروف الذلقية وهي: الراء واللام والنون، ثم الحروف الشفوية وهي: الفاء والباء والميم، ثم الحروف الهوائية أو الجوفية وهي: الواو والألف والياء وختمها بالهمزة.

ومن خصائص وابتكارات الخليل في معجمه أنّه عندما كان يأخذ الكلمة ويريد أن يستخرج منها الكلمات المهملة والكلمات المستعملة فإنّه يقلبها على مختلف وجوهها، فقسّم

الكلمات إلى ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، وبعد ذلك جاء إلى هذه الكلمات الثنائية فبيّن كيف نستخرج ما يشتق منها.

فمثلاً عندما يأخذ الكلمة فإنّه يرتبها على الشكل الآتي – وهذه ما تسمى بظاهرة التقليب – فيقلب الكلمة على مختلف وجوهها فيستخرج المستعمل والمهمل من هذه الكلمة فمثلاً كلمة «قد» ماذا يمكن أن نستخرج منها ؟ لا نتمكن إلا كلمة «دق»، وهكذا كلمة «شد» ماذا يمكن أن نستخرج منها ؟ لا نتمكن إلا كلمة «دش».

فالخليل من خلال هذا التقليب يستخرج الكلمات وكان هذا بالنسبة للتقسيم الثنائي، ثم التقسيم الثلاثي فيقول: لا نتمكن استخراج أكثر من لفظين، بعض هذه الكلمات مستعمل وبعضها مهمل. ويقول بالنسبة للتقسيم الثلاثي: أنّ الكلمة تتصرف على ستة أوجه نحو «ضرب»: ضرب، ضبر، ربض، رضب، بضر، برض.

أما التقسيم الرباعي للكلمة الرباعية فيستخرج منها الخليج ٢٤ وجهاً، مثل كلمة «عقرب» فتقلب إلى: عقرب، عقبر، عبرق، عبقر، عرقب، عربق، قعرب، قعبر، قربع، قرعب، قبرع، قبعر، رقعب، رقبع، ربعق، ربقع، رعقب، رعبق، برقع، برعق، بعرق، بعقر، بقرع، بقعر.

فهذه ٢٤ وجهاً، فهو يأخذ الكلمة ويقلبها على مختلف وجوهها فيحصي عدد الكلمات العربية المستعملة من هذه الألفاظ وعدد الكلمات المهملة فيترك الألفاظ المهملة ويتناول في معجمه الكلمات المستعملة ويبدأ يعطي معاني هذه الكلمات واشتقاقها ووظيفة الأصوات في كل هذه الكلمات.

وهذا العمل عمل رياضي استقرائي وهو عمل دقيق، فهو لا يترك كلمة من كلمات اللغة العربية فإنّه لا تفوته كلمة من كلمات اللغة العربية لأنّه يستعمل كل الحروف، حتى أنّه في بعض الكتب بيّن عدد الكلمات المشتقة من حروف اللغة العربية: ١٢,٣٠٥,٤١٢ كلمة وهذا العدد حديثاً اكتشف في زمن الدكتور علي حلمي موسى في جامعة الكويت عن طريق احصائية هذه الكلمات بالحاسوب الآلي (الكمبيوتر) في حين أن الخليل بن أحمد الفراهيدي وفي القرن الأول تمكن بعبقريته أن يكتشف هذا الرقم وهذا العدد.

وننقل من بعض ما قاله الخليل في كتابه «العين»: «الكلمة الرباعية تتصرف على ٢٤ وجها وذلك أن حروفها أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي وهي ستة أوجه فتصير ٢٤ وجهاً يُكتب مستعملها ويُلغى مهملها، والكلمة الخماسية تتصرف على ١٢٠ وجهاً وذلك أنّ حروفها خمسة تضرب في وجوه الرباعي وهي ٢٤ فتصير ١٢٠ وجهاً يُستعمل أقله ويُلغى أكثره»[١].

ثم يضرب مثال على الكلمة الخماسية «سفرجل»: سفرجل، سرفجل، سجرفل، سرجفل، سلرفج، سجفرل، سجرفل، سلفجر، سلفرج، رسلفج، رسلجف .. الخ.

ثم يقول: «وتفسير الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف ولا همزة في أصل البناء، لأن هذه الحروف يُقال لها حروف العلل. فكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثي صحيح مثل: ضرب، خرج، دخل، والثلاثي المعتل مثل ضرا، ضري، ضرو، خلا، خلي، خلو، لأنه جاء مع الحرفين ألف أو واو أو ياء فافهم»[٢]. ثم يقول: «بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب، وبدأنا الأبنية بالمضاعف لأنّه أخف على اللسان وأقرب مأخذاً للمتفهم»[٣].

هذه الطريقة التي كان يستعملها الخليل في انتقائه لكلمات العرب وترتيبه لأبواب معجمه. وهناك بعض علماء اللغة حاولوا أن يموهوا أو يضيّعوا هذه الحقيقة وهي أهمية كتاب العين وأنّ الكتاب يُنسب إلى الخليل والأهمية البالغة في هذا الكتاب من القواعد اللغوية التي أظهرها الكتاب، فحاولوا أن ينسبوا هذا الكتاب إلى غير الخليل.

هؤلاء أبدوا محاولات إما من باب الحسد أو بعض النزعات الموجودة في قلوبهم بغضاً للخليل، فمن هؤلاء الذين شكّكوا في نسبة الكتاب إلى الخليل هو الأزهري ونسبه إلى الليث بن المظفر، وقال في محاولة للنيل من هذا الكتاب والتشكيك في نسبته، ذكر هذا الكلام في ترجمة

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ج١/ ص ٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٩ – ٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٠.

سعد وأخذ ينقد كلاماً عند التحقيق اكتشف المحققون أنّه غير صحيح، أي نسب كلاماً للخليل في كتاب العين وهو غير صحيح، فقال في كتابه «التهذيب» في ترجمة سعد: «وخلّط الليث في تفسير السعدان فجعل الحلمة ثمر السعدان وجعل حسكاً كالقطب وهذا كله غلط. القطب: شوك غير السعدان يشبه الحسك، والسعدان مستدير شوكه في وجهه، وأما الحلمة فهي شجرة أخرى وليست من السعدان في شيء»[1]. بمعنى أنّه نسب كلاماً إلى الخليل وهو ليس للخليل ولا موجود في كتاب العين.

هذا الكلام القصد منه محاولة لإيهام القارئ والسامع بأنّ هذا الكلام لكتاب العين وبالتالي بما أن الخليل أعلى مستوى من هذا الشأن فإذاً كتاب العين ليس للخليل وإنما هو لليث وحينئذ عندما ينقد الأزهري الكتاب فحينئذ لا يكون نقداً للخليل لأنّه يعتبر الخليل أعلى مستوى من هذه المحاولات في تفسير الكلمات.

الدليل على ذلك أنّ هذا الكتاب هو ليس للخليل وإنما كلام ما ذكره الخليل في العين حول هذا النص، بمعنى أنّ النص الذي ذكره الأزهري غير موجود في كتاب العين، والنص هو يقول الخليل في العين: «السعدان نبات له شوك كحسك القطب غير أنّه غليظ مفرطح كالفلكة ونباته سمّي الحلمة وهو من أفضل المراعي ويقال الحلمة نبت حسن غير السعدان» فأين هذا الكلام من كلام الأزهري السابق الذكر.

فهذه المحاولة من الأزهري ومَن سار على نهج الأزهري محاولة لافهام السامع أو القارئ بأنّ هذا الكتاب «العين» ليس للخليل، وكذلك هناك نص آخر شوهه الأزهري ونسبه إلى كتاب «العين» ولم يتحرّ فيه الصواب فقال: «قال الخليل في ترجمة سمع: وتقول سمعت أذني زيداً يقول كذا وكذا أي سمعته كما تقول أبصرت عيني زيداً يفعل كذا وكذا أي أبصرتُ بعيني زيداً» هذا الكلام هو كلام الخليل في كتابه «العين».

بينما ذكره الأزهري عن الليث يقول: «تقول العرب سمعت أذني زيداً يفعل كذا وكذا أي أبصرته بعيني، وهذا ما لم يقل به أحد من العرب». وهذا كلام الأزهري ينسبه إلى كتاب «العين» وينسبه إلى الليث. يقول الأزهري: «قلتُ لا أدري من أين جاء الليث بهذا الحرف

---

(١) العين، مصدر سابق، ج١/ ص ٢١.

وليس من مذاهب العرب أن يقول الرجل سمعت أذني يعني أبصرت عيني، وعندي كلام فاسد ولا آمن أن يكون مما ولده أهل البدع والأهواء وكأنه من كلام الجهمية»[1].

انتهى كلام الأزهري معقباً على كلام الليث أو أنّه يدعي أن هذا كلام الليث في كتاب العين وهو في الحقيقة ليس هكذا وإنما ما قاله الخليل هو ما ذكرناه وهذا ما تنقله جميع الكتب عن كتاب «العين» ولا يوجد ما نقله الأزهري ناسباً إياه إلى الليث في كتابه، وهذا كلّه من حسد النواصب للخليل.

ومَن جاء بعد الخليل من أصحاب المعاجم، «تاج العروس» للزبيدي و«الصحاح» للجوهري و«لسان العرب» لابن منظور وغيرهم من أصحاب المعاجم إنما وسّعوا في الشواهد وأدخلوا بعض الكلمات المعربة التي لم تكن مستعملة في السابق في اللغة العربية أدخلوها في المعاجم وأشار بعضهم إليها أنها عربية وتلك فارسية وتلك تركية.

الحقيقة أن الأساس في المعاجم هو كتاب «العين»، ومَن جاء بعده فهو عيال عليه، يقول الخليل: «فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب». إنّ قوله «حروف الكلمة» يعني أصواتها وهو يُشير إلى أنّه ضمّن مقدمته التي دعاها «الكتاب المقدم» هذه المباحث الصوتية واللغوية[2]. أي أنّ كلمة حرف عند الخليل تساوي كلمة صوت فعندما نقول حرف سابقاً فباصطلاح الوقت الحاضر يقصدون به الصوت ولا يقصدون به كما نقصد به الآن، فسابقاً لو قالوا أصوات الحروف لم يكن صحيحاً فإنّه يعني حروف الحروف.

وكان الخليل عندما يريد أن ينطق بالحرف فإنّه يفتح فمه بحرف الألف ثم يوقّف الحرف المطلوب نطقه فإذا أراد أن ينطق العين فإنّه يقول «اع» فأينما ينتهي الحرف بالسكون فذلك هو مخرج الحرف وبهذه الطريقة حدّد الحروف ومخارجها ومن أين تخرج بالضبط من أجهزة النطق. وتمكّن الخليل أن يكتشف أن هناك بعض الحروف – كقاعدة لغوية – لا تخلو

---

(١) العين، مصدر سابق، ج١/ ص ٢٢ – ٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

منها الكلمة الرباعية والكلمة الخماسية وأما السداسية فاعتبار أنّ الكلام العربي كلما جاء فيه زيادة عن الخمسة أحرف ففيه أحرف زيادة وليست حروف أصلية.

الخليل ذكر الأحرف الشفوية وأحرف البلاغة قال حول هذا الموضوع: «اعلم أنّ الحروف الذلقية والشفوية ستة وهي: الراء واللام والنون، والفاء والباء والميم، وإنما سمّيت هذه الحروف ذلقاً لأنّ الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين»[١].

هذه الأحرف الستة أي كلمة عربية رباعية أو خماسية لا تخلو من هذه الأحرف، فإذا خلت فهي ليست عربية، وشذّت بعض الكلمات تكاد أن تنحصر بين العشر كلمات أو العشرين وفيها كلام حول كونها عربية، فما عدا هذه الكلمات الشاذة فإنّ أي كلمة تخلو من هذه الأحرف الستة فهي ليست عربية. فيقول الخليل بعد أن يورد هذه القاعدة المهمة: «فإذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب لأنّك لست واجداً مَن يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من الحروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»[٢]

وهناك قاعدة أخرى يذكرها الخليل في الكلمات الثنائية فيرد كل الكلمات الثنائية إلى الكلمات الثلاثية وحتى لو كانت حرفاً فيردها إلى الكلمات الثلاثية، فيضرب أمثلة على ذلك يقول: «فإن صيّرت الثنائي مثل «قد» و«هل» و«لو» اسماً أدخلت عليه التشديد فقلت هذه لوٌّ مكتوبة، وهذه قدٌّ حسنةُ الكتبة، فزدت واواً على واو ودالاً على دال، ثم ادغمت وشُددت. فالتشديد علامة الادغام والحرف الثالث كقول أبي زبيد الطائي:

ليت شعري وأين منّي ليتُ  إنّ ليتاً وإنّ لوّاً عـنـاءُ

فشدّد «لوّاً» حين جعله اسماً. قال ليث: قلتُ لأبي الدقيش هل لك في زبد ورطب ؟ فقال أشدُّ الهلِّ وأوحاه، فشدّد اللام حين جعله اسماً»[٣].

---

(١) العين، مصدر سابق، ج١/ ص ٥١.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٠.

ويعطينا الخليل قاعدة أخرى من قواعده في كتابه «العين» فيقول: «العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل «حيَّ على» كقول الشاعر:

ألا ربّ طيف بات منك معانقيإلى أن دعا داعي الفلاح فحيعلا

يريد: قال حيّ على الفلاح»[1].

ويقصد أنّه لا توجد في كلام العرب كلمة واحدة فيها حرف العين وحرف الحاء لأنّ كليهما من حروف الحلق، باستثناء النحت والمقصود بالنحت في اللغة يعني يجمعون بين كلمتين ويصوغون من تينك الكلمتين كلمة واحدة فعندما نقول «بَسمَلَ الرجلُ» أي قال «بسم الله الرحمن الرحيم»، وكلمة «حوقل» يعني «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فالكلمة «بَسمَلَ» منحوتة من «بسم الله الرحمن الرحيم» وهكذا «حوقل» منحوته من «لا حول ولا قوة إلا بالله».

(١) العين، مصدر سابق، ج١/ ص ٦٠.

# القسم الأول: علم الأصوات

نبتدئ أولاً بأصوات الحروف، وبما أن هذه الأصوات تنطلق من الأجهزة الصوتية للانسان فلابد من معرفة هذه الأجهزة الصوتية، فما هي هذه الأجهزة الصوتية ؟ وإن اختُلف في تعدادها بين القدامى وبين المحدثين لأنّ القدامى لم يكونوا قد عرفوا الأجهزة الحديثة والتشريح الحديث لأعضاء النطق حتى يُحدّدوا بالضبط مَن من الأجهزة يُستعمل في النطق ومَن من الأجهزة لا يُستعمل في النطق.

## الفصل الأول: أعضاء النطق

القصبة الهوائية والحنجرة والوتران والحلق واللسان والحنك الأعلى والفراغ الأنفي والشفتان والأسنان.

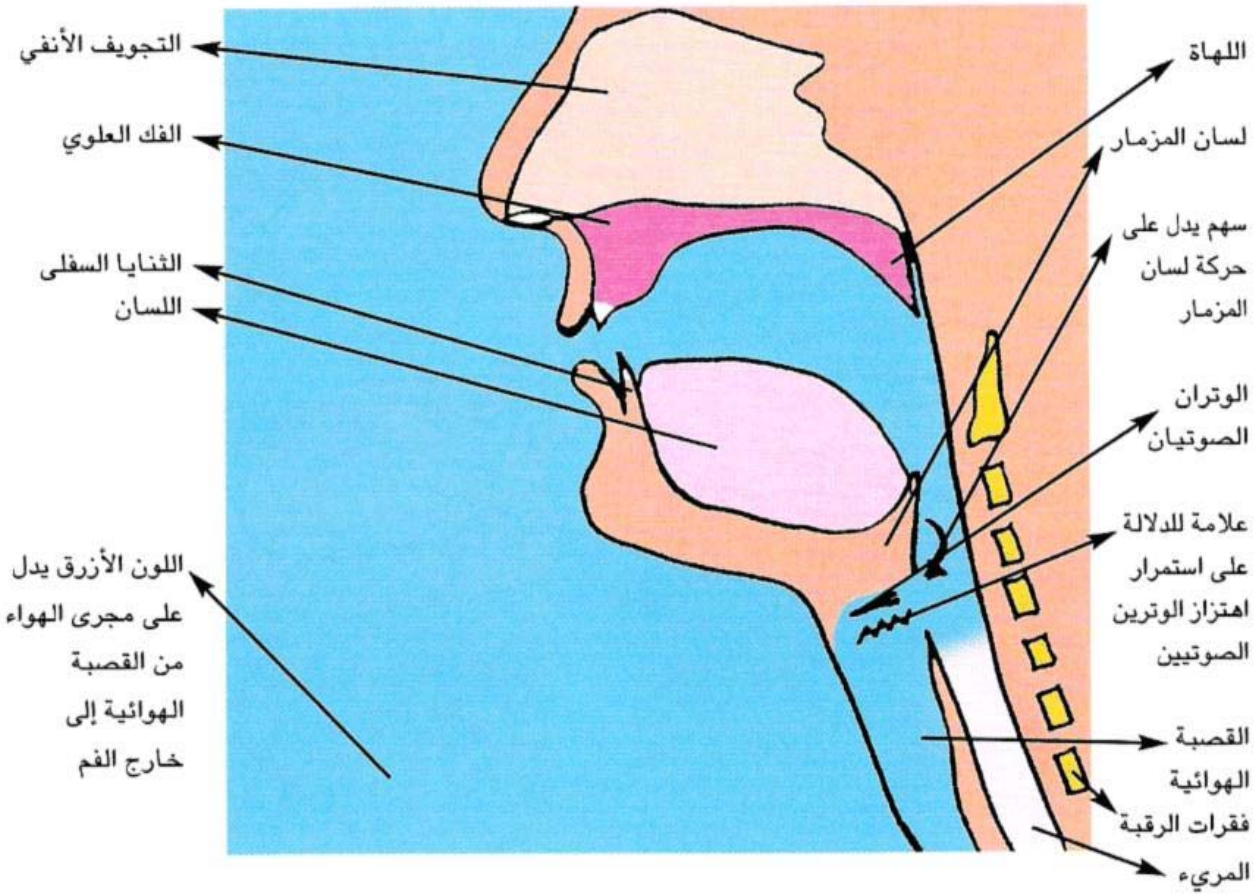

وسنبتدئ بهذه الأعضاء عضواً عضواً ومن بعدها ننتقل إلى الحروف ومخارجها. القدامى لم يكونوا يمتلكون الأجهزة الحديثة الدقيقة الحساسة التي نمتلكها حالياً، كما أنّهم لم يطلعوا على تشريح الأعضاء بما اطلعنا عليه الآن كالأشعة وتشريح الأعضاء، ففي الطب علم التشريح تقدّم كثيراً في العصر الحالي بحيث أنّه دُقّقت وحُدّدت بحساسية بالغة لكل هذه الأعضاء، ونتيجة لوجود الأجهزة الحديثة السمعية والتي تسجل الأصوات وذبذباتها تمكّن علماء اللغة بعلم الأصوات أن يحدّدوا بالضبط صدور الصوت من أي مخرج وأي الأعضاء تشترك في خروج الصوت وأيها لا تشترك.

أولاً – القصبة الهوائية: هي الممر أو القصبة التي يمر منه الهواء عند خروجه من الرئتين، فعندما يخرج الهواء من الرئتين متجهاً نحو الحنجرة ونحو الوترين، فهذا الممر هو القصبة الهوائية. سابقاً القدامى كانوا يعتقدون أنّه ليس للقصبة الهوائية أي دخل في احداث الصوت، بينما اكتشف علماء اللغة المحدثون ونتيجة لبعض الأجهزة أنّ القصبة الهوائية لها دخل كبير في إحداث الصوت وخاصة الصوت العميق.

وتُعتبر هذه القصبة أشبه بالفراغ الصوتي، أي أنّها تشكّل فراغاً صوتياً، فعمق هذا الفراغ وسعته كله له دخل في إحداث الصوت وفي عمقه وشدته، فسابقاً لم يكن القدامى قد التفتوا وانتبهوا إلى أنّ القصبة الهوائية لها دخل في إحداث الصوت من حيث العمق ومن حيث درجة الصوت ومن حيث القوة. طبعاً القصبة الهوائية ليست من مخارج الحروف ولكنها تشترك في التحكم بشدّة درجة الصوت.

ثانياً – الحنجرة والوتران: الحنجرة هي الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وفي الحنجرة يوجد الوتران، والوتران عبارة عن ما يشبه بالشفتين يمتدان بشكل أفقي وبينهما فراغ وهذا الفراغ يُسمى المزمار، ويشغل هذا الفراغ لسان صغير يُسمى بلسان المزمار، وهذا اللسان ليس له دخل في قضية الصوت وإنما له دخل في منع الغذاء أو الماء من أن يتسرب إلى القصبة الهوائية، وأما الوتران فلهما أبلغ الأثر في إحداث الصوت. فالوتران الصوتيان اللذان أشبه بشفتين ممتدتين بشكل أفقي إلى الأمام ويلتقيان عندما يفتح الإنسان فمه هناك بروز يظهر في مؤخرة القصبة الهوائية، هذا البروز هو الملتقى للوترين.

والفراغ الذي بين الوترين هو ما يسمى بالمزمار والذي له أبلغ الأثر في إحداث الصوت وفي شدته وفي الهمس، وفي الشدة كالحروف الجهرية.

ثالثاً – الحلق: والحلق يوجد فيها رأيان، رأي القدامى ورأي المحدثين، والخلاف في الرأي بهذا الموضوع أيضاً يتسبّب في الخلاف في مخارج بعض الحروف. وهنا لابد أن ندقّق ماذا يراد بالحلق بالضبط، على رأي القدامى أم على رأي المحدثين. وعلى رأي القدامي الحلق يصفونه أنّه يشمل منطقة موضع الوترين الصوتيين من الحنجرة ولا يشتمل على الفراغ الممتد بين الحنجرة والفم، فمعنى ذلك أنّ الوترين ضمن الحلق عند القدامى، أي ضمن الفراغ الممتد ما بين الحنجرة والفم. بينما عند المحدثين لا يدخل الوتران في الحلق، وعلى ضوء هذا سيحدث خلاف في وصف القدامى لبعض مخارج الحروف عندما يقولون من الحلق، فيقصدون أيضاً ما يصدر من الحنجرة ومن الوترين. جاء في لسان العرب في مادة «حلق» يقول: «الحلق مساغ الطعام والشراب في المريء، وقال الأزهري: مخرج النفس من الحلقوم وموضع الذبح هو أيضاً من الحلق»[١].

وجاء في مادة «حنجر» يقول: «الحنجور: الحلق. والحنجرة: طبقان من أطباق الحلقوم مما يلي الغلصمة، وقيل: الحنجرة رأس الغلصمة حيث يحدّد، وقيل: هو جوف الحلقوم وهو الحنجور»[٢]. وجاء في مادة «غلصمة»: «رأس الحلقوم بشواربه وحرقدته، وهو الموضع الناتئ في الحلق، والجمع الغلاصم، وقيل: الغلصمة اللحم الذي بين الرأس والعنق، وقيل: متصل الحلقوم بالحلق إذا ازدرد الآكل لقمته فزلت عن الحلقوم. وقيل: هي العجرة التي على ملتقى اللهاة والمريء. وغلصمه أي قطع غلصمته. ويقال: غلصمت فلاناً إذا أخذت بحلقه»[٣].

وهذا ما فسّره أبو زيد الأنصاري من اللغويين فهو فسّر الحلق ومن ضمنه هذا البروز، يقول: «الحلق هو موضع الغلصمة والمذبح»[٤]، والغلصمة فُسّرت بأنها الموضع الناتئ في

---

(١) لسان العرب، مصدر سابق، ج١٠/ ص ٥٨ مادة «حلق».

(٢) المصدر السابق، ج٤/ ص ٢١٦ مادة «حنجر».

(٣) المصدر السابق، ج١٢/ ص ٤٤١ مادة «غلصمة».

(٤) المصدر السابق، ج١٠/ ص ٥٨ مادة «حلق».

مجمع الوترين. وعليه فإنّ الحلق عند القدامى مشتملة على أقصى الحنك والحنجرة والفراغ الذي بينهما، فكل هذه المنطقة تسمى بالحلق. بينما عند المحدثين الفراغ فقط وهو بين أقصى الحنك والحنجرة.

أما هذا الفراغ بين الحنك والحنجرة زائد النتوء البارز الذي هو مجمع الوترين فعند القدامى هذا كله حلق. فعلى ذلك بعض الحروف تصدر من ذلك النتوء أي قرب مجمع الوترين فعند القدامى يصفونها بالحلق بينما عند المحدثين – كما سوف نشاهد إن شاء الله – لا يسمّى ذلك بالحلق.

رابعاً – اللسان: وله ثلاثة مناطق تخرج منها الأصوات، من طرف اللسان ومن وسط اللسان ومن أقصى أو أعلى اللسان.

خامساً – الحنك الأعلى: وله أيضاً ثلاثة مواضع تصدر منها مخارج الحروف:

الأول: مقدم الحنك أو اللثة ويدخل في ذلك أصول الأسنان العليا من الداخل فهي أيضاً تدخل في مقدمة الحنك أو اللثة.

والثاني: وسط الحنك أو ما يُسمّى بالحنك الصلب فعندما تضع لسانك في وسط الفم عندما تضغط لسانك إلى الأعلى في وسط الحنك تجد منطقة صلبة جداً هذه تسمى بوسط الحنك فهناك بعض الحروف تصدر عند التقاء اللسان بهذه المنطقة الصلبة.

والثالث: نهاية أو أقصى الحنك وهي منطقة رخوة فهناك أيضاً حروف تصدر من تلك المنطقة، وفي نهاية الحنك تقع اللهاة، فالحروف اللهوية تصدر من نهاية الحنك.

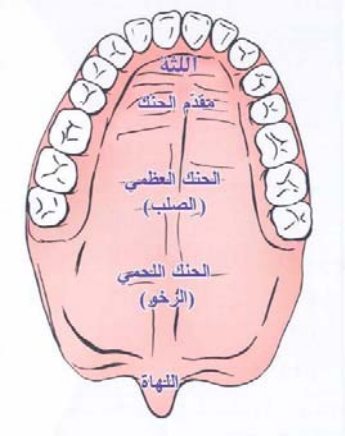


سادساً – الفراغ الأنفي: هو الفراغ الذي في الأنف أيضاً هذا الفراغ يُحدُث أصواتاً ويُحدث غنةً ويتدخل في شدة الحرف وفي الاخفاء والاظهار، فيُعتبر هذا الأنف من الأجهزة أو الأعضاء الصوتية التي تُصدر الصوت.

سابعاً – الشفتان: وكما نعلم أنّ هناك حروف شفوية تصدر من الشفتين.

ثامناً – الأسنان: ولها أيضاً دخل في صدور الأصوات.

وسوف نفصل إن شاء الله تعالى مخارج الحروف على ضوء هذه الأعضاء، عند القدامى يضمّون إلى هذه الأعضاء بعض الأعضاء الأخرى، فيذكر سيبويه أعضاء النطق في كتابه فيقول: «أعضاء النطق هي: الحلق واللسان والحنك الأعلى والخياشيم والشفتان والأسنان»[1]. وأعضاء النطق التي يذكرها سيبويه هي نفس هذه الأعضاء التي يذكرها ابن جني في كتابه «الخصائص».

وأهم فارق بين القدامى والمحدثين هو اغفال القدامى دور الوترين الصوتيين في إحداث الأصوات، ويبدو أنّهم لم يعرفوها فأدى ذلك إلى اختلاف الفريقين في صفات بعض الحروف من الهمس والجهر.

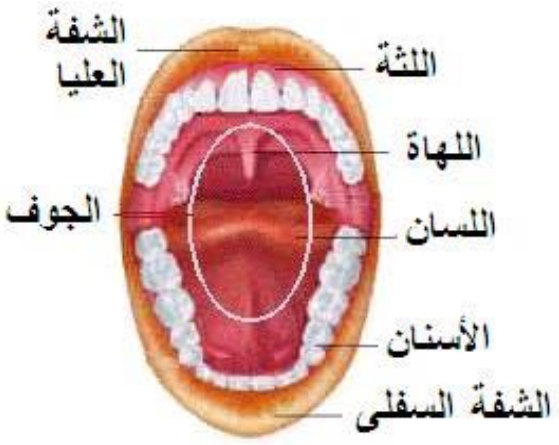


(١) النعيمي، د. حسام سعيد: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ط١، دار الرشيد، العراق ١٩٨٠، ص ٢٩٧.

# الفصل الثاني: التدرج الصوتي

يعني كيف نتدرج بالحروف وبالأصوات، ابتداءً من أعمق حرف يصدر من أعضاء النطق إلى أن نصل إلى الشفتين، هذا التدرج بالحروف اختلف فيه القدامى على مدرجين:

هناك مدرج وضعه الخليل في كتابه «العين» واعتمد فيه على صدور أعمق حرف في النطق وهو حروف الحلق وترك الهمزة والألف وانتقل إلى العين. وكذلك عدّ سيبويه مدرجاً حرفياً وسار ابن جني على ما سار عليه سيبويه.

والآن نعقد المقارنة بين المدرج الحرفي عند سيبويه ومَن تابعه والمدرج الحرفي عند الخليل، ونشير إلى بعض الفوارق في ذلك، لأنّه على ضوء هذا سوف تتضح بعض صفات الحروف.

أولاً – التدرج الصوتي عند الخليل الفراهيدي: لقد اعتمد في كتابه «العين» على أعمق حرف في النطق فبدأ بالترتيب التالي: «ع»، «ح»، «هـ»، «خ»، «غ»، «ق»، «ك»، «ج»، «ش»، «ض»، «ص»، «س»، «ز»، «ط»، «د»، «ت»، «ظ»، «ث»، «ذ»، «ر»، «ل»، «ن»، «ف»، «ب»، «م»، «و»، «ا»، «ي»، والهمزة.

عندما نبتدأ بحرف العين نشاهد أعمق حرف بالحلق ولكن الهمزة أعمق منه فعندما تقول «أذان» أو «أذن» فنشاهد أن الهمزة أعمق من العين، ولكن – كما ذكرنا سابقاً – أن الهمزة يعتبرها الخليل ليست من أحرف النصاعة ولا توجد حجة بأن يبتدأ بحرف الباء فبدأ بحرف العين لأنّها تخلف الهزة بالعمق.

ولاحظ عندما تُخرج حرف الحاء فإنّ الحاء تتلو العين بالمخرج ثم الهاء ثم الخاء فتقترب تدريجياً نحو الشفتين فترتيب الحروف التي ذكرها الخليل نلاحظ فيه أنّه تدريجياً تقترب من الشفتين إلى أن يصل إلى الحرف ميم، فتنتهي الحروف التي وضع الخليل أبواب كتابه عليها.

وأما هذه الحروف الواو والألف والياء فهي حروف العلة وهي حروف هوائية فجعلها في آخر المدرج الصوتي وآخر الكتاب ثم ألحقها بالهمزة.

ثانياً – التدرج الصوتي عند سيبويه: لقد فرّق بين أمرين بين الهمزة وبين الألف فوضع الترتيب كالتالي: «أ»، «ا»، «هـ»، «ع»، «ح»، «غ»، «خ»، «ق»، «ك»، «ج»، «ش»، «ي»، «ض»، «ل»، «ن»، «ر»، «ط»، «د»، «ت»، «ز»، «س»، «ص»، «ظ»، «ذ»، «ث»، «ف»، «ب»، «م»، «و»، وأفرد النون الخفيفة مميزاً بينها وبين النون الثقيلة هذه الحروف عند سيبويه.

هذه الحروف عند سيبويه، ونشاهد أن الخليل لم يبتدأ بالهمزة والألف والهاء، وكذلك أن سيبويه أدخل الياء بينما الخليل عزل الأحرف الياء والواو والألف باعتبارها حروف هوائية وهي حروف العلة. وأيضاً هناك خلاف في الضاد نتيجة لدخول الياء، وكذلك الصاد حيث أنّه عند سيبويه يأتي بعد السين بينما عند الخليل بعد الضاد، وهكذا نرى اختلاف ترتيب الحروف بين سيبويه والخليل.

# الفصل الثالث: مخارج الحروف

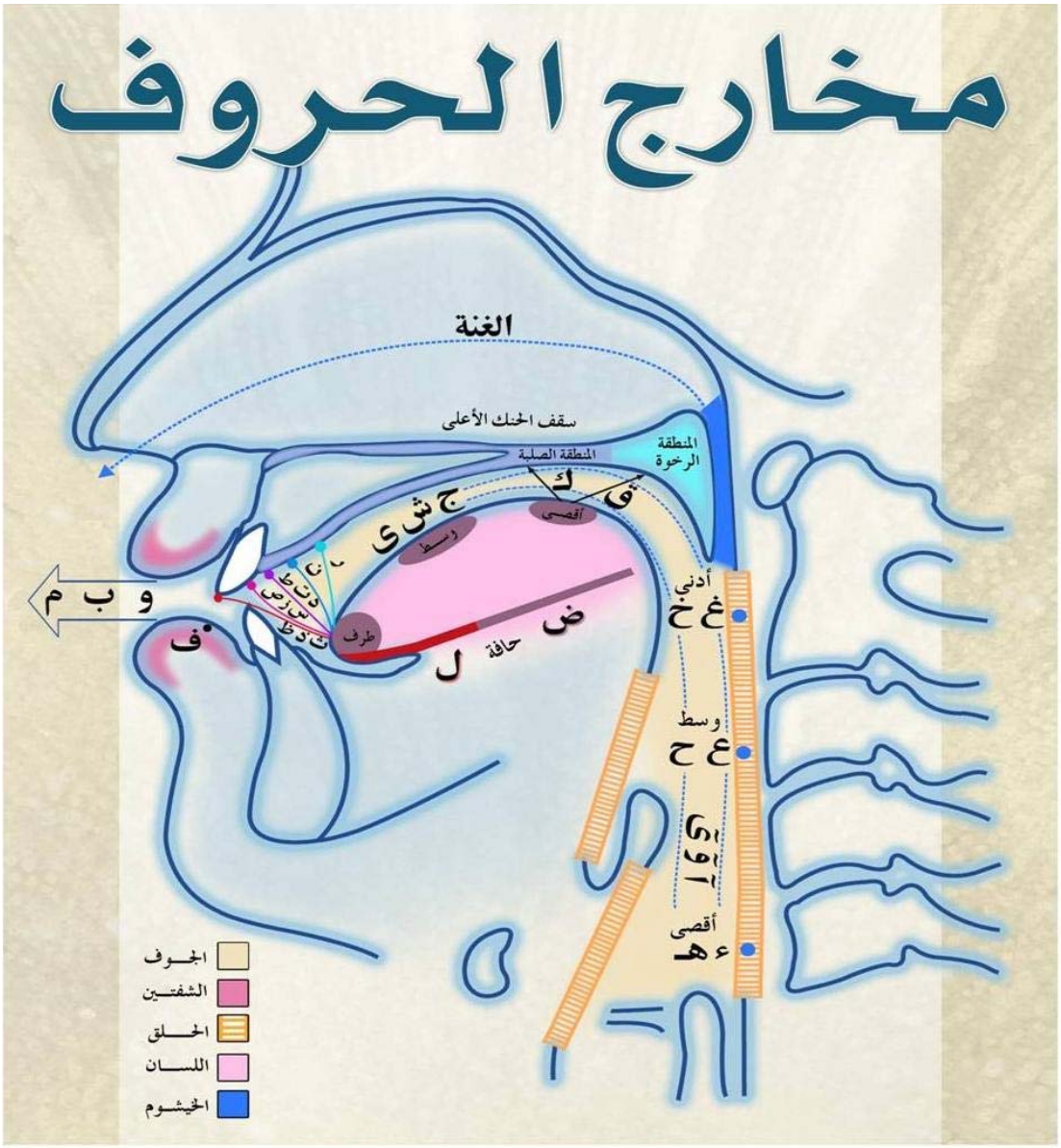


فما هو المقصود بالمخارج ؟ وكيف يُحدّد الحرف في مخرجه ؟

المخرج: عندما يصدر الصوت من القصبة الهوائية منطلقاً مع الهواء ومع النفس من الرئتين فإنّه تعترضه بعض العوارض مثل الحلق أو الشفتين أو اللسان، فتعترض الصوت فتقطعه، هذه تسمى بالمقاطع.

يبدأ الصوت مستطيلاً متصلاً فإن لم يعترضه عارض فيخرج متصلاً، وأما إذا اعترضه عارض فحينئذ ذلك العارض هو الذي يُحدّد مخرج الحرف، فلابد أن نستعين بالهمزة حتى أين ما انتهى استطالة هذا الصوت يعني انقطع هذا المقطع الذي ينقطع فيه هذا الصوت يُسمى مخرج الحرف، وهذه طريقة الخليل في استخراج الحرف.

فمثلاً حرف العين – الذي هو من الحروف الحلقية – فعندما يبدأ الصوت متصلاً «اع» فعندما نقف فهذا الصوت عندما نقطعه فهذا المقطع هو مخرج الحرف، وكذلك مثلاً «اب» «ان» «ار» وهكذا فهذه الأصوات تنتهي عند هذه المقاطع نسمّيها بمخرج الحرف.

ابن جني يذكر هذه الطريقة في إخراج الحرف فيقول: «يخرج[1] مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له «حرفاً»، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعه»[2].

والحرف يقصد به الصوت فهما مترادفان في اصطلاح اللغويين القدامى، وأجراس الحروف المقصود منه النغمة أو الصوت الذي يُصدر من الحلق أي هناك اشتراك بين المخارج وهناك اشتراك في الأجراس، فيريد أن يقول: أنّ الحروف على قسمين منها حروف مجهورة ومنها حروف مهموسة، فالمجهور جرسها (أي صوتها) يبرز ويظهر ولا يمكن أن يُكرّر ونستمر فيه، فمثلاً حرف السين من الحروف المهموسة فيمكن أن أكرر هذا الحرف «سسسس» وأما حرف العين فليس من الحروف المهموسة بل من الحروف المجهورة فلا يمكن أن أكرر حرف العين. فالحرف الذي يستمر فيه النفس من حيث الصوت فهو من الحروف المهموسة والذي ينقطع فيه الصوت ولا يمكن أن تستمر فيه فهو من الحروف المجهورة.

هذه المقاطع التي عرّفها ابن جني فعرّف فيها مخرج الحرف يشبّهونها بمثل آلة الناي وآلة العود فتعتبر القصبة الهوائية بمثابة الفراغ الهوائي الذي يعطي ترقيق الصوت أو تثخينه كما أن العود والناي لهما فراغ هوائي، فالناي الذي فيه عدة ثقوب وعند خروج الهواء منه يصدر منه الصوت بصورة متصلة بدون أن يعترضه عارض، أما لو وضع الإنسان اصبعه

---

(١) الضمير هنا يعود إلى الصوت.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٦.

على أحد الثقوب فحينئذ يُصدر ذلك الثقب وتبعاً لبعده من مصدر الصوت صوتاً يتلائم مع هذا المقطع، فكلما وضع اصبعه على ثقبٍ أصدر صوتاً يخالف الذي قبله والذي بعده فله ميّزات خاصة تختلف حسب موقع هذا المقطع، فكذلك في اللسان أيضاً والحلق والشفتين فهذه الأجهزة تعتبر بمثابة الأصابع التي تقطع الحروف.

وكذلك العود فالفراغ الذي فيه كالقصبة الهوائية والأوتار عندما يضع الإنسان اصبعه على وتر من الأوتار فإنّه بابتعاده عن مصدر الفراغ الصوتي وبشدّه لهذا الوتر يُصدر صوتاً يختلف عن صوت الذي يكون فيه الاصبع أبعد من الفراغ الصوتي أو أكثر شدةً أو أكثر بعداً عن الفراغ، فتختلف الأصوات تبعاً لهذه المسافات وتبعاً للشدة فحينئذ تكون النغمة التي يصدرها العود أو الناي بصفات وميزات مختلفة.

والشكل السابق يبيّن مخارج الحروف وأعضاء النطق، الخيشوم وهي الفتحة التي في مؤخرة الأنف ومقدمة الفم، فالفتحة التي تشترك بين آخر الأنف وآخر الفم من هذه الناحية، وهذه لا تصدر أصواتاً وإنما تصدر منها الغنة وبعض الأصوات التي ليست من جوهر الحرف وإنما من عوارض الحرف.

والحنك الأعلى له أيضاً ثلاثة أقسام: أقصى الحنك ووسط الحنك وأول الحنك، والذي يفصل بين أقصى الحنك وأوله هو الحنك الصلب فحين نضع لساننا في وسط الحنك نجد هنا منطقة صلبة بعدها تأتي منطقة رخوة وقبلها منطقة ليست صلبة ولا رخوة. فهناك حروف تصدر من هذه المنطقة.

والحلق هو نهاية الفم وبداية الوترين والحنجرة، ومنها تصدر الحروف الحلقية، فالحلق تشترك فيه ستة حروف، ولكن هناك لكل حرف حيز يشغله في هذا المخرج، ولكل حرف صفة من الصفات تميّزه، يعني يشترك في المخرج ولكن يختلف في الحيّز وفي الصفات، فالمخرج واحد ولكن مع التقدم والتأخر، من أول الحلق أو من وسط الحلق أو من أقصى الحلق وكذلك الصفات تختلف من حيث الشدة والرخاوة والهمس والجهر. وهناك أيضاً الشفة العليا والشفة السفلى وخلفها الثنايا والأسنان، وهذه أيضاً تشترك وتعتبر كمقاطع تقطع الصوت عندما يخرج من القصبة الهوائية.

## ١ – مخارج الحروف الحلقية (ء، هـ، ع، ح، غ، خ)

بعد هذه المقدمة نبدأ بمخارج الحروف فأول ما نبتدئ بالحروف الحلقية، وأول ما نبتدئ من الحروف الحلقية بالهمزة والألف والهاء، بعضهم يعتبر الهمزة هي نفسها الألف وبعضهم يفرّق بين الألف والهمزة، كتابة ولفظاً.

الخلاف في ذلك يرجع إلى ما ذكره الخليل في كتابه العين بالنسبة لمدرج الصوت وهنا يبدأ الخلاف في تحديد هذا الحرف، وهنا ملاحظة في اللغة الإنكليزية مثلاً لا يوجد حرف اسمه الهمزة ولكن هم يستخرجون هذا الصوت من عدة حروف فمثلاً من حرف U فعندما تتبدأ الكلمة بهذا الحرف ينطقونها همزة، وهكذا بالنسبة للحرف I ينطقونها همزة مكسورة وأحياناً أيضاً بالنسبة للحرف A كذلك ينطقونها همزة مفتوحة، فهناك ٢٤ حرفاً في اللغة الانكليزية ولكن الأصوات التي تصدر أكثر من هذا العدد بكثير.

وهكذا عندنا في تعداد حروف اللغة العربية فقد ابتدأ سيبويه بالحروف من الهمزة ثم الألف ثم الهاء، بينما الخليل ابتدأ بالعين والحاء وجعل الألف من الحروف الجوفية والهمزة في آخر الحروف مع العلم أنّ الهمزة من الحروف الحلقية.

وعلى كل حال فالخلاف يقع في قضية الهمزة والألف، فبعضهم يرى أن الألف هي عبارة عن همزة مليّنة، ففي لهجة بني تميم ينبّرون (أي يهمزون) فعندما – وبلهجتهم في هذه الناحية نزل القرآن الكريم – يقولون «بئر» بينما الحجازيون ومنهم قريش يُليّنون فيقولون «بير»، وبني تميم يقولون «فأس»، «رأس»، «ذئب»، بينما الحجازيون يقولون «فاس»، «راس»، «ذيب» وهكذا .. لذا بعض اللغويين يقول أنّ الهمزة عندما لُيّنت في لغة الحجازيين فهي ألف، فيقولون أن الهمزة والألف هي حرف واحد ولكن عندما تكتب فتكتب مرة على الواو فيقولون «مؤمن» ومرة على الياء «ذئب» ومرة على الألف «رأس».

ولكن الحقيقة في علم الصوت وحسب الدراسات الحديثة تختلف المسألة تماماً الألف ينطق فيه الصوت من القصبة الهوائية ولا يتوقف عند مقطع من القاطع فنقول «آآ» فهذه المدة الطويلة هي الألف فالفتحة القصيرة هي جزء من حركة الألف، ولكن عندما نقول الهمزة «ء» فينقطع فيه النفس في أول الحلق، فالهمزة هي أول حروف الحلق ففي أقصى الحلق تقع الهمزة.

لقد ذكرنا سابقاً أن القدامى يذكرون الحنجرة والوترين الصوتيين مع الحلق فلا يميّزون بين الحلق وبين الحنجرة والوترين فلذلك عندما يقولون أنّها من الحلق فهذا الكلام صحيح، وسنذكر الآن وصف اللغويين القدامى لهذا المقطع أو لهذا المخرج، يقول ابن جني: «واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق، أولها: من أسفله، وأقصاه مخرجاً الهمزة والألف والهاء»[1] – هذا حسب تحديد سيبويه لهذا المخرج –. «فلما قلبتها العرب همزة دلّ هذا على أنها بعد الهمزة وقبل الهاء لا معها. والذي عليه الدراسة الحديثة أن الألف صائت مجهور يحبس نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم دون أن يقطعه مقطع يثنيه أو يضيّق مجراه، وكما عبّر عنه ابن جني: أن الألف تجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، ومن ثم لا يجوز أن يُجعل من حروف الحلق لأنّه ليس له مقطع في الحلق أو في غيره»[2].

إذاً معنى ذلك أنّ الألف في تعداد سيبويه من الناحية الصوتية خطأ أن توضع في حروف الحلق لأن التعريف الصحيح للمخرج هو الاعتراض الذي يحصل من أجهزة النطق على الصوت، عندما ينطلق الصوت من القصبة الهوائية أينما يحدث هناك اعتراض على الصوت يكون هو مخرج الحرف، فعندما نقول «آ» لا يوجد هناك انقطاع للصوت لا في اللسان ولا في الحلق ولا في الشفتين، فإذاً تبقى الألف كما وصفها الخليل جوفية وليست من حروف الحلق، بينما عندما نقول «اع» أو «اح» فينقطع الصوت من الحلق فعلاً.

الهمزة نعم من حروف الحلق وأما الألف فليست من حروف الحلق، وعلى هذا فالمدرج الصوتي عند الخليل هو الأصح عندما عدّ الألف من حروف الجوف وليست من حروف الحلق، وعدّ الهمزة من حروف الحلق.

«وقد اجتهد الدكتور إبراهيم أنيس في الاعتذار عن سيبويه وما تابعه لذكرهم الألف في حروف الحلق، وأورد عبارة لابن جني وفسّرها على ما رأى وهي قوله: (إنّ الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كُتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٥٢.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٢.

الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها لوجب أن تُكتب ألفاً على كل حال) وعقّب على ذلك بقوله: «يبدو أن ابن جني كان يعتبر كلمة الألف اسماً للصوت المنطوق به همزة، فالألف في رأيه رمز للمكتوب، والهمزة رمز للمنطوق، ومقتضى أنّه ما كان يصح في تعداد أصوات الحلق أن تذكر الهمزة والألف معاً، بل كان الواجب الاكتفاء بكلمة الهمزة التي هي رمز للصوت»[1].

ولستُ مع الدكتور أنيس فيما ذهب إليه من تفسير عبارة ابن جني هذه، لأنّ كلامه لم يكن يتناول صوت الهمزة والألف»[2].

إذاً هذا التعداد بأن الألف من حروف الحلق ليس تعداداً صحيحاً، هذا مذهب سيبويه أن يعد الهمزة والألف كليهما من حروف الحلق، ولكن الصحيح أنّ الهمزة من حروف الحلق والألف ليست من حروف الحلق وإنما هي من الحروف الجوفية كما عدّها الخليل.

بناء على ذلك التعداد الصحيح أنّ الهمزة والهاء التي نبتدئ بهما الآن هما من حروف الحلق والألف ليست من حروف الحلق وإنما هي من الحروف الجوفية كما عند الخليل. هذا الاعتذار الصادر من الدكتور أنيس لا يصح مع عدم خروج الألف من مخرج الحلق، وعدم وجود مقطع يقطع صوت الإنسان عندما يصدر حرف الألف فحينئذ لا يصحّ أن نصف الألف بأنها من الحروف الحلقية ولا أنّها هي الهمزة بذاتها.

أيضاً هناك بعض العبارات يذكرها بعضهم رداً على الدكتور أنيس في اعتذاره عن سيبويه فيقول: «ولستُ مع الدكتور أنيس فيما ذهب إليه من تفسير عبارة ابن جني هذه، لأنّ كلامه لم يكن يتناول صوت الهمزة والألف، بل هو في رسم الهمزة وهو يعلّل رسمها على الواو أو الياء كما تقول (مؤمن وبئر) بأنّه على مذهب أهل الحجاز في التخفيف إذ يقولون (مومن وبير). ولو أجمع العرب على تحقيقها بأن ترك الحجازيون تخفيفها لما صحّ على رأي ابن جني أن تكتب على واو أو ياء بل كان الواجب أن تكتب بصورة الألف على كل حال.

ويؤكد ذلك أنّه في نص آخر نقله أيضاً الدكتور أنيس شاهداً على غير هذه المسألة تحدث عن صورة الألف والهمزة بقوله: (فأما المَدّة في نحو قام وسار وكتاب وحمار فصورتها

---

(١) أنيس، د. إبراهيم: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، ط٢، القاهرة ١٩٥٠، ص ١١٥ – ١١٦.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

أيضاً صورة الهمزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم، إلاّ أنّ هذه الألف لا تكون إلاّ ساكنة فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة وإن اختلف مخرجاهما)»[1].

مع كل هذا الاعتذار وتصحيح ما كتبه سيبويه وحتى اعتذار إبراهيم أنيس ومع إقراره أن الألف لا تخرج من مخرج الحلق، تبقى هذه الاعتذارات ليست كافية في تصحيح ما كتبه سيبويه، وتبقى الألف هي ليست من حروف الحلق. وبناءً على هذا نمحو حرف الألف من حروف الحلق ونبتدء بحرف الهمزة والهاء كما ذكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي ونحن نميل إلى تعداد الخليل بل نؤكده ولا نرى صحّة كلام سيبويه في تعداده الألف من حروف الحلق.

والآن نأتي إلى الهمزة التي تخرج من أقصى الحلق، فأول حروف الحلق هي الهمزة، وأما الهاء فتأتي بعد الهمزة حيث يصفها ابن جني في كتابه فيقول: «وأما الهاء فتصدر من أقصى الحلق أو داخل المزمار»[2]. وأقصى الحلق يعني أبعد نقطة عن الفم والتي تأتي نحو القصبة الهوائية، فيصدر من أقصى الحلق ولكن بعد حرف الهمزة، وبعضهم يقول أنّها تصدر من الحنجرة. هذا كان مخرج الحرفين الهمزة والهاء.

وننتقل الآن إلى حرفين آخرين من مخارج الحروف وهما العين والحاء، وهما الحرفان اللذان يصدران من وسط الحلق ولكن اختلف المحدثون في مخرجهما فبعضهم قال بأن حرف العين والحاء يصدر من أدنى الحلق وليس من وسط الحلق، وأما الوصف القديم لعلماء اللغة القدامى يقولون إنه يصدر من وسط الحلق ولا يقولون من أدنى الحلق.

والسؤال الذي يتبادر هنا هو لماذا حصل هذا الاختلاف بين المحدثين والقدامى ؟

بعض المحدثين كالسعران في كتابه «علم اللغة» فيقول كما يقول القدامى، وأن الحرفين يخرجان من وسط الحلق ويحدثان في الفراغ الحلقي أي الفراغ الذي بين الوترين الصوتيين. ولكن هذه الأوصاف عند القدامى تعتبر حلق فهم يعتبرون الحلق مضموماً إليه الوتران الصوتيين والحنجرة.

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٣.

(٢) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ٨٩.

فالخلاف لفظي وليس خلافاً في موضع الحرفين، فمَن وصف الحرفين العين والحاء بأنّهما يصدران من وسط الحلق – كما هو الحال عند القدامى – فهو صحيح لأن القدامى يضمّون الوترين الصوتيين والفراغ الذي بينهما إلى الحلق. بينما المحدثون يفرّقون بين الوترين الصوتيين وبين الحلق.

إذا كان الحرفان العين والحاء كلاهما يصدران من مخرج واحد فما هو الفرق بينهما ؟

الفرق بينهما في الصفات لأنّ حرف العين حينما يصدر يهتّز الوتران الصوتيان بينما حرف الحاء عندما يصدر لا يهتّز له الوتران الصوتيان، وعلى هذا فهذان الحرفان يتفقان في المخرج ويختلفان في الصفات فحرف العين حرف مجهور[١] وحرف الحاء حرفٌ مهموس[٢].

وننتقل إلى الحرفين الأخيرين من حروف الحلق وهما حرفا الغين والخاء ويصدران من أدنى الحلق. وقد وصف اللغويون هذين الحرفين بأنهما يخرجان من أول الفم مما فوق مخرج الحرفين العين والحاء مما يلي الفم، فبعضهم وصفهما بأنهما يخرجان من أقصى الحنك، والواضح أن الخلاف بين الوصفين أو بين اللغويين الذين اختلفوا في هذين الوصفين إنّما هو خلاف لفظي لأنّ أقصى الحنك يضم إلى اللهاة فحينئذ لا خلاف إلا في اللفظ بين الوصفين.

فيكون مخرج حرفي الهمزة والهاء من أقصى الحلق وحرفي العين والحاء من وسط الحلق، ومخرج حرفي الغين والخاء من أدنى الحلق. هذه الحروف إذا جرّبنا كتجربة صوتية نلاحظ أنّه عندما ننطق الهمزة «ء» فهو أول حرف يصدر من أقصى الحلق وعندما ننطق الهاء «هـ» تأتي بعد الهمزة، وإن كانت الهاء تشارك الهمزة في المخرج وهو أقصى الحلق إلا أنّها أقرب إلى الوسط. ثم في وسط الحلق حرف العين «ع» وهو أيضاً يسبق حرف الحاء «ح» فتجد أن العين هي أعمق وأقرب إلى القصبة الهوائية من الحاء، والحاء أقرب إلى الفم مع أنّ كلاهما يصدران من وسط الحلق. وهكذا حرفا الغين والخاء كليهما يصدران من أدنى الحلق، إلا أنّ الغين من الحروف المجهورة والخاء من الحروف المهموسة.

---

(١) الحرف المجهور: هو الحرف الذي يهتّز فيه الوتران الصوتيان، وينقطع فيه النفس أو الصوت ولا يمكن تكراره.

(٢) الحرف المهموس: هو الحرف الذي لا يهتّز فيه الوتران الصوتيان، ولا ينقطع فيه النفس أو الصوت ويمكن تكراره.

### ٢ – مخرج حرفي أقصى الحنك (القاف والكاف)

ومخرج حرف القاف هو أقصى اللسان عندما يتصل بأدنى الحلق تضم لها اللهاة، فأقصى اللسان وأدنى الحلق ينفصلان فجأةً، عند التقاء أقصى اللسان بأدنى الحلق فالهواء خلفهما محبوس وحينما ينفصلان يحدث صوتاً انفجارياً شديداً فيخرج صوت القاف.

ومعنى ذلك أن حرف القاف ينطلق ممّا بين أقصى اللسان وأدنى الحلق، وبانفراجهما فيُحدث الهواء المحبوس خلفهما هذا الصوت وهو حرف القاف فهو يصدر من اللهاة ولذلك هو من الحروف اللهوية. وهذا الكلام فيه خلاف شديد بين اللغوين المحدثين والقدامى. فمن اللغويين القدامى كابن جني وصف مخرج القاف بأنّه فوق الغين والخاء فهو يعتبرها من الحروف الحلقية، وقد ذهب بعضهم – موافقاً لابن جني –: «إلى أنّها ينبغي أن تورد قبل الخاء والغين لا بعدهما، واعتذر لذكر علماء العرب إياها قبلهما بأحد الأمرين: الأول احتمال خطأ القدامى في تعيين موضع القاف في النطق. والثاني أن الصوت الآن يختلف عنه قديماً وإنّ ما تلفظه الآن قافاً كان يلفظ بما يشبه الكاف الفارسية، أو لفظ القاف في لهجتنا العامية في العراق نحو (گال) أي (قال)، وهي بهذا الوصف تكون حقاً بعد الخاء والغين ولكنها حينئذ من موضع الكاف إلا أنّها مجهورة والكاف مهموسة»[١].

وهذا الوصف أيضاً مردود عليه: «وأرى أن نسبة الخطأ إليهم في تعيين القاف، أو القول بأنهم وصفوا القاف من لهجات معينة غير ما شهر فيما بعد في الفصيح، أقرب من القول باختلاف الصوت، لأنه لا يتصور أن يجمع العرب في الفصيح اليوم على صوت القاف المألوف، مع اختلافهم في نطقه في العاميات ويكون هذا الذي أجمعوا عليه مخالفاً لما أخذوه من أسلافهم مع وجود الصوت الذي يدّعى أنه صوت القاف القديم في مناطق واسعة من العالم العربي كالعراق والجزيرة والخليج مما يدل على أنّه أثر من آثار اللهجات العربية القديمة.

هذا فضلاً عن أن قرّاء القرآن الذين أخذوا القراءة عمّن قبلهم حفظاً وتلقيناً في كل بلاد الإسلام يلفظونها قافاً بهذا الصوت المعروف في الفصيح مع أنهم إذا تكلموا بلهجاتهم قد

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٥ و٣٠٦.

يلفظونها بصوت آخر يختلف في هذا البلد عن ذاك فبعضهم يجعلها همزة وبعضهم يجعلها كافاً فارسية وبعضهم يلفظها كالقاف الفصيحة»[١].

ثم هناك قضية أخرى أنّه لو كان مخرج الغين والخاء قبل القاف لما أمكن إخفاءهما حيث أن هذين الحرفين تخفيان حرف النون الساكنة فلو كانت القاف قبلهما وهي ليست من حروف الاخفاء فلا يصح أن يكون الاخفاء بعدهما.

«ويبدو أن الغين والخاء يمكن أن ينطقا من اللهاة قريبين من موضع القاف وهو ما عليه نطقنا اليوم ويكونان بعيدها أو قبيلها، كلاهما ممكن، ممّا يؤدي إلى الاشتباه في تعيين المخرج، وقد جربتُ ذلك بنفسي، ويمكن أن يخلص نطقهما من أدنى الحلق في موضع أعمق من موضع القاف وحينئذ لا مجال للبس في تعيين الموضع ويكونان حينئذ أفخم منهما في نطقنا اليوم، وهو الصوت الذي أرى أن العرب كانوا عليه حين وصفت الحروف، يقوي ذلك ما ذكروه من أن النون لا تنطق نوناً خالصة مظهرة لا تشوبها شائبة الاخفاء أو الادغام إلا مع حروف الحلق الستة الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين. ولو حاولنا إخفاءها مع الهمزة أو الهاء أو الحاء أو العين لما أمكننا ذلك بمعنى أنه ليس من الأصوات المألوفة في القراءة اليوم فلا نقرأ: من أتى، بالاخفاء مثلاً كما نخفي في: مَن جاء، ومَن كان، ولكننا ألفنا الاخفاء مع الخاء والغين كما نلفظهما اليوم، فنقول: مَن غادر، أو مَن خالف، بالاخفاء فيهما، ولو رددناها إلى أدنى الحلق وراء موضع القاف لما وجدنا الاخفاء معهما سائغاً»[٢].

وأما مخرج حرف الكاف فيقول ابن جني في كتابه «الخصائص»: «ومن أسفل من ذلك[٣] ومن أدنى مقدم الفم مخرج الكاف»[٤].

وهذا الوصف لحرف الكاف لا فرق بين وصف المحدثين ووصف القدامى على هذا المخرج وقد اتفق الجميع على هذا المخرج.

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٣) يعني أسفل حرف القاف.

(٤) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

### ٣ – مخارج حروف أدنى الحنك (ج، ش، ي)

«وقد أطلق بعض المحدثين على الثلاث: الحروف الأدنى حنكية، وفسّر أدنى الحنكية بأنّها التي تكون من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى»[١].

ولكن هناك أيضاً خلاف في مخرج هذه الحروف الثلاثة، يقول ابن جني: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[٢].

بينما بعضّهم فصّل الخلاف: «وفصل بعضهم فوصف الجيم بأنّه لثوي حنكي، وكذلك الشين، أما الياء فذكر أنّه من وسط اللسان ووسط الحنك فهو حنكي – وسيط، ووصف بعضهم الشين بأنه صوت لثوي حنكي، ثم ذكر أنّ علماء العربية أطلقوا لفظ أصوات وسط الحنك على الشين والجيم والياء»[٣].

### ٤ – مخرج حرف الضاد

يقول ابن جني في وصف مخرج هذا الحرف: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر»[٤]، واختلف المعاصرون في وصف هذا الحرف ويكاد أن لا يوجد شعب من الشعوب ينطق بحرف الضاد كما هو في وصف القدامى في هذا الحرف، علماً أن اللغة العربية تُنسب لهذا الحرف فيقال لها «لغة الضاد» ومع ذلك لا أحد من العرب ينطق مع الأسف الشديد بهذا الحرف كما هو، فبعضهم ينطقها ظاء وبعضهم ينطقها بالدال المثخنة وبعض لهجات المغرب ينطقونها بما يقارب حرف الطاء.

هذا الخلاف الموجود بنطق حرف الضاد لم يتعرض له المحدثون لأنّهم لا يعرفون الصوت الحقيقي الذي كان ينطقه القدامى باعتبار أنّ المحدثين ينطقون – كما هو الحال لمعظم الشعوب العربية المعاصرة – باختلاف وبتفاوت.

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٨.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٨.

(٤) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

### ٥ – مخرج حرف اللام

يقول ابن جني في وصف مخرج هذا الحرف: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»[١].

ولا يختلف عن وصف المحدثين لمخرج هذا الحرف، وبعضهم يصفه من الحروف السنّي الجانبي، ولا أهمية لهذا الخلاف اللفظي لأنّهم جميعاً اتفقوا على الصوت واتفقوا على مخرج الحرف.

### ٦ – مخرج حرف النون

يقول ابن جني في وصف مخرج هذا الحرف: «ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون»[٢]. أي أنّه قريب من مخرج حرف اللام، وهذا أيضاً لا يختلف عن وصف المحدثين لمخرج هذا الحرف، إلا أنّ اتصال اللسان بأصول الثنايا وما فُويق الثنايا جعلهم يعطون هذا الحرف الصفة الأسنانية، أي يعتبرون النون أيضاً من الحروف الأسنانية.

### ٧ – مخرج حرف الراء

يقول ابن جني في وصف مخرج هذا الحرف: «ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»[٣]، ولهذا يسمّونه من الحروف المنحرفة.

والمحدثون أيضاً لا يختلفون في وصف هذا الحرف مع القدامى فكلّهم يتفقون على صوته وعلى مخرجه.

«وقد عبّر بعض المحدثين لفظ فُويق مغارس الثنايا وهو يشير إلى اللثة»[٤]، ولا فرق بين الوصفين القديم والحديث فكلاهما يتفقان في وصف الصوت وفي مخرج الحرف.

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٩.

## ٨ – مخارج الحروف النطعية (ط، د، ت)

ولقبت نطعية نسبة إلى نطع الغار الأعلى أي سقفه لأنها تخرج من جوار منطقة النطع، ويقول ابن جني في وصف مخارج هذا الحروف: «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»[١]. فإذا كانت هذه الحروف لها مخرج واحد فما هو الفرق بينهم ؟

الدال حرف مجهور والتاء حرف مهموس، والطاء مثل التاء إلا أنّ الطاء مطبقة ولكن التاء ليست مطبقة.

## ٩ – مخارج الحروف الأسلية (ص، ز، س)

لقبت بذلك لخروجها من أسلة اللسان أي طرفة المستدق، ويقول ابن جني في وصف مخارج هذا الحروف: «ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين»[٢].

«وقد أطلق بعضهم الحروف الأسنانية، والتزم رأي علماء العرب في تعيين مخرجها، وفسّره بأنها حروف أسنانية أو مغارزية إشارة إلى مغارز الثنايا، وإن لم يرد في النص لفظ مغارز الثنايا أو أصول الثنايا، وعبّر بعضهم بأنّها تحدث نتيجة اعتماد طرف اللسان على اللثة، ومغارز الثنايا في اللثة، فالمراد واحد وان اختلفت العبارة»[٣].

ومع أن السين والصاد من مخرج واحد حتى أن بعض الكلمات القرآنية تجوز القراءة فيها بالسين والصاد كما في قوله تعالى: ( **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ** )[٤]، فيمكن قراءته بالسين أو الصاد وهكذا أيضاً لقوله تعالى: ( **وَزَادَهُ بَسْطَةً** )[٥]، لقرب مخرجهما فكثير من الروايات والقضايا الفقهية يجوّزون القراءة بالسين والصاد في بعض الكلمات ككلمتي «الصراط، بسطة»، ولكن ما الفرق بينهما ؟

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٠٩.

(٤) الحمد (الفاتحة)، ٦.

(٥) البقرة، ٢٤٧.

«بين الصاد والزاي والسين من الشبه ما بين الطاء والدال والتاء، فهي من مخرج واحد، والزاي فيها هو النظير المجهور للسين، أما الصاد فلا يختلف عن السين إلاّ في كونه حرفاً مطبقاً والسين ليس فيه إطباق»[١].

## ١٠ – مخارج الحروف اللثوية (ظ، ذ، ث)

ولقبت بذلك لخروجها من قرب اللثة لا منها، ويقول ابن جني في وصف مخارج هذه الحروف: «مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[٢].

«وقد أطلق عليها المحدثون اسم حروف ما بين الأسنان، ولا فرق بين الذال والثاء سوى أن الأول مجهور والثاني مهموس، أما الظاء فهو مجهور كالذال إلاّ أنّه يختلف عنه في الاطباق فالظاء من حروف الاطباق بخلاف الذال فالثلاثة إذن من مخرج واحد وهو ما ذكره ابن جني»[٣]. وهذه الحروف أيضاً لا يوجد خلاف بين المحدثين والقدامى في وصف صوتها وفي وصف مخرجها فالجميع مجمعون على الوصف والمخرج.

## ١١ – مخرج حرف الفاء

يقول ابن جني في وصف مخرج هذا الحرف: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء»[٤]. «وهو كذلك عند المحدثين وأطلقوا عليه وصف شفوي أسناني»[٥]، ولا خلاف بين القدامى والمحدثين في وصف هذا الحرف ومخرجه. وكما ذكرنا سابقاً بأن الأسنان واللسان والحلق هما كأصابع الانسان الضارب على الناي، فعندما يقطع الضارب على الناي الصوت الصادر من قصبة الناي بأحد الثقوب فإنّه يقطع الصوت ويغيّر مجراه، فهنا الثنايا العليا تنطبق على الشفة السفلى فتحدث هذا الصوت الذي هو حرف الفاء.

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٤) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٥) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣١٠.

## ١٢ – مخارج الحروف الشفوية (ب، م، و)

ولقبت بذلك لخروجها من الشفتين، ويقول ابن جني في وصف مخارج هذا الحروف: «وما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو»[١].

«وهي جميعاً عند بعض المحدثين شفوية، وعند بعضهم الباء والميم شفويان، أما الواو فإنّه شفوي حنكي قصي، وقد ذكر بعضهم أن وصف الواو بأنه شفوي ليس خطأ لأن الشفتين فيها دخل كبير في نطقه، ولكن الوصف الدقيق له أن يقال: إنّه من أقصى الحنك لأنّ اللسان يقترب من هذا الموضع عند النطق بالواو»[٢].

وفعلاً أن الواو يدخل الحنك في إصدار صوت حرف الواو ولهذا حصل الخلاف بين وصف المحدثين والقدامى لمخرج هذا الحرف، لأنّ القدامى قد أغفلوا دور أقصى الحنك واللسان والتفتوا فقط في الحركة الواضحة للشفتين.

## ١٣ – مخرج حرف النون الخفيفة (الخفية)

يقول ابن جني في وصف مخرج هذا الحرف: «الخياشيم مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيفة أي الساكنة»[٣]. والفرق بين النون المتحركة والنون الخفيفة فيقول ابن جني: «ويدلك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم إنّك لو امسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلة، وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف»[٤].

ما الفرق بين النون الساكنة الخفيفة وبين النون المتحركة ؟ فكيف نميّز بين هاتين النونين ؟ علماً أن النون الخفيفة أو الخفية لأنّها تُخفى مع بعض الحروف، وخفيفة لأنّها ساكنة ليست متحركة وهذه تخرج من الخيشوم، والخيشوم هو نقطة الالتقاء بين مؤخرة الأنف وبداية الفم من الداخل فهذه الفتحة هي الخيشوم والنون الخفيفة تصدر من الخيشوم.

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣١٠.

(٣) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٤٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٨.

وهذه النون الخفيفة تُسمع من غير ادغام أو إظهار، فلو أمسكنا بطرف الأنف وأردنا النطق بها فإنّها تختل ولا يمكن النطق بالنون الساكنة لأنّها تصدر من الخيشوم. وأما النون المتحركة فهي من حروف الفم ويمكن النطق بها حتى لو أمسكنا بطرف الأنف.

فمثلاً حينما نقول «ينقاد» فنلاحظ أنّه لا دخل في الفم واللسان والحنك والأسنان في إصدار هذا الصوت أي صوت النون في كلمة «ينقاد» وكذلك عبارة «مَن قال» فنلاحظ أن حرف النون يصدر من الخيشوم. بينما إذا أردنا أن ننطق النون المتحركة فنقول «مَنْ عاد» نفتح الشفتين لاصدار صوت حرف الميم ثم يلتصق طرف اللسان باللثة وفويق الثنايا فيخرج صوت النون بغنّة من الأنف بعد أن ينخفض الحنك اللّين يقفل طريق الفم أمامه فنقول «مَنْ عاب» فتظهر النون واضحة وبيّنة تختلف عن قولنا «ينقاد ومَن قال».

فالنون لها مخرجان أحدهما من الخيشوم والآخر بالتصاق اللسان باللثة وفويق الثنايا، فلابد من وضع رموز تشير إلى كل حرف، وأقصد بكلمة «حرف» هو الصوت، بمعنى أن نضع رموز تشير إلى كل صوت ينطبق عليه ويميّزه عن غيره فهناك فرق بين كلمتي «واللهِ» وبين «بِاللهِ» فالأولى تكون اللام مثخنة وفي الثانية تكون اللام خفيفة.

والحروف التي تُسبّب هذه النون الخفيفة أو حروف الاخفاء هي: الصاد، الذال، الثاء، الكاف، الجيم، الشين، القاف، السين، الدال، الطاء، الزاي، الفاء، التاء، الضاد، الظاء. وبعضهم جمعها في هذا البيت من الشعر فنأخذ أول حرف من كل كلمة في هذا البيت:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا  دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقىً ضَعْ ظَالِمَا

ونذكر أمثلة بسيطة عن النون الخفيفة في قوله تعالى: ﴿ **عَن صَلاتِهِم** ﴾[1]، وكذلك الكلمات الواردة في القرآن الكريم: ﴿ **مُنذِر** ﴾[2]، ﴿ **وَالأُنثَى** ﴾[3]، ﴿ **مِن ثَمَرِهِ** ﴾[4]. والصوت في النونين واحد ولكن الاختلاف من حيث المخرج.

---

(١) الماعون، ٥.

(٢) الرعد، ٨.

(٣) البقرة، ١٧٨.

(٤) الأنعام، ١٤١.

# الفصل الرابع: صفات الحروف

إن لكل حرف من الحروف التي مرّ ذكرها بمخارجها وبما يجري عليها فهناك صفات تعترض الصوت الصادر من القصبة الهوائية، وهذا الاعتراض يُسبّب رخاوة في الصوت أو شدّة، وكذلك يُسبّب همساً أو جهراً وقلقلة أو انحراف، فهناك سبعة عشر صفة.

هذه الصفات السبعة عشر منها عشرة متضادة أي خمسة وأضدادها كالمجهور وضده المهموس، والانطباق وضده الانفتاح .. الخ، وسبعة صفات لا يوجد لها أضداد.

والصفات السبعة عشر هي كالتالي: الهمس وضده الجهر، الشدّة وضدها الرخاوة، الاستعلاء وضده الاستفال، الاطباق وضده الانفتاح، الذلاقة وضده الاصمات، ثم تأتي الصفات السبعة الأخرى وهي: القلقلة والصفير والتكبير والتفشي والاستطالة والانحراف.

## ١ و ٢ – الحروف المهموسة والحروف المجهورة

القدامى عدّوا الحروف المهموسة بعشرة حروف يجمعها قولك: «سكت فحثه شخص» وما عدا هذه الحروف فكلها مجهورة. وأما المحدثون فقد زادوا على الحروف العشرة التي عدّها القدامى حرفين آخرين وهما الطاء والقاف فلم يعدّوها في الحروف المجهورة بل عدّوها في الحروف المهموسة، وهذا خلاف بين القدامى والمحدثين، ولابد أن نتناوله لنعرف السبب الذي جعل القدامى يعدّون الطاء والقاف من الحروف المجهورة ولا يعتبرونها من الحروف المهموسة.

وقبل معرفة سبب الخلاف يجب معرفة حد تعريف الهمس وكذلك الجهر، وهل هناك فارق بين التعريفين عند القدامى والمحدثين ؟

الهمس هو جريان النفس عند النطق بالحرف وعدم انقطاعه، فالصوت الذي يجري معه النفس فهو صوت مهموس. وأما الجهر فهو الصوت الذي لا يجري معه النفس.

كان هذا تعريف القدامى للهمس والجهر، يقول ابن جني: «وأما المهوس فحرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفَس معه»[١].

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٦٠.

كان هذا تعريف القدامى وأما بالنسبة لتعريف المحدثين فهو: «المجهور من الحروف هو ما حرّك الوترين الصوتين، وإذا لم يتحرك الوتران الصوتيان فهذا الحرف من الحروف المهموسة».

وبناءً على هذا التعريف سنجد أن بعض الحروف عند القدامى تدخل وفقاً لتعريفهم ضمن الحروف المجهورة وبعضها يخرج من الحروف المجهورة إلى الحروف المهموسة عند المحدثين.

ولما اختلف التعريف اختلفت الحروف التي تدخل في هذا التعريف. ويعرّفون القدامى المجهور: «فمعنى المجهور أنّه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومُنِع النفَسُ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت»[1].

وأما المهموس فكما ذكر ابن جني: «وأما المهموس فحرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفَس معه، وأنت تعتبر ذلك بأنّه يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو سَسَسَ كَكَكَكَ هَهَهَ، ولو تكفلت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك»[2].

وعلماء اللغة يختصرون هذا التعريف بهذه العبارة: «الصوت المهموس ما جرى معه النفس والصوت المجهور مالم يجري معه النفس». فهذه هي الضابطة التي يضبط فيها القدامى الحروف المجهورة من الحروف المهموسة، وبناء على هذا التعريف جربّوا فوجدوا أن هذه الحروف العشرة دخلت في مجموع المهموس من الحروف وأما الحروف المتبقية فتدخل في دائرة الحروف المجهورة.

وأما المحدثون فقالوا بأن الحرف المجهور: «هو الحرف الذي يهتزّ معه الوتران الصوتيان»، وبتعبير آخر أنّ النطق بذلك الحرف يهز الوترين الصوتيين اللذين في الحنجرة وعكس هذا هو الحرف المهموس الذي لا يهتزّ معه الوترين الصوتيين. وبناء على هذا التعريف فحرفي الطاء والقاف لا يهزّ الوترين الصوتيين فهو من الحروف المهموسة.

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٠.

وأما بناء على تعريف القدامى فحرفي الطاء والقاف لا يمكن أن يتكررا ولا يجري معهما النفس، فعلى قاعدة القدامى صحيح أن حرفي الطاء والقاف هي من الحروف المجهورة.

طبعاً هناك بعض القبائل اليمنية تنطق حرف القاف كما ينطقها العراقيون في اللهجة العامية فيقولون «گال أو گلب»، وبناء على هذا الوصف يكون في نظر المحدثين إذا صحّ هذا الوصف في مخرج القاف فتدخل حينئذ بالحروف المجهورة ولا تدخل بالحروف المهموسة، لأنّ حرف «الگاف» يهتزان بالنطق به وليس حرف القاف، فإذا كانوا يقصدون به القاف فلا يهتزّ الوتران الصوتيان بنطق حرف القاف. وهذه المسألة أختلف فيها علماء اللغة، فهل أن وصف القدامى لمخرج الحرف اختلف أو أنّنا ننطق بالحرف خلافاً لما ينطق به القدامى ؟

فإمّا أنهم أخطأوا وصف مخرج حرف القاف أو أنّنا ننطق بهذا الحرف خلافاً لما كان ينطق به القدامى.

ولكن الحقيقة هو أن التعريف هو الذي اختلف فتعريف القدامى للمهموس اختلف عن تعريفه عند المحدثين، فلا يُعقل أن تخطأ كل الشعوب العربية بنطق القاف مع أنّها تختلف عند بعضها في اللهجات العامية كالمصريين والشاميين ينطقون القاف بالهمزة فيقولون «آل أو ألم» يعني «قال أو قلم» والعراقيون ينطقونها گاف وبعض السودانيين ينطقونها بالغين فيقولون «غلم» أي «قلم» فيفرقون بين القاف الفصيحة والقاف العامية.

وهناك قضية أخرى بالنسبة لحرف آخر وهو الهمزة فهل هو من الحروف المهموسة أم من الحروف المجهورة ؟

أمّا عند القدامى فإنّ الهمزة من الحروف المجهورة لأن النفس ينقطع عند النطق بالهمزة فتقول «ء» فلا يمكن أن تكررها مراراً، فبناء على تعريفهم هي من الحروف المجهورة.

وبعض المحدثين وصفوا الهمزة بأنّها حرف مهموز لأنّ الوترين لا يهتزان عند النطق بالهمزة فاختلفوا فيه فبعضهم اعتبرها من الحروف المهموسة وحجّته في ذلك أن النطق بالهمزة لا يتحرّك معها الوتران الصوتيان، فقال: «إنّها مهموسة لأن الوترين لا يتذبذبان حين النطق

بها إذ أنّها تخرج بانطباق الوترين الصوتيين ويحول هذا الاطباق دون ارتعاش الأوتار الصوتية ولذا كانت الهمزة مهموسة»[١].

ووصفها آخرون بأنّها ليست مجهورة ولا مهموسة وعلّل ذلك بقوله: «صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً فلا يُسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يُسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي يُنتج الهمزة»[٢].

ويقول البعض: «أما بضابط ارتعاش الوترين الصوتيين فهي مهموسة لأنهما لا يتحركان مع الهمس بل لا يمكن أن يتحركا معها، ولست أرى موجباً لجعل الهمزة في وصف الجهر والهمس منزلة بين المنزلتين».

هذا هو الخلاف بين المحدثين في مسألة الهمزة، ولكن القدامى والمحدثين عندما اختلفوا جاء المحدثون ليبرّروا للقدامى بحرفي الطاء والقاف إلا أنّهم لم يبرّروا ذلك في حرف الهمزة.

### ٣ و ٤ – الحرف الشديد والحرف الرخو

الحرف الشديد هو الذي يمنع الصوت من أن يجري، والحرف الرخو هو الذي يجري فيه الصوت. والحروف الشديدة هي: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، التاء والباء، يجمعها قولك: «أجدت طبقك». وهناك ما يتوسط بين الحروف الشديدة والحروف الرخوة فيكون وسطاً بين الشديد والرخو وهي ثمانية حروف، وهو الذي يجري معه الصوت بصعوبة، وهذه الحروف هي: الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم والواو، ويجمعها هذه العبارة: «لم يروِ عنا».

إنّ بعض المحدثين يطلقون على الحرف الشديد بالصوت الانفجاري لأنّه ينفجر دفعة واحدة وينقطع عنده الصوت ولا يجري، وأما القدامى فيصفونه بأنّه الحرف الذي لا يجري معه النفس.

---

(١) كانتينو، جان: دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، ط١، الجامعة التونسية، ١٩٦٦، ص ١٢٣.
(٢) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ٧٧.

كما أن بعض المحدثين فسّر الصوت الانفجاري بتعريفه الصوت الشديد بهذا التفسير: «أنّ الهواء الخارج من الرئتين عند النطق بأي من تلك الحروف الشديدة في موضع من مواضع النطق يحدث حبساً تاماً في موضع من المواضع، مما يؤدي الى ضغط الهواء، واطلاقه فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً»(١).

أما الصوت المهموس فإنّه يتولد من احتكاك الهواء الخارج من الرئتين في موضع من مواضع النطق والذي ليس بالرخو فيُسبّب تضييق المجرى في ذلك الموضع فحينئذ لا يجري نتيجة لهذا الاحتكاك، فينقطع النفس معه وينقطع الصوت معه، فعندما تقول لكلمة «حج» فينقطع الصوت ولا ينقطع الصوت في الحرف الرخو مثل كلمة «زاي».

وما بين الشدّة والرخاوة فينقطع الصوت نوعاً ما، فيضيق النفس ولا يسري بارتياح وهذه الحروف الثمانية التي ذكرناها سابقاً «لم يروِ عنا».

وأما الحروف الرخوة فهي ١٣ حرفاً وهي: الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الزاي، السين، الضاد، الطاء، الذال، الثاء والفاء، ويضربون مثالاً على هذا الحرف الرخو وكيفية النطق به ككلمة «رش» و«مس» فيستمر الصوت في الحروف الرخوة.

بينما في الحروف الشديدة فينقطع الصوت كما في كلمة «حج». وأما الحروف بين الشدة والرخاوة فلا يستمر الصوت بسهولة ولا يمتنع الصوت امتناعاً تاماً.

والخلاف بين القدامى والمحدثين يقع في الحروف الثمانية التي ما بين الشدة والرخاوة، فوصف القدامى لهذه الحروف ووضعها في هذه المنزلة وضع دقيق وسليم لأنّ كل حرف من هذه الحروف لا ينطبق عليه صفة الشدة أو الرخاوة.

بالنسبة لحرف العين وقع فيه خلاف هل هو من حروف الرخاوة أو حروف الشدة بناء على تعريف المحدثين للرخاوة أو الشدة الذي يختلف نوعاً ما عن تعريف القدامى.

فالقدامى عندهم الشدة مالم يجري معه الصوت، والرخاوة ما يجري معه الصوت عند النطق بالحرف، والحروف التي لم يطلق عليها إحدى هاتين الصفتين فهو ما بين الشدة والرخاوة.

---

(١) السعران، محمود: علم اللغة، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٢٨.

وأما المحدثون فقد عرّفوا الحرف الشديد: «أنّ الهواء الخارج من الرئتين عند النطق بأي من تلك الحروف الشديدة في موضع من مواضع النطق يحدث حبساً تاماً في موضع من المواضع، مما يؤدي الى ضغط الهواء، واطلاقه فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً»[1].

وبناءً على هذا التعريف بعضهم أخرج الجيم من الحروف الانفجارية وأدخل الضاد في الحروف الانفجارية لأنّه أخذ الحرفين الجيم من لهجة مصر وكذلك الضاد من لهجة مصر التي هي دال مفخمة وليس كما ننطقها بالشكل الذي وصفها سيبويه وابن جني.

والمحدثون يعبّرون عن الحروف الرخوة بالحروف الاحتكاكية وذلك أنّهم أخذوها من الهواء الخارج من الرئتين في موضع من مواضع النطق بسبب تضيّق المجرى في ذلك الموضع وبناءً على هذا أخرج الضاد من الحروف الاحتكاكية وأدخلها في الحروف الشديدة. وكذلك الجيم نتيجة لاختلاف النطق اختلفوا في أنّها هل هي من الحروف الشديدة أم من الحروف الرخوة.

والجيم كما يصفها القدامي وكما ننطقها اليوم في العراق بالجيم وليس بالشين الشامية ولا بالگيم المصرية، وهذا داخلها في الحروف الانفجارية عند المحدثين لأنّ الوقف عليه لا يجري معه النفس.

أما العين وإن كانت احتكاكية في نظر المحدثين لأنّه ممكن أن يتسرّب معها النفس أو الصوت نوعاً ما، إلا أنّ القدامى وضعوها بين الرخاوة وبيالشدة.

إنّ صوتا النون والميم لا يصدران من الصدر وإنما تصدران من الخيشوم، بينما حديثنا حول الحروف التي تصدر من الصدر ويشكّل معنى الشدة أو معنى الرخاوة فلذلك إذا اعتبرنا الصوت من الصدر فإنّه ينقطع مع النون والميم ويبقى الصوت الصادر من الخيشوم، وهذا لا ينطبق على التعريف الذي ذكرناه بالنسبة للحروف الشديدة، حيث أنّ الصوت يستمر ولا ينقطع لكنّه من الخيشوم فاحتار القدامى بأي موضعٍ يضعونها ؟! فإذا وضعوها مع الحروف الرخوة فلا تنطبق لأنّ الصوت لا يستمر من الصدر، وهكذا لو وضعوها مع الحروف الشديدة فلا

---

(١) السعران: علم اللغة، مصدر سابق، ص ١٢٨.

تنطبق لأنّ الصوت أو النفس يستمر ولا ينقطع إلاّ أنّه لا يصدر من الصدر بل يصدر من الخيشوم. فلذلك فإنّ القدامى وضعوها في هذه المنزلة وهي ما بين الشدة والرخاوة.

أما بالنسبة لحرفي الياء والواو والألف الممدودة «آ» فهاذان أيضاً لا ينطبق عليهما الحروف الشديدة وكذلك الحروف الرخوة.

وأما اللام والراء، فالراء تكرّر نتيجة لتحرّك اللسان على نفس الموضع مراراً فيحدث التكرار فكأن طرف اللسان ينفصل ويوضع مرة أخرى على نفس الموضع في حرف الراء وليس نتيجة لامتداد الصوت حتى نقول هي من الحروف الرخوة، وأما اللام فهو كالراء ولكن نتيجة انحراف ظهر اللسان فيحدث صوت اللام، ولذلك وضع هذا الحرفان في منزلة ما بين الشدة والرخاوة، وهذا وضع دقيق للقدامى وأيّده المحدثون إلا في حرف العين كما ذكرنا.

قال المحدثون حول حرف العين فإنّها وإن كانت احتكاكية بحسب النظر الحديث إلا أنّ وضع علماء العرب إيّاها بين الشديدة والرخوة وضع صحيح إذا حكمنا عليها وفق الضابط الذي ذكروه، فلو أخذنا ثلاثة كلمات «ارجئ»، «أرجح»، «ارجع»، فعند النطق بكلمة «ارجئ» فالكلمة تقف عند الهمزة وينقطع الصوت انقطاعاً تاماً ولا يجري النفس اطلاقاً، فالهمزة من الحروف الانفجارية بالتعريف الحديث ومن الحروف الشديدة بالتعريف القديم.

وعندما ننطق بالحاء التي هي من الحروف الرخوة في كلمة «أرجح» فهو من الحروف الاحتكاكية عند المحدثين فيمكن أن يجري الصوت، ولكن إذا جئنا إلى العين وقلنا «ارجَع» فيمكن قليلاً أكثر من الهمزة أن يستمر الصوت ولكن بصعوبة، فيمكن أن يستمر النفس ولكن ليس استمراراً كما هو الحال في حرف الحاء.

هذا هو الخلاف في موضوع العين، بناءاً على هذا فقد أرجع المحدثون العين إلى هذه المنزلة بين الشدة والرخاوة.

وأمّا الجيم فهناك خلاف في نطقها، فالجيم المصرية تختلف عن الجيم الشامية وتختلف عن الجيم العراقية التي هي الجيم الفصيحة، فالجيم الشامية التي هي الشين تعتبر من الحروف الانفجارية الاحتكاكية، بينما الجيم العراقية لا تشوبها شائبة الرخاوة لأنّ الجيم العراقية لا يمكن تكرارها وإنما ينقطع معها الصوت انقطاعاً تاماً، وأما الجيم المصرية فهي تنطق بالگيم.

إذا أراد أحدهم كما حدث لابن جني ومَن تابعه أن ينقل حرف الجيم من الحروف الشديدة إلى ما بين الشدة والرخاوة فحينئذ تكون الجيم بناء على النطق الشامي وليس بناءً على النطق العراقي، ولذلك لم تُذكر هذه الجيم على الوصف الشامي بين الشدة والرخاوة.

وإذا أردنا أن نصحّح نقول هذا السؤال أيّهما ينطق بالنطق الصحيح هل الشامي بالشين أو المصري بالگيم أو العراقي بالجيم ؟

وبالنسبة للعراقي فهناك نطق باللهجة العامية فيقولون «الجمل» فلا يلفظون اللام ويجعلون الجيم من الحروف الشمسية بينما الجيم هي من الحروف القمرية ولابد من نطق حرف اللام عند قول «الجمل» أو «الجبل» وهذا خطأ شائع في اللهجة العراقية.

فالجيم العراقية ينطبق وصف القدامى على نطق العراقيين لها ولا ينطبق على وصف الشاميين لأنّه على وصف الشاميين يحدث احتكاك أي يحدث سريان في النفس ولكن لا يستمر النفس كما في حرفي السين والصاد فتكون ما بين الرخاوة والشدة في نطق الشاميين، وكذلك بالنسبة للگيم في اللهجة المصرية فلا هي من الحروف الشديدة ولا هي من الحروف الرخوة فتدخل ما بين الشدة والرخاوة.

وبما أن القدامى وحسب هذه الضابطة التي ضبطوا فيها الحروف الرخوة والشديدة لم يضعوا الجيم بالحروف الرخوة ولم يضعوها في الحروف ما بين الشدة والرخاوة فنستدل من ذلك أن الشين الشامية والگيم المصرية ليست هي الجيم الفصيحة وإنما الجيم العراقية هي الجيم الفصيحة، وبناء على ذلك فإنّ القراءة القرآنية لابد أن تتمّ بالجيم العراقية وليست بالگيم المصرية ولا بالشين الشامية.

وهناك بعض الحروف قد أخرجها المحدثون من الأصوات الاحتكاكية – وهي الحروف الرخوة عند القدامى – ومن الأصوات الانفجارية – وهي الحروف الشديدة عند القدامى – وهذه الحروف هي الميم والنون واللام والراء والألف والواو والياء فهذه الحروف ليست انفجارية أي شديدة بالتعريف القديم، ولا هي احتكاكية أي رخوة بالتعريف القديم.

### ٥ و٦ – حروف الاطباق والانفتاح

إن حروف الاطباق أربعة وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء. وتعريف الاطباق كما يعرّفه القدامى: «انطباق اللسان على الحنك الأعلى». وابن جني يفصل في هذا التعريف كالشارح له فيقول: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطبقاً له»[١].

وهناك تعريف لسيبويه أقدم من تعريف ابن جني، وهو أدق من تعريف ابن جني حيث أن كلام ابن جني ينطبق على عدة حروف وليس على هذه الحروف الأربعة فقط فيشمل عدة حروف، بينما تعريف سيبويه للاطباق لا يشمل إلا هذه الحروف الأربعة.

يقول سيبويه في تعريفه للاطباق: «وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك بمواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف. وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن. فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بيّن ذلك بحصر الصوت»[٢].

فعلى تعريف ابن جني سيدخل مع حروف الاطباق أحرف كاللام والنون والتاء، بينما حروف الاطباق هي أربعة فقط، وأما على تعريف سيبويه فلا يدخل شيء من الحروف البقية غير هذه الأربعة لأن حروف الاطباق حسب تعريف سيبويه بأنّ اللسان يحدث به تقعّر فيمس الحنك من موضعين، فهناك موضعان على اللسان وموضعان على الحنك، هناك موضعان يمس اللسان بهما الحنك فيصدر الصوت ويحدث في اللسان تقعّر من الوسط، فهذا التقعر ما بين الحنك الأعلى والأدنى، فهذا التقعر يقصد به سيبويه أنّه عندما ينطق بالضاد ينطبق على اللثة أي مغارز الثنايا وهنا قريب الحنك الأعلى فنتيجة هذا التقعر يحصل فجوة ما بين الحنك الأعلى والأدنى فينطبق اللسان في موضعين: الحنك الأعلى والحنك الأدنى.

فالمقصود بالإطباق أنّ اللسان يطبق على موضعين في الحنك لا أنّه يطبق على موضع واحد، بينما في تعريف ابن جني «ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطبقاً له» فلم

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٦١.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣١٨.

يبيّن لنا هذه الدقة التي في تعريف سيبويه بأنّ هناك موضعين للسان يُطبق فيهما على الحنك فبناء على تعريف سيبويه لا تدخل في حروف الاطباق إلا هذه الحروف الأربعة.

وهذا تعريف دقيق من سيبويه ينسجم مع تعريف المحدث لحروف الاطباق، حيث أن وصف المحدثين ينطبق تماماً على وصف سيبويه لحروف الاطباق، فقال المحدثون: «ففي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعّر وسطه وهذا هو ما أراده نحاة العرب بالإطباق»[١].

أما باقي الحروف فتسمى بالحروف المنفتحة لأنّ اللسان لا ينطبق فيها في موضعين على الحنك الأعلى.

### ٧ و٨ – حروف الاستعلاء والانخفاض (الاستفال)

الحروف المستعلية هي سبعة حروف وهي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الخاء، الغين والقاف. وما عدا هذه الحروف السبعة هي حروف الانخفاض.

ومعنى الاستعلاء في اللغة هو الارتفاع، وفي علم الأصوات يُراد منه أنّ الحرف الذي ننطق به يرتفع به اللسان إلى الأعلى كالحنك وسقف الفم، ولكن هذا الارتفاع يرتفع إلى أدنى الحلق أو أقصى الحنك الليّن.

ابن جني يفسّر الاستعلاء بهذا المعنى فيقول: «اتصال أقصى اللسان بأدنى الحلق أو بأقصى الحنك الليّن (اللهاة)»[٢]، كما هو معلوم أن حروف الاطباق الأربعة كلها يرتفع فيها اللسان والحروف التي ضُمّت إلى حروف الاطباق وهي الغين والخاء والقاف فلماذا لم تلحق هذه الحروف الثلاثة بحروف الاطباق ؟

الجواب: يكمن في تفسير ابن جني وبإضافة أخرى من تعريف سيبويه لحروف الاطباق يكون الجواب على هذا السؤال، حيث أن حروف الاطباق هناك موضعان يمس اللسان بهما الحنك فيصدر الصوت، فحرف الاطباق كأنه يخرج من موضعين للسان وما بين هذين

---

(١) السعران: علم اللغة، مصدر سابق، ص ١٣٠.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣١٩.

الموضعين هناك تقعّر في اللسان فما كان لهذه الصفة عند النطق بالحرف فهو من حروف الاطباق، وأما حروف الاستعلاء المتبقية وهي الغين والخاء والقاف لا يشترك فيها اللسان من طرفه وإنما فقط من أقصى اللسان ولا عمل لطرف اللسان في هذه الحروف الثلاثة.

لذلك قال ابن جني «اتصال أقصى اللسان بأدنى الحلق أو بأقصى الحنك الليّن (اللهاة)» وكلامه فيه نقص حيث أنّه لا يفسّر لنا جميع حروف الاستعلاء وإنما يفسّر فقط الحروف الثلاثة الغين والخاء والقاف فأين الموضعان اللذان يشتركان في إصدار حرف الاطباق ؟ فكلام ابن جني لا يكفي ويحتاج إلى مزيد من البيان والتوضيح حتى يتم الكلام في أن يشمل جميع حروف الاستعلاء.

### ٩ و ١٠ – حروف الذلاقة والاصمات

حروف الذلاقة ستة وهي: اللام، الراء، النون، الفاء، الباء والميم، وتجمعها عبارة: «فر من لب». والمقصود بالذلق طرف الشيء، طرف اللسان أو ما صدر من طرف اللسان أو من الشفتين فيسمى بالذلاقة، فمن حيث اللغة طرف اللسان، فيُقال هذا الإنسان ذلق اللسان يعني يتكلم بطرف لسانه وهو كناية عن أنّه إنسان طلق بالكلام.

إن الحروف الثلاثة اللام والراء والنون هي تصدر من طرف اللسان فلماذا شملت الحروف الثلاثة الأخرى: الفاء والباء والميم التي هي حروف شفوية تصدر من الشفتين، فلماذا سُمّيت هذه بحروف الذلاقة ؟

هناك عدّة تفسيرات ولكن التفسير الراجح أنّه غُلّبت هذه الحروف (اللام والراء والنون) على الحروف الشفوية من باب التغليب، والتغليب موجود في لغة العرب كقولهم القمران ويعنون به الشمس والقمر، وكذلك تغليب الرجال على النساء في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[1]، فيُغلب المؤمنون على المؤمنات، وكذلك لو وجدنا مجموع من النساء والرجاء وأردنا أن نسلم عليهم نقول «السلام عليكم» فيُغلب الذكور على الأناث. ولكن أيضاً هناك آراء في معنى الذلاقة التي تشمل الحروف الشفوية، يقول في لسان العرب: «الذلاقة في المنطق

(١) البقرة، ١٠٤، ١٥٣، ١٧٨، ١٨٣، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٨، ٢٨٢.

إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الحروف»[١]، فطرف اللسان والشفتان مشتركتان في إصدار هذه الحروف.

بعض المحدثين علّل كلمة الذلاقة ولماذا سُمّيت هذه الحروف بحروف الذلاقة فقال الدكتور السعران: «لأنها تعطي القدرة على الانطلاق في الكلام في العربية دون تعثر ودون تلعثم»[٢]، ولكن لا يوجد مرجع لغوي نرجع إليه في المعاجم اللغوية تفسّر الذلاقة بهذا المعنى الذي ذكره الدكتور السعران.

وآخرون علّلوا فقالوا: «أن حروف الذلاقة إنما سُمّيت كذلك لكثرة شيوع هذه الحروف في كلام العرب»، أي أنّ هذه الحروف أكثر استعمالاً في الكلمات العربية فترد بكثرة جداً ولذلك سُميّت بالذلاقة. وكما تعلمون أن عملية القلة والكثرة تحتاج إلى عملية إحصاء وعملية استقراء لجميع الكلمات في اللغة العربية وتتبع استعمال هذه الحروف في الكلام العربي، ومن خلال الاستقراء والاحصاء نتمكن أن نصدر هذا الحكم فنقول «إنما سُمّيت بالذلاقة لكثرة استعمالها في اللغة العربية».

ولكن في الكتب اللغوية القديمة ومنها كتاب العين للخليل الفراهيدي يذكر نصاً قد يساعد في هذا الحكم، النص هو: «إعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي، ر ل ن، ف ب ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لان الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الاحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة: ر ل ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها ما بين الشفتين خاصة»[٣].

كان هذا كلام الفراهيدي في تعليل تسمية الذلاقة ولكن ما يؤيد الرأي الآخر وهو كثرة استعمال هذه الحروف في الكلام العربي هو قول الخليل: «فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست في كلام العرب، لأنك

---

(١) لسان العرب، مصدر سابق، ج١٠/ ص ١١٠ مادة «ذلق».

(٢) السعران: علم اللغة، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٣) الفراهيدي: العين، مصدر سابق، ج١/ ص ١٢.

لست واجداً من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من الحروف الذلقية أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»[1].

ونأتي الآن إلى صفة الاصمات والتي هي ضد صفة الذلاقة، ومعنى الاصمات في اللغة المنع، وفي الاصطلاح امتناع اجتماع أربعة من حروف الاصمات في كلمة إلا أن تكون فيها أحد الحروف الذلقية.

هناك اعتراض على هذا الاصطلاح حيث أنّ بعض الكلمات في اللغة العربية جاءت خالية من حروف الذلاقة رباعية أو خماسية ولا يوجد فيها حرف من حروف الذلاقة مثل «الدهدقة» و«العسطوس» و«الزهزقة» فهذه الكلمات خالية من حروف الذلاقة، هناك عدّة تبريرات من علماء اللغة حيث قالوا بما أن هناك حرفي القاف أو العين في هذه الكلمات وهي من الحروف الناصعة التي تعطي للكلمة فصاحة فهذه الحروف كأنها تجبر هذا الحذف (حذف حروف الذلاقة) في الكلمة.

ولكن في الحقيقة إنّ الواقع اللغوي ليس كذلك فهذه الكلمات التي أوردوها – اعتراضاً على هذه القاعدة (امتناع الكلمات العربية الرباعية أو الخماسية إلا أن تكون فيها حرف من حروف الذلاقة) – هي قليلة ولا تؤسس عليها قاعدة فأكثر اللغويين قد ذكروا انّ هذه الكلمات لا تزيد عن عشرين كلمة وكثير من هذه الكلمات قيل عنها أنّها أعجمية وليست عربية.

وهناك ملاحظات حول تعليلات ابن جني لهذه القاعدة، ابن جني حاول أن يعتذر عن قضية الذلاقة ومجيئها في اللغة ليحاول أن تكون القاعدة مضطردة: «ربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة، وهو قليل جداً، منه العسجد والعسطوس والزهزقة»[2].

الحقيقة أنّه يكفينا أن نقول أن هذه الكلمات شاذة، ولا نحتاج إلى هذه التبريرات لأنّ اللغة اصطلاحية تواضعية، ولا يفكّر اللغويون أثناء التواضع أو الاصطلاح أن يتفقوا على شيء، فتدخل عدة عوامل في إحداث الكلمة واحداث الصوت.

---

(١) الفراهيدي: العين، مصدر سابق، ج١/ ص ١٢.

(٢) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٦٥.

لقد انتهينا من الصفات الخمس والتي لها أضداد خمسة، وهذه الصفات تجمع كل حروف اللغة العربية، بمعنى أنّه إذا كانت حروف الذلاقة ستة فباقي الحروف تكون اصمات وهكذا في الحروف الشديدة فهي ثمانية وباقي الأحرف هي رخوة. وأما في باقي الصفات السبعة فليس بالضرورة كذلك لأنّه لا ضدّ لها.

بناء على ذلك لا يخلو حرف من الحروف إلا ويشتمل على خمس صفات على الأقل ويمكن أن يزيد على الخمسة فيكون ستة أو سبعة وطبعاً لا يزيد عن السبعة، وهذا الكلام من اللغويين العرب، فهناك قاعدة: «إذا أردت استخراج صفات أي حرف فابدأ أولاً بالهمس فإن وجدته فيها كان صفة لهذا الحرف وإلا ففي ضدّه وهو الجهر، ثم انتقل إلى حروف الشدة والتوسط فإن وجدته فيها فهي صفة لهذا الحرف، وإلا فصفته في ضدّه وهو الجهر، ثم انتقل إلى حروف الشدّة، والتوسط فإن وجدته في إحداهما فهي صفته، وإلا ففي ضده وهو الرخاوة. ثم انتقل إلى حروف الاستعلاء، فإن وجدته فيها فهي صفته وإلا ففي ضده الاستفال، ثم انتقل إلى حروف الأطباق فإن كان فيها فهو صفته وإلا ففي ضدّه الانفتاح، ثم انتقل إلى حروف الإذلاق فإن كان فيها فهو صفته وإلا ففي ضدّه الإصمات. وإلى هنا يتم للحرف خمس صفات من المتضادّة، ثم انتقل للصفات غير المتضادّة فإن وجدته في أحدهما كانت له صفته وحينئذٍ يتم له ست صفات، ولا تنقص صفات الحرف عن خمس ولا تزيد عن سبع، ولا يوجد حرف له سبع صفات إلا الراء»[1].

وهناك أبيات شعرية تجمع هذه الصفات كلها التي يذكرها ابن الجزري[2] فيقول:

صفاتها جهر ورخو مستفل ... منفتح مصمتة والضد قل
مهموسها «فحثه شخص سكت» ... شديدها لفظ «اجد قط بكت»
وبين رخو والشديد «لن عمر» ... وسبع علو «خص ضغط قظ» حصر
وصاد ضاد طاء ظاء مطبقه ... و«فر من لب» الحروف المذلقة

(١) نصر، عطية قابل: غاية المريد في علم التجويد، ط٤، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٤٩.

(٢) ابن الجرزي، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف: شرح طيبة النشر في القراءات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٣٠ – ٣٣.

صـفـيـرهـا صـاد وزاي سـيـن		قـلـقـلـة «قـطـب جـد» والـلـيـن
واو ويـا سـكـنـا وانـفـتـحـا		قبلهـمـا والانـحـراف صـحـحـا
في اللام والرا وبـتـكـريـر جعل		وللتـفـشي الشين ضـادا اسـتـطل

والآن نأتي إلى الصفات التي لا ضدّ لها وهي سبعة.

**١١- حروف القلقلة**

وهذه الحروف هي: قاف، طاء، باء، جيم ودال، تجمعها عبارة «قطب جد». وسُميت هذه الحروف بالقلقلة لقلقلة اللسان عند النطق أو لصدور صويت بعد الوقوف على نهاية الكلمة التي فيها حرف من حروف القلقلة.

ويفسّر ابن جني هذه القلقلة، فيقول: «واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة وهي القاف والجيم والطاء والدال والباء، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحق واذهب واخلط واخرج بعض العرب أشد تصويتاً»[١].

هذه الحروف مجهورة ولكن معها في الوقف يصدر هذا الصويت، فكيف نميّز بين هذه الحروف وحروف القلقلة ؟ ونصوغ السؤال بصياغة أخرى: لماذا لا تشترك كل الحروف المجهورة مع حروف القلقلة ؟

إنّ الذي يميّز حروف القلقلة مع باقي الحروف المجهورة هذا الصوت الذي يصدر في آخرها، وابن جنّي احتاط لهذا الأمر حتى يميّز بين هذه الحروف ويخرجها عن الحروف المجهورة بالآتي: الصويت الصغير لا يخرج من الصدر (من القصبة الهوائية) وإنما هذا الصوت هو نَفَس يخرج منسلاً.

والأمر الآخر إنّ ابن جنّي قسّم الحروف المجهورة بأجمعها إلى ثلاثة أقسام، وقسم منها اشتمل على حروف القلقلة: «أ- الحروف المشربة التي تحفّز وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة: القاف، الطاء، الباء، الجيم، الدال.

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٦٣.

ب- الحروف المشربة التي لم تضغط ضغط الأولى، وإنما يسمع معها عند الوقف عليها كالنفخ وهي: الزاي، الظاء، الذال، الضاد. والراء شبيهة بالضاد.

ج- الحروف التي لا يُسمع معها شيء ممّا ذكر آنفاً، أي إنها لم تضغط ولم تجد منفذاً، وهي: الهمزة والعين والغين واللام والنون والميم»[1].

وقد فرّق ابن جنّي بين الصوت الذي يخرج في الوقف على بعض الحروف المجهورة والذي يخرج من الحروف المهموسة، بأنّ الذي يخرج مع المهموسة إنما هو نَفَس يخرج منسلاً وليس من الصدر، والآخر من الصدر (أي من الوترين الصوتيين).

وأما القسم الثالث من الحروف المجهورة التي قسّمها ابن جني فهي الحروف التي يُسمع معها شيء أي لا من الصدر ولا منسلاً من الفم فلا يوجد لها منفذ للخروج.

وحروف القلقلة حينما نصلها فإنّه لا يظهر معها الصويت الصغير ولكن عند الوقوف عليها يظهر هذا الصويت.

### ١٢- حروف الصفير

وهذه الصفة تشمل ثلاثة حروف وهي: الزاي والسين والصاد. وسُمّيت بحروف الصفير لأنها تشتمل على صوت وهذا الصوت يُسمى بالصفير والذي هو صوت بعض الطيور.

### ١٣- حرفا الانحراف

وهما اللام والراء، وسُمّيت كذلك لانحراف اللسان بها عند النطق.

وهناك فرق بين اللام والراء حيث أن اللام لا يتكرر الحرف مراراً كأن يتعثر اللسان أو يرتعش أو يتذبذب في نفس المكان، بينما في حرف الراء تنضم صفة أخرى عند النطق بها وهي التكرار حيث أن اللسان يرتعش ويتعذر في نفس المخرج فيتكرر الحرف، لذلك تنضم صفة التكرار.

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٣٢٠.

**١٤– حرفا اللين**

وهما الواو والياء، طبعاً الواو والياء المفتوح ما قبلهما كما هو الحال في الكلمات «خَوف»، «مَوت»، «بَيت» و«صَيف». فالواو التي يُضم ما قبلها لا تسمى بحرف اللين وكذلك الياء، مثلاً «مُدَرِّسُون»، «مُدَرِّسِين». وسُمّيت بحرف اللين لأن الصوت يخرج بلينٍ وبدون كلفة عندما ينطق الإنسان بهذين الحرفين لذلك سُمّيا بحرفا اللين.

**١٥– حرف التكرير**

وهو حرف الراء فقط، وسُمّي كذلك لأن طرف اللسان عند النطق بالراء يتعثر ويتذبذب ويرتعش قليلاً كأن هذا الحرف ينطق به مراراً فيتكرر فيُسمى بحرف التكرير. وبعضهم يعدّ التكرير من اللحن وبعض اللغات أصلاً لا ينطق بهذا الحرف خشية اللحن لأنّه يتكرّر مراراً.

**١٦– حرف التفشي**

وهو حرف الشين، وسُمّي كذلك لانتشار الريح في جوف الفم.

**١٧– حرف الاستطالة**

وهو حرف الضاد، وسُمّي كذلك لاستطالة اللسان عند النطق به فأخذت التسمية وهذه الصفة من وضع اللسان عند النطق بهذا الحرف.

**١٨– الحرف المهتوت**

وهو حرف الهاء، وسُمّي كذلك لما فيه من ضعف وخفاء عند النطق به. فعندما ينطق بهذا الحرف لا يوجد فيه قوة فلذلك سُمّي بالحرف المهتوت.

**١٩– الحرف الهاوي**

وهو حرف الألف، وهو من حروف المد والاستطالة، إلا أنّ الألف اشدّ امتداداً وأوسع مخرجاً، وسُمّي كذلك لأن اللسان يبقى معلقاً كأنه في الهواء عند النطق بهذا الحرف، فاللسان يبقى معلقاً لا عمل له وكذلك الشفتان.

إلى هنا نكون قد انتهينا من صفات الحروف.

# الفصل الخامس: الحروف والحركة

ومثال الحركة هي الضمة والفتحة والكسرة، وكما هو شائع يعدون الحركات هذه الثلاث ولكن الحقيقة أنّ الحركات أوسع وأكثر من ذلك.

وسُمّيت الحركة لأنّها تحرّك الحرف الذي تدخل عليه نحو الصوت الذي هو جزء منها فحركة الفتحة هي جزء من حرف الألف وحركة الكسرة هي جزء من حرف الياء وحركة الضمة هي جزء من حرف الواو، فلذلك عندما تدخل هذه الحركة على الحرف فإنّها تقلقل هذا الحرف وتقلبه وتجذبه نحو الصوت الذي هي جزء منه.

ولكن هناك بعض الحروف صوائت وهي الألف، الواو والياء التي هي حروف المد، وباقي الحروف صوامت. فهل الحركات بعض من الحروف أم لا ؟

هناك خلاف بين المحدثين وبين القدامى في قضية الحركات، فالقدامى يفصلون بين الحركات وبين الحروف ويعتبرون الحركة هي بعض الحرف فمثلاً الكسرة هي بعض من الياء فيعتبرون الياء كسرة طويلة أو أنّ الكسرة ياء قصيرة ففي التسميات القديمة يُسمّون الكسرة بالياء القصيرة، والضمة بالواو القصيرة، والفتحة بالألف القصيرة.

بينما المحدثون يعتبرون الصوائت سواءً كانت حركات أو حروف كلها صوائت ولكن يعبّرون عن الحركة صائت قصير وعن الحرف صائت طويل.

فمن أين جاء الخلاف بين القدامى والمحدثين ولماذا ؟

القدامى يعتبرون كل حرف صائت قبله حركة من جنسه، فمثلاً عندما أقول «ضَرَبَ» وعندما أشبع الضاد فتكون «ضَارِب» فالقدامى يقولون أنّه قبل الألف توجد فتحة، فيضعون فتحة على الضاد. وأما المحدثون فلا يتفقون مع القدامى في هذه الفتحة فيقولون أن الضاد بعدها هذا الصائت الطويل ولا نحتاج إلى الفتحة ولا دليل على وجود الفتحة لأنّ الألف هي صائت طويل مدّ الضاد إلى هذا الصوت فلا نحتاجُ إلى الفتحة ودليلهم أنّه لا نستطيع أن نمدّ الألف أكثر فكلما مددناه فهو يبقى ألف ولكن زيادة في المد، فأين الفتحة ؟ فلا يوجد دليل على وجود هذه الفتحة.

وهكذا في حرف الواو عندما نقول مثلاً «مُدرّسُون» فالقدامى يضعون ضمة على السين، بينما المحدثون لا يضعون الضمة ويقولون إنّ حرف الواو هو الحرف الصائت الذي جعل هذا السين ينطق بحرف الواو، وكذلك عندما نقول «للمُدرّسِين» فالقدامى أيضاً يضعون كسرة تحت السين وبينما المحدثون لا يتفقون معهم في ذلك.

## المبحث الأول: استدلالات القدامى على أنّ الحركات أبعاض الحروف

هناك أدلة من القدامى على أنّ الحركة هي بعض من الحرف فيقولون بأنّ كل حركة من الحركات هي بعض من حرف، فالفتحة هي بعض من الألف والضمة هي بعض من الواو والكسرة هي بعض من الياء، ويقيمون الأدلة على هذا الأمر وهناك عدة استدلالات للقدامى على هذا الأمر فيقولون[1]:

الدليل الأول على أن الحركة هي بعض من الحرف أنّه نحن نشبع الحركة فتصبح حرفاً من جنسها فعندما نشبع الفتحة على الضاد من «ضَرَب» فتصبح «ضارِب» فإشباع هذه الحركة تنقلب إلى حرف فهذا دليل على أن الحركة هي جزء من حرف الألف. ومثلاً لو قلنا كلمة «عِنَب» فعندما نُشبع العين فتصير «عينَب» فإشباع الكسرة بالعين انقلب إلى ياء، فمعنى ذلك أن الكسرة هي جزء من الياء، وكذلك في إشباع حركة الضمة في كلمة «زُحَل» فعندما نمدّ الضمة ونشبعها فتنقلب إلى «زوحَل».

فقال القدامى إنّ الاشباع لكل حركة يرجع هذه الحركة إلى الحرف الذي تكون الحركة جزءاً منه وهذا دليل على أن الحركات هي أبعاض للحروف التي هي من جنسها.

الدليل الثاني فاستدلّ القدامى من أشعار العرب على هذه الظاهرة وهي اشباع الحركة فتنقلب إلى حرف كقول الشاعر:

وأنت من الغوائم حين ترمي ومَن ذمّ الرجال بمنتزاحي

فالأصل «بمنتزح» ولكن أراد الشاعر أن يحافظ على العروض (الوزن) فجاء بهذه الألف فمدّ الحركة التي على حرف الزاي فانقلبت إلى حرف الألف، وأيضاً هناك بيت آخر من

(١) راجع: ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ١٧ – ٢٦.

الأبيات الشعرية التي يأتي بها اللغويون في سبيل أن يثبتوا بأنّ الحركة جزء من الحرف الذي من جنسها، فقال شاعرهم:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة  نـفـي الـدراهم تـنـقـاد الصيـاريـفِ

فالأصل «الصيارف» ولكن لا يستقيم البيت بهذه الكلمة ولذلك أراد الشاعر أن يُشبع الكسرة التي تحت الراء فانقلبت إلى ياء وهذا دليل على أن الكسرة هي جزء أو بعض من الياء، وكذلك قول الشاعر:

الله يـعـلـم أن فـي تـلـفـتـنـا  يوم الفراق إلى أحبابـنـا صور
وأنّني حوثما يُثني الهوى بصري  من حوثما سلكوا أدنو فأنظور

فأراد الشاعر أن يقول «فأنظر» ولكن الوزن لا يكون مستقيماً فمدّ الضمة التي على حرف الظاء ونتيجة لمدّها واشباعها انقلبت إلى واو.

الدليل الثالث استدلّ القدامى أيضاً بأنّ مَن يتعلثم في الكلام أو يعتذر أو يفكّر حتى يهيء جملة أخرى فيقول مثلاً مخاطباً شخصاً «قُمتَ يومَ الجمعةِ» ولكنه لا يتذكر هل كان يوم الجمعة أم يوم آخر فيمدّ الكلمة حتى يتذكر اليوم فيقول «قُمتاااا» أو أراد أن يقول «قمتُ يوم الجمعة»، فبينما بدأ الكلام نسي اليوم فيمد الحرف من الكلمة الأولى فيقول «قمتُووو»، أو كان المخاطب أنثى فيقول «قمتيييي» ثم يتذكر فيقول «قمتِ يوم الجمعة». فإشباع الحركة سواء كانت الفتحة أو الضمة أو الكسرة فتنقلب هذه الحركة إلى الحرف الذي هو من جنس هذه الحركة.

إن العرب كانت تعامل هذه الحركات في حروف المعجم جميعها ما عدا الصوائت أنّها ممكن أن تأتي بالحركة قبل أي حرف من حروف المعجم عدا الصوائت سواء كان ذلك الحرف ساكناً أو متحركاً، فمن الأمثلة على ذلك في الحروف الساكنة «سِلْ» فاللام هنا حرف ساكن فبالامكان أن نأتي بالكسرة بالحرف الذي قبل الحرف الساكن وممكن أن نأتي بالضمة أيضاً «سُلْمى» وكذلك بالفتحة «سَلْ». وكذلك يمكن مع الحرف المتحرك مثل «سَعِيد»، «سُعاد» و«سِعُود» فمع كل هذه الكلمات مع أنّ الحرف متحرك فإنّ الحركة ممكن أن يؤتى بها ضمة وفتحة وكسرة.

الدليل الرابع القاعدة تقول أما مع الصوائت فالكسرة والضمة مع الألف غير مستطاعة. فمثلاً كلمة «قال» فلا يمكن وضع الضمة أو الكسرة قبل الألف، وكذلك الضمة قبل الياء والكسرة قبل الواو ففيها تكلّف وثقل ومشقة على المتكلم، فمثلاً نريد أن نبني الفعل للمجهول كالفعل «قال» فالمبني للمجهول له هو «قيل»، فلا يمكن وضع الضمة «قُولَ» فمالذي جعلها تعدل من الواو إلى الياء ؟

الذي جعلها تعدل هو الكسرة قبل الواو، فبوجود الكسرة غيّروا وعدلوا من الواو إلى الياء فقالوا «قِيلَ» وهي سهلة على اللسان ولا يوجد فيها تكلّف، وكذلك بالنسبة لكلمة «ميزان» و«ميعاد» فالأصل «وَزَنَ» و«وَعَدَ» فلابد حسب الأصل أن نقول «مِوْزان» ولكن لوجود الثقل والمشقة والتكلّف في النطق بالواو ساكنة وقبلها حرف مكسور فالعرب بوجود هذه الكسرة عدلوا بالواو إلى الياء، وهكذا بالنسبة لكلمة «مِوْعَاد» ولوجود الثقل والمشقة أيضاً في نطقها عُدلت إلى الياء فأصبحت «ميعاد»، وهذا دليل على أن الحركة بالكسرة هي جزء من الياء.

وكذلك بالنسبة لكلمتي «اليقين» و«اليسر» فاسم الفاعل لهما «موقن» و«موسر»، ولكن الأصل ليست هكذا «مُيْقِن» و«مُيْسِر» ولكن لوجود الثقل والمشقة في النطق بالكلمة فالعرب عدلت من الياء إلى الواو بوجود الضمة. فهذا هو الاستدلال من اللغويين العرب يدلّل على أنّ الحركة هي جزء من الحرف الملائم لها كالفتحة جزء من الألف والضمة جزء من الواو والكسرة جزء من الياء.

الدليل الخامس إنّ العرب تجري هذه الحركات مجرى الحروف وتُجري الحروف مجرى الحركات، فمثلاً «رمى» نقول «يرمي» فعندما أريد أن أدخل أداة الجزم على «يرمي» فبما أنّ الفعل معتل فعندما تدخل عليه أداة الجزم فنحذف حرف العلة فنقول لم يرمِ ونضع الكسرة بدل الياء، وكذلك في قولنا «سعى» «يسعى» فعندما ندخل حرف الجزم نقول «لم يسعَ» فنضع الفتحة بدل حرف العلة وهو الألف المحذوفة، وهكذا «دعا» «يدعو» فعندما ندخل حرف الجزم نقول «لم يدعُ» فنضع الضمة بدل حرف العلة وهو الواو المحذوفة.

فهذا التعامل من قبل العرب بأن تجري الحركات مجرى الحروف وتعوّض بهذه الحركات عن الحروف المحذوفة دليل على أنّ هذه الحركات هي أبعاض لهذه الحروف.

وأيضاً تاء التأنيث المفتوحة في المفرد مثل «قائمة» فهذه التاء دائماً تأتي قبلها حرف مفتوح وكذلك «حمزة» فعندما تريد العرب أن تستبدل هذا الحرف بحرف صائت مثل كلمة «حصاة» فنشاهد ما ينسجم مع الفتحة وهو الألف فجاءت العرب بالألف دلالة على التزامها بنفس القاعدة ولم تغيّر ودلالة على أنّ الفتحة هي بعض من هذه الألف.

وكذلك تضع العرب في نهاية الكلمات التي هي للمخاطب لبيان تضع الهاء في قولنا مثلاً «بِكَه» فتضع هذه الهاء، وهي هاء ساكنة يُؤتَى بها إذا وُقِفَ على آخر الكلمة الاسم المندوب، نحو: «وا زيداهْ»، وكلّ فعلٍ حُذِفَ حرفُه الأخير، نحو: «لم يَعِ»، «لم يُوقَ»، فيقال عند الوقف: «عِهْ» «لم يَعِهْ» «لم يُوقَهْ»، وياء المتكلِّم نحو: «هذا قلَمِيَهْ»، «قرأتُ كتابِيَهْ». فمعنى ذلك أن العرب تجري الحروف مجرى الحركات والحركات مجرى الحروف، فهذه كلّها أدلة على مجرى الحروف مجرى الحركات.

وهناك قضايا أخرى تجريها العرب مثل العلم المؤنث الساكن فإنّ العرب تصرفه، فمثلاً عندما نقول كلمة «هند» فيمكن أن تقول العرب «هذه هِنْدٌ» فيمكن تنوين هذا الاسم ولا تجعله ممنوعاً من الصرف لوجود علتين مثلاً كعلّة العلمية وعلّة التأنيث، والسبب في هذا الصرف هو وجود الحرف الساكن في الوسط، فالكلمات ساكنة الوسط تجعلها العرب مصروفة.

فعندما نأتي إلى كلمة أخرى مثل «زَيْنَبْ» فهي ممنوعة من الصرف، فهنا علّتين أيضاً علّة العلمية وعلّة التأنيث فامتنعت هذه الكلمة من الصرف فهي ممنوعة من الصرف، ومع أنّ في وسط الكلمة وجود حرف ساكن ولكنها رباعية وفيها حرف الياء.

ولو حُرّكت هذه الكلمة «هِنْد» بكلمة أخرى «دَعَد» فهذه الكلمة ممنوعة من الصرف لوجود علّتي العلمية والتأنيث وكذلك لوجود حركة في وسط الكلمة، فمالفرق بين هاتين الكلمتين وكيف أن العرب أجرت هذا الحرف مجرى الحركة، فهنا عندما حرّكت فكأنّ هذه الحركة التي هي جزء من الألف قامت مقام الألف كما في قولنا «سُعاد» وهذه أيضاً اجتمعت فيها علّتا العلمية والتأنيث فهي ممنوعة من الصرف[1]، فكلمة «دَعَد» أيضاً لا تنون وأيضاً تُجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، فما الذي منع «دَعَد» من الصرف ؟

---

(١) أي لا تنون وتجر بالفتحة نيابة عن الكسرة.

إنّ الذي منعها من الصرف لوجود الفتحة لأنّ الوسط متحرك، وهكذا كلمة «سُعاد» منعت من الصرف لوجود العلمية والتأنيث ووجود الألف، فكأن الحركة في الكلمة الأولى قامت مقام الألف. وهذا دليل على أنّ الحركات أبعاض للحروف.

وكذلك أنّ العرب عندما تريد أن تخفّف في الشعر للمحافظة على موازين الشعر فإنّها تحذف في الحركات وتحذف أيضاً في الحروف، وتعامل الحذف في الحركات كما تعامل الحذف في الحروف، ومثال ذلك قول الشاعر:

فألحقتُ أخراهم طريق ألاهم  كما قيل نجم قد خوى متتابع

الأصل أن نقول «أولاهم» ولكن لو وضع هذه الكلمة لما استقام الوزن العروضي، فعمد الشاعر إلى حذف الواو وترك الضمة لإقامة الوزن، ومثال آخر على حذف الحرف قال شاعرهم:

وصاني العجاج فيما وصّني  وفي أنا لامرأة قالوا أني

ولو قال «وصّاني» بدلاً من «وصّني» لما استقام الوزن العروضي في البيت، فاضطر الشاعر أن يحذف الألف منها. وهذا الحذف يتعامل فيه مع الحركات أيضاً فكما يحذف الحروف الصوائت يحذف الحركات، ومثاله قال الشاعر:

فاليومَ أشربْ غير مستحقبٍ  إثماً من الله ولا واغلِ

المفروض باللغة العربية أن يقول «فاليومَ أشربُ» لأنّ «أشربُ» فعل مضارع مرفوع فلابد أن يكون هناك ضمة على الباب فحذف هذه الضمة ليستقيم وزن البيت، فالعرب عاملت هذه الحركة كما عاملت الحرف. ونأخذ مثالاً آخر في قول الشاعر:

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا  أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

فالمفروض أن يقول «يرتبطُ» ولكن لو قالها لاختل الوزن، فلذلك حذف الضمة، فكما يحذف في الحروف كذلك يحذف في الحركات. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسرِ** ﴾[1]، والأصل أن نقول «يسري»، وحذفت الياء في الآية المباركة للتخفيف.

---

(١) الفجر، ٤.

الدليل السادس أنّ العرب جعلوا الحركة تمنع الادغام، كما أن الحرف الذي يفصل بين الحرفين المتماثلين أو الحرفين المتقاربين في المخرج يمنع الادغام، فكذلك الحركة تمنع الادغام، فمثلاً في الحرفين المتقاربي المخرج كلمة «وَتِد» فحرفي التاء والدال من الحروف المتقاربة المخرج فإذا كان أحد هذين الحرفيين ساكنين فحينئذ يلزم الادغام، وإذا فصل بين الحرفين فاصل فحينئذ لا يصحّ الادغام. فما الذي منع ادغام هذين الحرفين ؟

إنّ الذي منع ذلك هو وجود الكسرة فكما أنّ الحرف يمنع الادغام كذلك الحركة تمنع الادغام والتي هنا هي الكسرة، وكذلك كلمة «يَطِد» فإنّ الطاء قريبة من مخرج الدال والذي منع الادغام بين هذين الحرفين المتقاربين هو وجود الكسرة تحت الطاء.

وهكذا يحصل الادغام في الحرفين المتماثلين، مثل كلمة «شَمَلْيَل» و«حَبَرْبَر»، إن العرب منعت ادغام اللام الساكنة مع اللام الثانية المتحركة بسبب وجود الياء بينهما، فالياء الذي هو حرف من حروف المد منع الادغام بين اللامين، وكذلك بين الراء الساكنة والراء المتحركة لوجود حرف الباء بينهما. إن العرب أجرت الحركات في منع الادغام بين المتقاربين وبين المتماثلين أيضاً.

الدليل السابع أنّ العرب أجرت الحركة في موضوع التخفيف المشدّد، وفي موضوع حذف أحد الحروف المشدّدة لأجل أن يستقيم الشعر أو الوزن العروضي، قال شاعرهم:

أصحَوتَ اليوم أم شاقتك هِر  ومن الحب جنون مستعر

الأصل أن يقول «هرٌ» أي يُكرّر الراء لأنّ حرف الراء مشدّد فحذف الراء الثاني بمعنى أنّه خفّف الراء من التشديد، فهذا العمل تخفيف المُضعّف، وكذلك في الحركات يعاملونها نفس الشيء فإذا جاءت الحركة على الحرف فيحذفونها للتخفيف، قال شاعرهم:

وقاتِمِ الأَعْماقِ خاوِي المُخْتَرَقْ  مُشْتَبِه الأَعْلامِ لَمّاعِ الخَفَقْ

فسكّن القاف والحق أن تكون مكسورة، وإنما سكّنها وحذف الكسرة للتخفيف. وهذا دليل على أن العرب تعامل هذه الحركات معاملة الحروف.

## المبحث الثاني: موقع الحركة من الحرف

بعد أن عرفنا بأن هذه الحركات هي أبعاض لحروف المد، نريد أن نعرف أي هو موقع الحركة من الحرف ؟ هل أن الحركة تقع قبل الحرف أم معها أم بعدها ؟

طبعاً إذا كانت الحركة قبل الحرف فلا يصح أن تؤثر فيما بعدها، ولكن مع ذلك هناك مَن يزعم بأنّ الحركة قبل الحرف فرُدّ على هذا الزاعم بأدلة على أن الحركة لا يصحّ أن تكون قبل الحرف وهذه الأدلة كالتالي:

الدليل الأول: أنّ الحركة عَرَض والعرض لا يصح أن يتقوّم إلا بوجود ما يقوّمه، فمثلاً الجسم وجود جوهري والحركة التي تحل بالجسم وجود عرضي، فعندما نقول هذا الجسم متحرك فالحركة وجود عرضي على الجسم فلا يمكن أن تكون هناك حركة بدون وجود الجسم أي أنّ الحركة محتاجة إلى الجسم فلابدّ من وجود الجسم أولاً حتى تحلّ فيه الحركة.

وهكذا بالنسبة للحرف فالحركة وجود عرضي فلابدّ أن تحلّ بالحرف حتى يصدق على الحرف أن يكون متحركاً فكيف يصح أن تكون قبل الحرف، فبما أنّها وجود عرضي فلا يصح أن تكون قبل الحرف.

هذا الكلام بمجمله صحيح ولكن الواقع أنّ الحرف وجوده أيضاً عرضي فكلاهما وجود عرضي ومع هذا فالحركة وجود عرضي حلّت على وجود عرضي، فما الذي سوّغ احتياج الحركة إلى الحرف، فلماذا احتاجت الحركة إلى الحرف ولم يحتج الحرف إلى الحركة ؟

دليل ذلك أنّه من الممكن أن يكون الحرف ساكناً فيستغني عن الحركة، ولكن لا يمكن أن تأتي الحركة بدون وجود الحرف. صحيح أن كلاً من الحركة والحرف وجودهما عرضي ولكن وجود الحرف أقوى من وجود الحركة، وهذه القوة هي التي سوّغت احتياج الحركة إلى الحرف، فحينئذ يكون هذا الاستدلال صحيحاً.

الدليل الثاني: أنّ الحركة لو كانت قبل الحرف لأدغم الحرفان، وهذا لا يصح أن ندغم المثلين ولا أن ندغم المتقاربين، فمثلاً في كلمة «قَصَصٌ» الصاد الأولى متحركة والثانية متحركة أيضاً وكلاهما حرفان متماثلان فما الذي منع الادغام ؟ فلو كانت الحركة قبل الصاد الأولى

فمعنى ذلك أن الصاد خالية من الحركة فلابدّ من الادغام لأنّ الصاد الأولى سيكون ساكناً والثاني متحرك فيجب الادغام، ولكن العرب لم تدغم في مثل هذه الكلمات فمعنى ذلك أن الحركة بعد الصاد وهي التي فصلت بين الصادين ومنعت الادغام.

الدليل الثالث: والذي يدل على أن الحركة تأتي بعد الحرف وليس قبله، هو أنّنا لو أشبعنا الكلمة التي فيها فتحة مثل كلمة «ضَرَبَ»، «قَتَلَ»، «جَلَسَ»، فهذه الكلمات عندما نريد أن نشبع الحركة التي على الحرف الأول من كلمة «ضَرَبَ» فتنقلب إلى «ضَارِب» فلو كانت هذه الحركة قبل الضاد، فلزم أن يكون هذا الحرف (أ) قبل الضاد ولا يفصل بين الضاد والراء وعليه معنى ذلك أنّ الحركة بعد الحرف وليس قبلها أو تكون الحركة مع الحرف على الأقل.

هذه هي الأدلة أن الحركة ليست قبل الحرف وإنما هي بعد أو مع الحرف، أبو علي الفارسي[1] قال: «الحركة هي مع الحرف وليس بعده»، وقد استدلّ بدليل صوتي، نلخص ما استدل به: إنّ هناك نونين: نون ساكنة ونون متحركة، فالنون الساكنة تخرج من الأنف (من الغنة)، والنون المتحركة تخرج من الفم. فلو كانت الحركة بعد الحرف للزم أن يكون مخرج النون المتحركة أيضاً من الانف ولكن بما أنّنا فصلنا بين النونين حيث جعلنا مخرج النون الساكنة من الأنف والمتحركة من الفم فمعنى ذلك أنّ الحركة مع الحرف وليس بعده.

وردّ على هذا القول أحد العلماء اللغويين المشهورين وهو ابن جني، حيث يذكر: أنّ في القضية اللغوية الشيء قد يؤثر فيما قبله من قبل وجوده لأنّه قد علم القائل أن سيرد فيما بعد، فالنون الساكنة في قولنا «عَنْبَر» والنطق الصوتي لها «عَمبَر» حيث أن النون تنقلب إلى ميم وهكذا في كلمة «ذَنْب» فننطقها «ذَمب»، فما الذي جعلنا نقلب النون إلى ميم قبل أن نصل إليها ؟ يقول ابن جني: أنّنا قد علمنا أنّ بعد النون الساكنة وجود الباء فتقلب إلى ميم وعليه فإنّ الحرف يؤثر فيما قبله. وعليه فإنّ دليل أبي علي الفارسي ليست صحيحاً وأنّ الحركة هي بعد الحرف وليس مع الحرف لأنّ الإنسان يعلم أنّه سوف ينطق بهذا الحرف مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً فينطقه بهذا الشكل.

---

(١) وهو أستاذ ابن جني، وقد لازمه ابن جني أربعين عاماً حتى صار كأنه كاتب له، ويظهر هذا في كتاب ابن جني «سر صناعة الاعراب» حيث يذكره كثيراً.

ويضرب مثالاً آخر ضم الهمزة لكون الحرف الثاني بعدها مضموماً كالأفعال التي ننطقها وفيها همزة وصل أو حتى مع همزة القطع، نضمّها إذا كان ما بعد الحرف الأول أي الحرف الثاني مضموماً كما لو كنتُ أريد أن آمر المفرد المذكر فأقول له «أُخْرُج» فما الذي سوّغ وأوجب ضم هذه الهمزة ؟ إنّ الذي سوّغها هو أنّ الراء مضمومة وكذلك كلمة «أُدْخُل»، وهكذا بالنسبة إلى المبني للمجهول فنقول «أُسْتُخرِجَ»، فيقول ابن جني: نحنُ نضمُّ هذا الحرف لعلمنا بأنّه سيأتي الحرف الثاني بعد الهمزة مضمومة.

فوجود الهمزة المضمومة هي قبل وجود التاء في النطق لعلمنا بذلك ضممناها وبذلك يردّ على أبي علي الفارسي بهذا الدليل، فالحركة ليست مع الحرف وإنما هي بعد الحرف.

إنّ الواقع التجريبي للنطق أن الحركة في الحقيقة هي بعد الحرف وليس معه وكذلك ليست قبل الحرف فمثلاً لو وضعنا الفتحة على حرف الباء فنقول «بـ» فننطق بالباء أولاً ويستقر اللسان على مخرج الباء ثم ينفتح بالفتحة أو ينضم بالضمة.

**المبحث الثالث: عدد الحركات**

فما هي عدد الحركات ؟ وكم حركة نحنُ نتعامل معها ؟ هل هي الفتحة، الضمة والكسرة أم هناك عدد أكبر من الحركات ؟

الواقع أنّ الحركات ليست هذه الثلاثة وإنما هي أكثر بكثير فبعضهم يوصلها إلى ست حركات والبعض الآخر إلى تسع حركات. فالذي يوصلها إلى ست حركات – كما هو واضح ورئيسية هذه الحركات – فيقول اللغويون إنّ بين كل حركتين حركة فالتي بين الفتحة والكسرة هي الحركة التي قبل الألف الممالة في مثل عِالِم وكِاتِب، فعندما أقول كلمة «عَالِم» فهذه معلومة فالألف ممدودة وصحيحة ولكن لو أردتُ أن أكسر هذه الألف فلا أجعلها إلى الفتح ولا أجعلها إلى الكسر «عَـلِمْ» فلا هي «عَالِم» ولا هي «عَالَم» فلا إلى الفتح ولا إلى الكسر، فهذه الألف الممالة كما هي بين الألف التي بمثابة الفتحة الممدودة وبين الياء والتي هي بمثابة الكسرة الممدودة فبينهما هذه الامالة، فكذلك بين الفتحة والكسرة صوت يرمز له بعض اللغويين في حرف آخر باللغات الأجنبية.

فهذه الحركة التي هي بين الكسرة والفتحة حركة مُمالة، فنكمل قول اللغويين بعد هذا المثال: «والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم؛ نحو فتحة لام الصلوٰة والزكوٰة والحيوٰة»[1]. ولعلّه من الأسباب التي دعت المسلمين الأوائل إلى كتابة الصلاة بالواو وكلمة الزكاة بالواو، فهذه الكتابة دلالة على أنّه هناك حركة أو أنّ هناك حرفاً مُمالاً أو حرفاً مفخّماً.

فكلمة الصلاة بفتح اللام غير كلمة «الصلوٰة» عندما نُفخّم اللام فهذا الصوت الذي يظهر هو غير المد في حرف اللام وغير التفخيم في حرف اللام كفتحة اللام في الصلاة وفتحة الزاء في الزكاة والتي بين الكسرة والضمة وهي الكسرة التي تُشم الضمة في نحو «قيل» و«سيرة» أو الضمة المشمة كضمة القاف من «مُنقُر» وضمة العين من «مَذعُور»، والضمة المشربة كسراً لا تختلف عن الكسرة المشربة ضماً فهما كالصوت الواحد.

وعليه فمن هذا الكلام ينشأ عندنا ثلاثة حركات أخرى تشتق من الحركات الأساسية ممّا بين كل حركتين من الحركات الأساسية تنشأ حركة جديدة، فالإشمام لهذه الحركات عندما نحسبه يصبح العدد ستة حركات على هذا العد.

هناك مَن وضع مقاييس لهذه الحركات ووضع رموز لهذه الحركات، ومن هؤلاء الإنكليزي دانيال جونز حيث وضع مقابل كل حركة حرفاً باللغة الإنكليزية فوضع مكان الكسرة الحرف «I» وحرف «A» مقابل الفتحة وحرف «U» مقابل الضمة، وجعل حروف المد والتي هي عند المحدثين صوائت طويلة والحركات من الصوائت القصيرة، فجعل الحرف الصائت والذي هو الياء ويقابل الكسرة من الحركات فكرر الحرف الانكليزي «II» فهذا يعادل الياء، وهكذا تكرير «AA» يعادل حرف الألف الممدود، وتكرير حرف «UU» فهو يعادل الواو في اللغة العربية. وهناك بعض الحركات موجودة في اللغات الأجنبية التي يُرمز لها ببعض الرموز التي تحتاج إلى مزيد من الدقة.

بعد هذه الجولة في موضوع الحركة والحرف، لابد أن نبيّن بأنّ المحدثين لا يتفقون مع القدامى هي أن الحركات أبعاض الحروف وإنما يرمزون للكل بكلمة الصوائت ويجعلون الحركة عبارة عن صوت قصير والحرف صوتاً طويلاً فيعبرون عن الجميع بالصوائت.

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج٣/ ص ١٢٠، باب في كمية الحركات.

إنّ القدامى يجعلون الحركة هي الحركة، والحرف هو الحرف فيفرّقون بين الأمرين ولكن يجعلون الحركات أبعاضاً للحروف. ومن هذه النقطة نشأ خلاف في قضية هل أنّ حروف المد قبلها حركات كقولنا «ضَارِب» أو «جَالِس» فهل هناك قبل الألف فتحة كما هو مكتوب في المصحف الشريف وفي جميع الكلام العربي ؟

المحدثون لا يتفقون بوجود حركات من جنسها قبل حروف المد أي قبل الألف هناك فتحة وقبل الواو هناك ضمة وقبل الياء هناك كسرة.

**المبحث الرابع: مطل حروف اللين**

حروف اللين هي: الألف والواو والياء. والمقصود من المطل هو إطالة حروف المد، أي أن نُطيل الوقوف عليها ونطيل مدّها، فالمقصود من الإطالة هو المد.

إنّ هناك ألف مطالة أي طويلة المد وهناك ألف قصيرة المد وهكذا بالنسبة للياء والواو، فمتى نُطيل بهذه الحروف ؟ ومتى نعطيها حقّاً أقل إطالة ؟

نحنُ نعلم أنّ المحدثين – كما مرّ بنا سابقاً – يعتبرون الصوائت سواءً كانت طويلة أو قصيرة فيطلقون عليها اصطلاح الصوائت ويقصدون بالصوائت الحركات وحروف المد واللين، فيشمل القسمين فقسم الحركات يعتبرونها من الصوائت القصيرة وقسم الحروف يعتبرونها من الصوائت الطويلة.

وأما القدامى فيعتبرون الألف من حروف الصوائت والفتحة يعتبرونها حركة ولا يعتبرونها حرفاً، ويعتبرون الحركة – كما مر سابقاً – بعضاً من الحرف التي هي من جنسه فحركة الفتحة مثلاً هي من جنس الألف وحركة الضمة من جنس الواو وحركة الكسرة من جنس الياء، ويقولون بأن هذه الحركات إذا أُشبعت انقلبت إلى حروف المد (حروف اللين).

ولكن السؤال هنا هو متى نمدُّ هذه الحروف ؟ هل مطلقاً أم أنّه لابدّ من توفر بعض الشروط ؟ وما هو مقدار المد ؟

إن هناك حالات تُمد بها هذه الحروف:

الحالة الأولى: إذا سبق حروف اللين الهمزة مثلاً كلمة «كسآء» و«ردآء» وهكذا في كلمتي «خطيـئة» و«رزيـئة»، فالياء من حروف المد وجاء بعدها الهزة فلابد من المد، وكذلك في كلمتي «مقروءة» و«مخبوءة» فلابد من المد في هذه الحروف.

ولكن من الناحية التجريبية لو أخذنا وجرّبنا بعض الكلمات ككلمة «كتاب» أو مثل كلمة «حساب» وأي كلمة أخرى لا يوجد بعد حروف اللين همزة، فهل نحتاج إلى المد أم لا ؟

من الناحية التجريبية في الصوت لا يوجد هناك فرق واضح بين كلمة «كتاب» وكلمة «كساء»، ولكن يبدو أن العرب كان يمدّون ما كان بعده همزة، فالأمر التجريبي لا ينفع في تعليل هذه الظاهرة وإلا فهناك كلمات «وافيات»، «قانتات»، «ناعمات»، فما الذي يجعلنا نمد الألف في هذه التي تشبه الكلمات التالية «غذآء» و«كسآء» و«ندآء» و«صحرآء» ؟

إنّ الطريقة في النطق تختلف بين القدامى وبين المحدثين، فحينئذ لا يصحّ التعليل في مثل هذه الظاهرة إلا بالتيّقن من طريقة النطق، ولكن الذي نقله القرّاء واللغويون من الأوائل والمتأخرين والمحدثين أجمعوا على أنّ العرب تمدّ في حروف اللين إذا جاء بعدها الهمزة، وهذا ما عليه قرّاء القرآن الكريم.

الحالة الثانية: إذا جاء بعد حروف اللين حرف مشدّد أي حرف مضعّف، والحرف المضعّف يتكون من حرفين أوله ساكن والثاني متحرّك فكلمة «شآبَّة» فعندما نفكّ التضعيف فيكون بهذا الشكل «شآبْبَهْ» وكذلك كلمة «الحآقَّة» جاء بعد الألف القاف المشدّدة «الحآقْقَهْ»، وهكذا في عبارة «قضيـبْ بَكر»، ولكن نلاحظ بأن طول مدّ حرف الألف في كلمتي «شآبَّة» و«الحآقَّة» يختلف عن طول مدّ حرف الياء في «قضيـبْ بَكر»، فالمد في حرف الياء أقصر منه في مدّ حرف الألف. وبعد حرف الياء يأتي حرف الواو في المد كما في كلمة «قُوَصَّ» من القصاص فنمدُّ حرف الواو ولكن مدّ هذا الحرف أقل من مدّ حرف الياء ومدّ حرف الياء أقل مدّ حرف الألف.

وعلّل اللغويون السبب في هذا المدّ فقالوا: إنّ حروف المد واللين سواكن فلا يمكن التحريك فلما يأتي حرف مشدّد بعد الحرف الساكن فأول الحرفين يكون ساكناً، فعندما نقول

«شآبْبَهْ» فالألف في أصلها ساكنة ويلي الألف باء ساكنة فحصل التقاء ساكنين والعرب تكره التقاء الساكنَين، لا تعطي صوتاً فيه ساكنَين فجعلوا طول هذه الحروف وفاءً للصوت بها عوضاً بما كان يجب للالتقاء الساكنَين وليتخلّصوا من اجتماع الساكنَين.

فالعرب عند التقاء الساكنيَن إما أن تُحرّك أحدهما أو أن تمدّ أحد حروف اللين كما في حالتنا هنا، فهذا المد نيابة عن التحريك.

الحالة الثالثة: عند التذكّر، فالعربي عندما يتكلّم فأحياناً ينسى تكملة الجملة فمثلاً أراد أن يقول: «جاء زيد وعمرو» لكن نسي عمرو فيقول: «جاء زيد وَ..» ويمد في الواو إلى حين يتذكر الاسم الثاني، فالمد ليس موضعه هنا ولكن العربي لكي يتذكر يمدّ في الحرف ويمدّ في حصته ليتذكر. فالهدف من هذا المد هو أن يوحي ويُشعر السامع بأنّه يريد أن يتذكّر فلم يقطع كلامه أي أن كلامه لم يتم بعد.

والعرب عندما تمدّ أحياناً تقف في المد على الهاء كي تنهي كلامها فتقول «وا زيداه» فلا تقف على «وا زيدا» وإنما تضع الهاء للسكت دلالة على أنّها قد سكتت وأنهت الكلام، والدليل على ذلك في حالة الوصل تقول «وا زيداً العالم» ففي حالة الوصل تحذف الهاء.

# الفصل السادس: التعليل الصوتي

ذكرنا سابقاً مخارج الحروف وصفات الحروف، وكان الهدف منه هو الدخول إلى التعليل الصوتي أو موضوع الادغام، مما يصحّ فيه الادغام ومما لا يصح، حتى أنّ سيبويه علّل في كتابه «الكتاب» دراسة الحروف ومخارجها وصفاتها أنّها توطئة ومدخل لما يحسن الادغام فيه وما لا يحسن وما يجوز فيه الادغام وما لا يجوز.

في التعليل الصوتي العلل وهناك الاعلال وهناك التعليل وكلها تشتق من كلمة واحدة وهي العلة، والحروف التي هي الألف والواو والياء هي ما يجري فيها من تغييرات صوتية ما تُسمى بالإعلال، وهناك الاعلال وهناك الابدال. فأحياناً يدخل باب الابدال في الادغام لأنّ بعض الحروف تُقلب وتبدل ثم تُدغم، فإذا حصل تبديل أو حذف أو اختلاس وما شاكل ذلك في حروف العلة (حروف اللين) فتُسمى إعلالاً، وإذا حصل هذا الأمر في غيرها من الحروف فلا يُسمى إعلالاً وإنما يُسمى بالإدغام.

## المبحث الأول: الادغام

الادغام لغة: إدخال الشيء في الشيء، فإذا أدخلتُ شيئاً بشيء آخر فمن الناحية اللغوية أدغمتُ هذين الشيئين أي دمجتموها. وأمّا من الناحية الاصطلاحية فتقريب الصوت من الصوت. ويحصل الادغام عند التقاء حرفين أحدهما ساكن والآخر متحرك فالعرب تُدغم الساكن بالمتحرك. والتعريف جامع وشامل للإدغام نقول: «التقاء حرفين أحدهما ساكن والآخر متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدّداً ينبو (يتحرك) اللسان عنهما نبوة واحدة، ويشتدّ الحرف»[1].

«الإدغام لغة: إدخال الشيء في الشيء. واصطلاحاً: التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة»[2].

---

(١) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: اللامات، تحقيق مازن مبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٥٢.

(٢) المصري، محمود بن علي بسّه: العميد في علم التجويد، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، ط١، دار العقيدة، الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٣.

ابن جني يعرّف الادغام بقوله: «إخفاء الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة»[1]. والادغام على قسمين: أصغر وأكبر.

**المطلب الأول: الادغام الأصغر:**

هو ليس من باب الادغام وإنما يدخل في باب الابدال لأنّه يختلف عن تعريف الادغام اصطلاحاً. ويقصدون به كما في الامالة فمثلاً كلمة «عالِم» ففي بعض اللهجات لا ينطقون الألف «عَـلِم»، فاللغويون كان يعدّون هذا الادغام بالإدغام الأصغر، وكما تلاحظون فإنّه ليس ادغاماً بين حرفين ساكن ومتحرك حتى يكونا كالحرف الواحد.

نعم، لقد حدث تغيير بالصوت فأصبح الصوت بين الكسرة والفتحة أو بين الياء والألف ولكنه لا يُعدّ ادغاماً، وهكذا الابداء في تاء الافتعال حرفاً يجانس الفاء مثل «ادَّكَرَ» أو «أَذَّكَّرُ» و«أَسَّمَّعُ»، فهي بالأصل «أتذكر» أو «أستمع» فحذفوا هذه التاء وقلبوها إلى حرف مجانس إلى الحرف الأول وهو السين ثم أدغموها بالسين فأصبحت السين حرفاً مضعفاً الأول ساكن والثاني متحرك.

وكذلك هناك تقريب السين من الحرف المستعلي إذا وقعت قبله بأن تُقلب صاداً فهي بالأصل سين ولكن جاء حرف من حروف الاستعلاء مثل الدال فتقلب صاداً فمثلاً «سُقْتُ» فيقولون «صُقْتُ»، وكما تلاحظون هكذا كله قَلْب ولا يخضع للإدغام فمثلاً «أَذَّكَّرُ» و«أَسَّمَّعُ» فهنا يوجد ادغام ولكن أصل هذا الادغام راجع إلى الابدال فاستبدلوا التاء الموجودة بالسين في «أَسَّمَّعُ» وابدال التاء بالذال في «أَذَّكَّرُ».

وأيضاً قد تُقلب الصاد زاياً لأجل وجود الدال مثل كلمة «مَصدَر» فتُنطق أحياناً «مَزدَر» فتُقلب الصاد إلى زاي فهذا الصوت بالأصل غير موجود، وكما تلاحظون فإنّ هذا قَلْب وليس ادغام، والسبب في هذا القلب وجود حرف الدال. فهذا الاقلاب ليس من أبواب الادغام وينبغي أن يُدرس في باب الابدال.

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج٢/ ص ١٤٢.

وهناك نوع ثاني حيث أن هناك بعض اللهجات في القبائل العربية تُحدث هذا النوع من الادغام وهو في لغات العرب وفي لهجاتها مثل ابدال تاء الافتعال من غير ادغام نحو «ازدان» و«اصطبر» فهذه هي بالأصل «اصتبر» فقُلبت التاء إلى طاء فأصبحت «اصطبر»، وأما كلمة «ازدان» من الزينة هي بالأصل «ازتان» فقُلبت التاء إلى دال فأصبحت «ازدان».

وكذلك الابدال في تاء الافتعال ثم الادغام التقاط من غير قصد في نحو «اضطّرد» فأصلها «اضترد» فقلبت التاء إلى طاء وصار عندنا طائين طاء ساكنة وأخرى مفتوحة فأدغمت، وكذلك في كلمة «ادّعى» فأيضاً هنا قلبت التاء إلى دال ثم ادغمنا ما بين الدالين.

كذلك الابدال في تاء الافتعال ثم قلب التاء حرفاً يجانس الحرف الذي قُلب عند تاء الافتعال كما في قوله تعالى: ﴿ **وَادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ **فَهَل مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[2]، فهي بالأصل تاء فقُلبت إلى دال ثم أدغمت الدالان.

وكذلك قلب الدال تاءً في قولهم «العدد ستٌّ» وهو بالأصل من السدس أي هناك دال «الستة» أصلها من السدس فقلبوا هذه الدال تاء وأدغموها فصارت «ستٌّ».

أيضاً يبحثون في الادغام الأصغر باب «فَعَلَ يَفعَلُ»، مثل «خرج يخرج»، «نصر ينصر»، «جلس يجلس»، أي عين الفعل[3] مفتوحة، فأي فعل كانت عينه أو لامه[4] مفتوحة من حروف الحلق فالعرب تفتح عين الفعل إذا كانت عينه أو لامه من حروف الحلق فلا تقول «يَسبُحُ» وإنما تقول «يَسبَحُ» لأن الحاء من حروف الحلق وهكذا في كلمة «يَقرَعُ».

اللغويون التفتوا إلى هذه الظاهرة فوجدوا أن العرب في جميع الأفعال التي هي من باب «فَعَلَ يَفعَلُ» يفتحون عين الفعل ولا يضمّونها ولا يكسرونها، فمثلاً «جَلَسَ يَجلُسُ» بينما في «قَرَعَ يَقرَعُ» فلماذا لا يقولون «يَجلَسُ» فلم يفتحوا اللام فيه ؟

---

(١) يوسف، ٤٥.

(٢) القمر، ١٥.

(٣) المقصود به هو الحرف الثاني من الفعل يكون مفتوحاً.

(٤) المقصود به هو الحرف الثالث من الفعل.

اللغويون وجدوا أن العرب في كل الأفعال التي على وزن «فَعَلَ يَفعَلُ» والتي عين الفعل المضارع فيها مفتوحة، في كل هذه الأفعال توجد حروف الحلق إمّا عين الفعل أو لامه أي إمّا أن يكون الحرف الثاني أو الثالث من الفعل من حروف الحلق الستة (ء، هـ، ع، ح، غ، خ).

لماذا تعامل العرب مع الظاهرة الصوتية بهذا الشكل ففتحوا عين الفعل ؟

اللغويون علّلوا أنّ الحركات هي أبعاض حروف المد، فالفتحة حركة هي بعض من حرف الألف، وحرف الألف يخرج من حيّز الحلق فمخرج حرف الألف من الحلق فالحركة هي بعض من حروف الحلق فكأنه سيكون عندنا صوتان يخرجان من الحلق وهما حركة الفتحة وحرف من حروف الحلق، فكأنه هو من باب الانسجام الصوتي لحصول الانسجام الصوتي بين الفتحة التي هي بعض الألف وبين حروف الحلق التي تخرج من هذا الحيز.

إلى هذا المقدار نكون قد انتهينا من موضوع الادغام الأصغر، وكل هذا البحث ينبغي أن يُبحث في باب الابدال ولكن اللغويين يبحثونه في هذا الباب لوجود بعض الادغام فيه.

**المطلب الثاني: الادغام الأكبر:**

وهو الموضوع الجوهري في بحثنا، وهو ما عرّفناه سابقاً «لغةً ادخال الشيء في الشيء، واصطلاحاً التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً».

هذا من الناحية الصوتية في الحروف، ولكن هناك ادغام في الحروف في ادغام النون الساكنة في التنوين عندما يأتي أحد حروف «يرملون» ويُقسم إلى ادغام تام وادغام ناقص، وسيأتي البحث عنه عند التحدث عن مبحث التجويد بشكل مفصّل. والادغام الأكبر أيضاً على قسمين:

القسم الأول: أن يلتقي حرفان متماثلان الحرف الأول ساكن والحرف الثاني متحرك وهما من جنس واحد كالراء المكرّرة أو الباء المكررة .. الخ، فيُدغم الأول بالثاني ويكون الحرف الأول من المثلين إمّا أن يكون ساكناً في الأصل مثل الطاء في «قَطَّعَ»، «كَسَّرَ» فهي ساكنة في الأصل وليست متحركة وأسكناها.

وإما أن يكون الحرف الأول متحرّك ولكنه يُسكّن لأجل الادغام مثل «شَدَّ» فهي في الأصل «شَدَدَ» والعرب تكره التحرك في المثلين فسكّنت الحرف الأول فأصبحت الكلمة جاهزة للإدغام فصارت «شَدَّ» وكذلك في كلمة «مُعْتَلٌّ» فأصلها «مُعتَلِلٌ» فاللامان متحركان، فالعرب سكّنت هذه اللام الأولى وأدغمت فصارت «مُعْتَلٌّ».

القسم الثاني: أن يلتقي الحرفان المتقاربان بالمخرج على الأحكام التي تسوّغ الادغام فيُدغم أحد الحرفين إلى لفظ صاحبه فيُدغم فيه. لقد كان الحديث في القسم الأول الادغام في التقاء المثلين أي بتكرر نفس الحرف، أما في القسم الثاني فهو التقاء حرفين مختلفين ولكن مشتركان في المخرج كالطاء والتاء، والدال والتاء، مثل كلمة «وُدٌّ» فلا توجد كلمة ثنائية وهي من المودة، فعندما نفكّ هذا الادغام فتكون «وِتْدٌ» فلوجود المتقاربين من مخرج واحد وهما التاء والدال فقلبت التاء إلى دال ساكنة وادغمتا في حرف واحد.

وكذلك في كلمة «اثَّاقَلَ» ففي الأصل هي «تثقال» فالعرب وخصوصاً أهل الحضر وسكنة المدن ومنها قريش يميلون إلى التخفيف فبدلاً أن يقلبوا التاء إلى ثاء – والمفروض أن تُقلب التاء إلى ثاء فتكون اثّاقل بالإدغام – ولكن قلبوا الثاء إلى تاء وقلبوا التائين إلى ثاء فصارت «اثّاقَلَ»، وجاء القرآن الكريم بهذا الكلام فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلتُم إِلَى الأَرضِ** ﴾[1].

العرب تكره اجتماع حرفين متحركين واجتماع متقاربين متحركين، والعرب كلّهم مجمعون – كما ذكر سيبويه – على ادغام الفعلين بالفعل إذا تحرّك الحرف الثاني منهما إلا أنّهم اختلفوا في الأمر والمضارع المجزوم.

هناك من العلماء المحدثين من الغربيين عالم اسمه «جوزيف فندريس»[2] حيث جعل الحرفين المدغمين حرفاً واحداً وذكر أنّه لا فرق بين الحرف الواحد والحرفين المدغمين، إلا أنّه اطالة الوقوف على هذا الحرف، ويضرب مثالاً على ذلك بالكلمات اللاتينية: عندما نقول أتا

---

(١) التوبة (براءة)، ٣٨.

(٢) فندريس، جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠، ص ٤٨ – ٤٩.

ata ثم نقول أتّا المشددة atta، فلا فرق بين هذين الصوتين (أتا) و(أتّا) إلا أننا نطيل الوقوف على التاء – والتي هي ظاهرة الادغام في اللغة العربية – فلا يفرّق بين هذين إلا بإطالة الوقوف على التاء، وطبعاً يُخطّئ وجود ساكنين، فيفسّرها بهذا الشكل: في ata انحباس في الصوت ثم انفجار وأما في atta فيحصل انحباس في الصوت ثم انفجار ثم انحباس ثم انفجار. والحقيقة عندما نريد من الناحية الصوتية أن نفصّل في الادغام يكون انحباس الصوت ثم انفجاره ثم انحباسه مرة ثانية وانفجاره، فهنا انحباسان في الصوت وانفجاران، ففي اللغة العربية عندما نفكّ هذه الكلمة فتكون «أتْ تَا» فنحن نقف على هذه التاء الأولى الساكنة ثم نُحرّك التاء الثانية فيكون هناك وقوف ثم انفجار في الصوت ثم انحباس مرة ثانية للتاء، ولكن في الادغام كأن اللسان يرتفع ارتفاعة واحدة.

وعليه فإنّ «فندريس» مخطئ في تعليله اللغوي لهذه الظاهرة الصوتية، وهناك عالم آخر اسمه «جان كانتينو» تابع «فندريس» في تعليل هذه الظاهرة الصوتية وهي الادغام فقال ما قاله فندريس ولكن في موضع آخر من كتابه بيّن أنّ هناك شيئاً من الفرق، وهذا الذي يشفع له أن نقول بأنّه لا يمشي على خطى فندريس في تعليل ظاهرة الادغام الصوتية، ولكنه في موضع آخر يتابع فندريس في هذه الظاهرة يقول: «إنّ التشديد لا يغيّر من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل مداها فقط»[1]، وفي هذه الحالة هو متابع لفندريس أي لا يجعل الحرفين المدغمين بل يجعلهما حرفاً واحداً، وهذا لا نوافق عليه ولا يوافق عليه اللغويون العرب ولا نأخذ بأقوال الأجانب الذين هم عيال على اللغة العربية.

من أين جاءهم هذا الوهم ؟ لقد جاءهم الوهم لأنّ اللسان يرتفع ارتفاعة واحدة فكأنهما كالحرف الواحد، فهذه النَبْوةَ كالحرف الواحد عدّوها حرفاً واحداً، فهناك فرق كبير بين الحرف الواحد وبين كأنّه حرف واحد.

القدامى والمتأخرون يقولون كالحرف الواحد وأنّ اللسان ينبو عنهما نبوة واحدة فيخفى الحرف الأول بالثاني، أما هؤلاء «فندريس» و«كانتينو» يعتبرون المدغمين حرفاً واحداً فلا يفرقون بينه وبين الحروف الصوائت والتي هي حروف المد واللين.

---

(١) كانتينو، جان: دروس في علم الأصوات العربية، مصدر سابق، ص ٢٥.

وهناك قصة يذكرها ابن جني: «جاء رجل إلى أبي إسحاق الزجاج فقال له: زعمتم أنه لا يمكن الجمع بين ألفين ؟ فقال: نعم. فقال: أي الرجل أنا أجمع فقال: «ما» ومد صوته فقال له: حسبك ولو مددت صوتك من غدوة إلى العصر لم تكن إلا ألفاً واحدة»[1].

فالحرف الصائت مهما وقفنا عليه لا يكون إلا حرفاً واحداً وأما الحرف الصامت فينتج منه حروف متعددة، والدليل على ذلك أنّ العروض في الشعر عندما نفكّ الادغام أي عندما نفكّ الحرفين المدغمين فإنّهما يرجعان إلى أصلهما فعندما نقول مثلاً: «أمّا أخي» على وزن «مُستَفعِلُن» فإذا أردنا أن نفكّ الادغام فيكون: «أمْ مَا أخي» فهذان حرفان وليسا حرفاً واحداً، فإذا حسبنا حروف «مُستَفعِلُن» فهي سبعة، وكذلك «أمْ مَا أخي» هي سبعة حروف أيضاً. فكيف يكون الحرفان المتماثلان أو المتقاربان حرفاً واحداً ؟!

سيبويه يقول: «والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفين من موضعٍ واحد ونحو ذلك: رَدَدتُ ووَدِدتُ واجْتَرَرْتُ وانقَدَدْتُ واسْتَعْدَدتُ وضارَرتُ وتَرادَدْنا واحْمَرَرْتُ واحْمَارَرْتُ واطمَأْنَنْتُ. فإذا تحرَّك الحرف الآخر فالعرب مجمعون على الإدغام»[2].

أي أنّ العرب مجمعون على ادغام المثلين في الفعل إذا تحرّك الحرف الثاني منهما، وأما إذا كان الحرف الثاني ساكناً فلا يوجد ادغام. ولكنهم اختلفوا في فعل الأمر والمضارع المجزوم، فقد نُسب إلى سيبويه ترك الادغام فقد ذكر بأن الحجّازيين يفكّون الادغام، وإبقاء الادغام للتميميين فقال: «فإذا كان حرفاً من هذه الحروف في موضع تُسكّن فيه لام الفعل فإنَّ أهل الحجاز يضاعفون لأنَّهم أسكنوا الآخر فلم يكن بدٌّ من تحريك الذي قبله لأنه لا يلتقي ساكنان، وذلك قولك: ارْدُد واجْتَرِرْ وإن تُضَارِرْ أُضَارِرْ وإن تَسْتَعْدِدْ أَسْتَعْدِدْ، وكذلك جميع هذه الحروف. ويقولون: ارْدُدْ الرَّجُلَ وإنْ تَسْتَعْدِدِ اليَومَ اسْتَعْدِد، يَدَعُونه على حاله ولا يدغمون لأنَّ هذا التحريك ليس بلازِم لها، إنّما حرّكوا في هذا الموضع لالتقاء الساكنين وليس الساكن الذي بعده في الفعل مبنيَّاً عليه كالنون الثقيلة والخفيفة. وأمّا بنو تميم فيُدغمون المجزوم كما أدغموا،

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج٢/ ص ٤٩٣.

(٢) سيبويه، أبي بشير عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني – القاهرة، ١٩٩٢م، ج٣/ ص ٥٢٩ – ٥٣٠.

إذ كان الحرفان متحرّكين لما ذكرنا من المتحرّكين فيُسكّنون الأوّل ويحرِّكون الآخر لأنَّهما لا يسكنان جميعاً وهو قول غيرهم من العرب وهم كثير»[١]. وهكذا ابن جني قال: «فهكذا لغة أهل الحجاز وهي اللغة الفصحى القدمى»[٢].

ذكرنا أنّه في الحالة الأولى يكون الحرف الأول ساكناً فحينئذ يجب الادغام أو يجوز، وأما إذا لم يكن ساكناً وكان متحركاً فحينئذ يضطّرون أن يُسكّنوا إذا أرادوا الادغام وأحياناً أصلاً لا يصح الادغام لأن الحركة إذا كانت موجودة في الحرف الأول فتُسبّب حاجزاً بينها وبين الحرف الثاني يمنع الادغام، فوجود الحركة هو مانع من الادغام.

إنّ العرب عندما تريد أن تُدغم تُزيل هذا المانع وهو الحركة وإزالة الحركة معناه السكون فعندئذ تُدغم، وهذا ما يبيّنه اللغويون في كتبهم: «فإن كان الأول من المثلين متحركا ثم أسكنته وأدغمته في الثاني فهو أظهر أمراً وأوضح حكماً، ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه»[٣].

**المطلب الثالث: حالات ترك الادغام**

ولكن مع هذا نجد بعض الصيغ، بعض الكلمات قد فُكّ فيها الادغام مع احتواء هذه الكلمات على المثلين المتحركين فلم تدغم العرب الحروف في هذه الكلمات، ومن هذه الصيغ التي لم تدغم فيها العرب: الحالة الأولى: الملحق، وهي حالة من حالات فك الادغام. الحالة الثانية: في باب ما جاء على وزن «افتَعَلَ» والعين فيه تاء. الحالة الثالثة: نون الوقاية إذا التقت بنون قبلها نحو «يُمكِنُني»، «يَزورانَني»، «يَعِدانَني» فمثل هذه الكلمات إنّ العرب قد فكّت فيها الادغام مع وجود حرفين متحركين متماثلين.

<u>الحالة الأولى: الملحق</u>

ما معنى الالحاق ؟ الالحاق هو أن تزيدَ حرفاً أو حرفين على تركيبه، فهذه الزيادة ليست لإفادة معنى، حيث أن هناك بعض الزيادات عندما نزيدها إلى الفعل أو الاسم فيهدف من هذه

---

(١) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٣/ ص ٥٣٠.

(٢) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج١/ ص ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق، ج٢/ ص ١٤٠.

الزيادة تغيير المعنى. مثلاً كلمة «خَرَجَ» وهو فعل ماضي، فعندما أقول «خَرَّجَ» وأضعّف الفعل فيخرج من «خرج» التي هي الخروج بالطوع والاختيار إلى الخروج بالقهر فأقول «خرَّجتُ زيداً» أي أخرجته قهراً، فالذي أفاد هذا المعنى الجديد هو الزيادة حيث تم تضعيف الحرف في الفعل. أما في الالحاق من شروط هذه الزيادة أن لا تفيد معنى جديداً أي أنّ الزيادة لا تُغيّر في معنى الكلمة، إذاً ما الفائدة من الزيادة ؟

الفائدة ليكون ذلك التركيب بتلك الزيادة مماثل لكلمة أخرى من حيث عدد الكلمات والسكنات مثل كلمة «جَلْبَبَ» فأصل هذه الكلمة «جَلَبَ» وأضفنا لها حرفاً وهو الباء فأصبح لدينا حرفان متماثلان ومتحركان، فحسب القاعدة ينبغي أن نسكّن الأول وندغم ونشدّد الباب ولكن لو سكّنا الباء الأول وهناك لام ساكنة فلا يصح هذا لالتقاء الساكنين، فهنا تفكّ الادغام وجوباً، وكذلك في الكلمات «شَمْلَلَ، مَهدَدَ، قَرْدَدَ».

وعلّل اللغويون في ترك الادغام أو فكّ الادغام: «الادغام بهدف الزيادة فإذا صحّ الادغام وإذا أدغمنا الكلمة فحينئذ الهدف أو الغرض من الزيادة تنتفي» لأنّه عندما أضافوا هذه الزيادة لم يكن الهدف منها تغيير المعنى بل كان الهدف أن تُماثل هذه الكلمة كلمة أخرى في عدد الحروف والحركات والسكنات، ولكن إذا أحدثنا الادغام فحينئذ ينتفي الغرض والقصد من الزيادة وهو المماثلة. وهذا التعليل ذكره سيبويه، وتابعه في هذا التعليل ابن جني، فقال سيبويه بهذا المعنى: «لم تسكن الأول فتدغم وذلك قولك: قَرَدَدٍ لأنك أردت أن تلحقه بجَعفَرٍ وسَلهَبٍ»[1].

الحالة الثانية: الوزن «افتَعَلَ»

فإذا كان عين الفعل فيه تاءٌ، فهذه التاء ستحُدث لنا في بعض الكلمات التي أيضاً يأتي فيها تاء فمثلاً نقول «اقتَتَلَ» فالعرب هنا مع وجود حرفين متماثلين ومتحركين تفكّ الادغام وجوباً ولا تُدغم، فلماذا لا تدغم مع وجود ما يؤهل الادغام حسب القاعدة ؟

إنّ المازني[2] قال في كتابه «التصريف» معلّلاً ترك الادغام في هذا الباب: «تاء افتعل لا يلزمها أن يكون بعدها تاء أبداً ألا تراها في أكثر الكلام تجيء وحدها ليس بعدها مثلها وذلك

(١) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٤/ ص ٤٢٤.

(٢) هو بكر بن محمد بن عثمان البصري (ت ٢٤٩هـ)، شيخ النحاة في زمانه.

مثل اغتَلَمَ واحتَلَمَ واجْتَابَ واكتَالَ»[1]. وزاد ابن جني على كلام المازني فقال: «إنّ دالي ردَدْتُ لابدّ لإحداهما من الأخرى في كل موضع، وتاء افتعل لا يلزم أن يكون بعدها أبداً تاء»[2].

الحالة الثالثة: نون الوقاية إذا جاءت بعد كلمة نهايتها حرف النون

ونون الوقاية هي نون مكسورة تفصل بين ياء المتكلم وبين الفعل أو بين الحرف، وسُميّت نون الوقاية لأنها تقي الفعل من الكسر الذي ينشأ عن إلحاق ياء المتكلم به.

عند التقاء نونين في كلمة واحدة مثل «يُمْكِنُني» فلماذا لم تُسكّن العرب النون الأولى وفكّت الادغام فيهما ؟ وكذلك في قولنا «يَزُورَانَني» فأيضاً العرب فكّت ولم تدغم الحرفان.

ورأي ابن جني في ذلك حيث يقول: «وإن كان المثلان متحركين في كلمة واحدة لأنه لا يلزم الأولى أن يكون بعدها مثلها»[3].

فيمكن أن أقول «يَزُوراني» أو «يَضرِباني» فحينئذ لا يكون هناك ادغام، ولكن العرب في حالة إذا جاء حرفان متماثلان فلا يدغم.

وسيبويه يبيّن ويعلّل أن المثلين في «يُمكِنُني» و«يزورانَني»: ليستا في كلمة واحدة وإنما هما في كلمتين، لأنّه لو فككنا هذه الكلمة فيكون الفعل «يُمكن» ثم نون الوقاية ثم ياء المتكلم، فالياء الأخيرة ضمير للمتكلم وهو فاعل في محل رفع. فنون الوقاية جاءت منفكة عن «يمكن» وجاء كي تقي ياء المتكلم من الكسر. فيقول سيبويه إذا وقعتا المثلين المتحركين في كلمة واحدة فتدغمان ولكن في الكلمتين السابقتين فإنّ النونين قد وقعتا في كلمتين وليستا في كلمة واحدة.

وعليه فتعليل ابن جني غير صحيح تبعاً لرأي ونظر سيبويه، فيذكر سيبويه: إنّ ترك الادغام هو الأصل لأنّ قبل المثلين حرف ساكن، وإن كان الحرف حرف مد فهو في باب الادغام بمنزلة حرف متحرك.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف في شرح التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، ط١، دار إحياء التراث القديم، القاهرة ١٩٥٤، ج٢/ ص ٣٣٥.

(٢) المصدر السابق، ج٢/ ص ٣٣٦.

(٣) ابن جني: المنصف في شرح التصريف لأبي عثمان المازني، مصدر سابق، ج٢/ ص ٣٣٧.

ونص ما يقوله سيبويه: «وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواءٌ متحركين وقبل الأول حرف مدٍ فإن الإدغام حسنٌ لأن حرف المد بمنزلة متحركٍ في الإدغام. ألا تراهم في غير الانفصال قالوا: رادُّ وتُمُودَّ الثوبُ. وذلك قولكَ: إنَّ المالَ لَكَ وهم يَظْلِمُونِّي وهما يَظْلِمانِّي وأنتِ تَظْلِمينِّي»[1].

فاللام الأولى من «المال» متحركة واللام الثانية من «لَكَ» متحركة فاجتمعت لامان أي اجتمع مثلان فحسب القاعدة اللغوية أن ندغم، ولكن سيبويه يقول لأنّ اللام الأولى في كلمة واللام الثانية في كلمة أخرى فلم ندغم، فلو كان اللامان في كلمة واحدة لسكّنا الأولى وادغمنا ولكن بما أن اللامين في كلمتين فلا تدغم كما هو الحال في كلمتي «يُمكِنُني» و«يزورانَني».

والتعليل الثاني الذي يذكره سيبويه أنّ ترك الادغام هو الأصل لأنّ قبل المثلين حرف ساكن، فإذا جاء حرف ساكن قبل المثلين فحينئذ لا يصحّ الادغام لالتقاء الساكنين وهذا الالتقاء يمنع الادغام لأنّه لابد أن نُحرّك أحد الساكنين، وكذلك حرف المد لأن حرف المد أصله السكون فهو أيضاً يمنع الادغام.

وقد ذكرنا في الادغام أن العرب تعمد إلى الحرفين المتماثلين المتحركين فتُسكّن الأول وتُدغمه بالثاني فيصبحان حرفاً مشدّداً واحداً فلماذا لم تفعل هذا مع قولنا «يَزُورَانَنِي» ؟

يعلّل سيبويه ذلك حيث يذكر أنّ الأصل في الادغام أن نُسكّن الحرف الأول وندغمه في الثاني حتى نُمهّد للإدغام ولكن لو فعلنا ذلك في هذه الكلمة «يَزُورَانْ» والنون الثاني التي هي نون الوقاية نضع تحتها علامة الكسرة ثم ياء المتكلم «نِي»، فالذي يحصل على رأي سيبويه أن الألف في «يزوران» أيضاً ساكنة لأنّ حروف اللين «أ، و، ي» حركتها السكون فسيكون عندنا سكون + سكون فيلتقي الساكنان وإذا التقا الساكنان فلا يصح في اللغة العربية ولابدّ أن نُحرّك أحدهما وإذا تحرّك أحدهما فالحركة مانعة من الادغام فيمتنع الادغام.

إذاً هناك تعليلان لسيبويه فيذكر سببين لمنع الادغام في موضوع نون الوقاية، وعليه فلا يُطابق رأي ابن جني في هذا الموضوع.

---

(١) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٤/ ص ٤٣٧ – ٤٣٨.

**المطلب الرابع: وجوب الادغام**

وهناك حالات يجب فيها الادغام وحالات يجوز فيها الادغام، وعندما نقول يجوز فيها الادغام فمعنى ذلك أنّه يجوز الادغام ويجوز أيضاً فكّ الادغام، وهناك حالات يجب فيها فكّ الادغام. فالسؤال الأول متى يجب فكّ الادغام ومتى يجب الادغام ومتى يجوز الأمران ؟

إنّ هناك ثمان حالات يجب فيها فكّ الادغام، وبتعبير آخر إنّه يجب الادغام في المثلين المتحركين إذا لم تتوفر هذه الحالات الثمان، وفيما عدا هذه الحالات فيجب الادغام:

أولاً – أن لا يتصدرا الكلمة: أي يجب ألا يكون الحرفان المتماثلان في أول الكلمة لأنّ في الادغام يجب تسكين الأول وتحريك الثاني، ولا يمكن الابتداء بحرف ساكن.

ثانياً – إذا كان الاسم على وزن «فُعَل»: إنّ العرب قد استثنت من قاعدة الادغام الأسماء التي تكون على وزن «فُعَل» كما في الكلمات «سُرَر»، «خُزَز»، «قُذَذ»، «سُدَدْ» و«قُلَل».

ثالثاً – إذا كان الاسم على وزن «فُعُل»: وهذه أيضاً من المستثنيات إذا كان الاسم على وزن «فُعُل» كما هو في الكلمات «مُدُد»، «سُرُر»، «حُضُض»، «شُدُد» و«سُنُن».

رابعاً – إذا كان الاسم على وزن «فِعَل»: كما في الكلمات «دِرَر»، «قِدَد» و«كِلَل».

خامساً – إذا كان الاسم على وزن «فَعَل»: كما هو في كلمتي «طَلَل» و«لَبَب».

سادساً – إذا كان الاسم على وزن «فُعَّل»: كما هو في كلمة «جُسَّس».

سابعاً – إذا كان التركيب على وزن مثل «أُخْصُصَ أَبِي»: والأصل في هذا التركيب «أُخْصُصْ» حيث أن الصاد الثانية ساكنة «أَبِ» فكلمة «خُصَّ» هذه فيها ادغام ولكن لو أردت أن تجعل هذه الألف الأولى تدخل على الفعل يجب فكّ الادغام في الصادين الأولى والثانية، وتفتح الصاد الثانية لالتقاء الساكنين، الساكن الأول هو الهمز في أبي والساكن الثاني هو الصاد الثانية في فعل الأمر المجزوم. فمثل هذا التركيب مستثنى من الادغام.

ثامناً – إذا كان الاسم على وزن «هَيْلَلَ»: كما هو في الكلمات «قَرْدَدَ» و«مَهْدَدَ»، فهذا أيضاً يُستثنى من وجوب الادغام.

فإذا استثنينا هذه الحالات فيجب الادغام، فإذا التقا المتماثلان في كلمة وخلت هذه الكلمة من الأوزان الثمانية فحينئذ يجب الادغام، كما هو الحال في الكلمات: «عَدَّ»، «شَدَّ»، «ظَنَّ»، «سَبَّ» و«رَدَّ» .. الخ.

هناك كلمتان أو ثلاث شذّت عن القياس، أي أنّ العرب أوجبوا الادغام في كل حرفين متماثلين في كلمة واحدة إلا في هذه الثمانية التي ذكرناها، ولكن هناك كلمتين أو أكثر شذّت عن القاعدة فتُحفظ ولا يُقاس عليها، فيضربون مثالاً عليها: «أَلِلَ» فنقول «أَلِلَ السّقاءُ» ومعناه تغيّرت رائحته، وكلمة أخرى هي «لَحِحَ» فنقول «لَحِحَتْ عينُهُ» بمعنى تجمّع الأوساخ الجامدة على عينه، والكلمة الثالثة هي «دَبَبَ» فنقول «دَبَبَ الإنسانُ» بمعنى نبت شَعرُ رأسه إذا لم يكن له شعر، والكلمة الرابعة هي «قَطَطَ» فنقول «قَطَطَ الشَّعْرُ» بمعنى كثُرت جعودته.

فهذه الكلمات شاذة ولا يقاس عليها ومجرد أن نحفظها من العرب سماعاً ولا يصحّ القياس عليها ويجب فيها فكّ الادغام، وأما ما عدا ذلك فكلما وجدنا كلمة فيها حرفان متماثلان متحركان فيجب ادغامها على أن تكون الكلمة مستثناة من الحالات الثمانية التي تم ذكرها.

**المطلب الخامس: جواز الادغام**

عندما نقول يجوز الادغام فمعنى ذلك يجوز الادغام كما أنّه يجوز ترك الادغام، فالسؤال هنا متى يجوز الادغام ؟ يجوز الادغام في الحالات التالية:

أولاً – إذا كان الحرفان المتماثلان يائين لازماً تحريكهما مثل كلمتي «حَيِيَ» و«عَيِيَ» فيجوز قراءتها كما هي كما يجوز الادغام فنقول «حَيَّ» و«عَيَّ»، ولو كان أحد المثلين عارضة بسبب خارجي لم يجز الادغام اتفاقاً مثل كلمة «لَنْ يَحْيِيَ»، وعلّة عدم الادغام في هذه العبارة اللغويون يقولون: إنّ الحركة ليست لازمة حيث أن القاعدة تقول يائين لازماً تحريكهما فالأصل أن يكون لازماً، بينما هنا هذه الحركة دخلت على الفعل لأنّه دخل عليها حرف النصب فهذا العامل الخارجي هو الذي جعل الياء تُنصب، فمثل هذه الحالة لا يجوز الادغام.

ثانياً – إذا كان الفعل مبتدأ بتائين مثل «تَتَجَلّى»، فالقاعدة – كما ذكرنا سابقاً – أنّه يجب فك الادغام إذا كان الحرفان المتماثلان قد تصدرا الكلمة، ولكن الجواز هنا جاء من المستثنيات، وأما مَن أدغم فقال مثلاً «أتَّجَلّى»، فقد أدغم على خلاف القياس فاضطرّ أن يُدخل الهمزة لأنّه لا يستطيع أن يبتدئ بالساكن.

ثالثاً – في نحو «استَتَرَ» وهذا بعد نقل حركة أوّل المثلين إلى الساكن نحو «سَتَّرَ» «يُستَتِّرُ»، ففي مثل هذه الحالة أيضاً يجوز الادغام فيُقرأ «اسَتَّرَ».

رابعاً – في مثل «تَتَبَيَّن» و«تَتَعَلَّم» و«تَتَنَزَّل»، فنقول عند الادغام «تَعَلَّمَ» و«تَنَزَّلَ» فيجوز هنا الادغام كما يجوز فكّ الادغام.

هذه هي الحالات الأربع التي يجوز فيها الادغام كما يجوز فيها ترك الادغام.

**المطلب الخامس: وجوب فكّ الادغام**

إن هناك حالات إذا حدثت يجب فيها فكّ الادغام، نذكرها مع الأمثلة، وهي كالتالي:

أولاً – إذا اتصل الحرف المدغم عين «فعل» في لام «فعل»، أي الحرف الثاني من الفعل بالحرف الثالث من الفعل ضمير رفع سُكّن آخره مثل «حَلَلْتُ» و«حَلَلْنا» فإذا أدخل عليه جازم مثل «لَم يَحْلُلْ» وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَحلُلْ عَلَيهِ غَضَبِي فَقَد هَوَى** ﴾[1].

ففي هذه الحالة لا يجوز فيها الادغام وإنما يجب فكّ الادغام، فكلما اتصل بالفعل ضمير رفع، وهذا الفعل تُدغم عينه باللام أي تدغم حرفه الثاني بالثالثة والحرفان متماثلان، والحرف الثالث من الفعل قد سُكّن لدخول ضمير الرفع كما في «حَلَلْنا» أو «حَلَلْتُم».

وتعليل ذلك: عندما نقول «حَلَّ» وهو الأصل، فعل ماضي مُدغم، فعندما أريد أن أنسب الفعل لنفسي وأدخل تاء الفعل فأقول: «حَلَلْتُ»، فلا يمكن أن أقول «حَلَّتُ» لأن الادغام هو سكون الحرف الثاني وتحريك الثالث وعندما أدخل الضمير فيجب تسكين الحرف الثالث وبذلك سيلتقي ساكنان الحرف الثاني والثالث، فلا يمكن ولا يجوز النطق بحرفين ساكنين متتاليين،

---

(١) طــه، ٨١.

وعليه فيجب ولابد من فكّ الادغام، كما هو الحال في كلمة «دَلَّ» فعندما أريد أن أقوم أنا بالفعل فأقول «دَلَلْتُكَ على الطريق».

فعندما يدخل الضمير على الفعل الماضي فيجب أن يكون مبنى على السكون لاتصاله بضمير الرفع والادغام هو قد سكّن الحرف الثاني فلا يمكن تسكين حرفين متتاليين، فلابدّ من تحريك أحدهما والحركة للحرف الأول تُسبّب منع الادغام، وهناك آيات قرآنية كثيرة فيها فكّ الادغام منها: ﴿ **وَمَن يَرْتَدِد مِنكُم عَن دِينِهِ** ﴾[1]، ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى** ﴾[2]، ﴿ **قَد ضَلَلتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ المُهتَدِينَ** ﴾[3].

وجواز الفك هو لغة أهل الحجاز[4] وأغلب آيات القرآن الكريم نزلت بلغة أهل الحجاز، ويجوز في غير القرآن أن نقول «لَم يَحُلْ» وهو لغة بني تميم، وقد جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾[5]، أي أنّ في الآية ادغام في القاف وهي لغة بني تميم. ففي حال الجزم جاز الادغام وجاز فكّ الادغام، ولكن عند اتصال ضمير الرفع فيجب فكّ الادغام في هذه الحالة.

ثانياً – إذا كان الفعل على وزن «أفعل» التعجب، كما أقول «أَحْبِبْ بزَيدٍ» فهنا أيضاً لابد أن نفكّ الادغام، وأيضاً «أَجْدِدْ بِبياض وجهِهِ» بمعنى ما أشدّ بياض وجهه.

إلى هنا نكون قد انتهينا من هذه الحالات الثلاث من حالات الادغام.

---

(١) البقرة، ٢١٧.

(٢) النساء، ١١٥.

(٣) الأنعام، ٥٦.

(٤) راجع ص ١٣١.

(٥) الحشر، ٤.

## المبحث الثاني: الإبدال

والذي نقصده بالابدال هنا هو الابدال بالدراسات الصوتية وليس بالدراسات النحوية، والابدال بالدراسات الصوتية على أنواع مختلفة. ومعنى الابدال هو جعل الحرف مكان حرف آخر، هذا بشكل عام سواء كان بالنحو أو في علم الصوت. وإذا كان هذا الابدال في حروف المد واللين (أ، و، ي) فيُسمى إعلالاً، فالاعلال هو الابدال ولكن في حروف اللين والاعلال أخص من الابدال فهو ابدال ولكن يتناول بعض الحروف وهي حروف المد واللين (أ، و، ي).

وأما الاقلاب فهو أيضاً ابدال ولكن في التجويد يكون الاقلاب مع مراعاة الغنّة، وسنتناول ذلك في مباحث التجويد.

والذي نبحثه الآن هو الابدال بصورة عامة في الدراسات الصوتية، وهذا الابدال يشمل عدة أنواع وهي خمسة تقريباً كالتالي:

١- الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد.

٢- الإبدال بين الحروف المتجاورة في المخرج الواحد.

٣- الإبدال بين الحروف المتقاربة المخارج.

٤- الإبدال بين الحروف المتباعدة المخارج وبينها جامع صوتي.

٥- الإبدال بين الحروف المتباعدة المخارج وليس بينها جامع صوتي[١].

### القسم الأول: الابدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد

- ابدال ما بين الهمزة والألف

أ- ابدال الألف إلى همز إذا جاء بعده حرف مشدّد

وأول ما نتاول في هذا القسم هو الهمزة والألف فكلاهما متقاربان ومن مخرج واحد، فهناك ابدال يحصل بين الهمزة وبين الألف وبين الألف والهمزة. وما نبحثه هو ابدال الألف بالهمزة ومتى يكون هذا الابدال.

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ٩٨.

بالنسبة للهمزة هي حرف شديد مجهور عند القدامى، وأما عند المحدثين فهو حرف مهموس وبعض المحدثين يقول لا هو مجهور ولا هو مهموس. ومخرج الهمزة من أقصى الحلق، وعند المحدثين مخرجها الحنجرة حيث أن عند المحدثين تدخل الحنجرة والوتران الصوتيان في الحلق. وأما الألف فحرف مجهور ومخرجه عند القدامى من أقصى الحلق كمخرج الهمزة، والمحدثون يرون أنّ حرف الألف هي فتحة طويلة ومخرجها من وسط اللسان ومما يحاذي الحنك الأعلى.

نتسائل كيف يتم الابدال بين هذين الحرفين ؟ أي كيف تُبدل العرب الألف بالهمزة ؟ وهل هناك شواهد على هذا الأمر ؟ يضربون مثالاً على ذلك كلمة «الضَّآلِّين» في قوله تعالى: ﴿ **غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلاَ الضَّآلِّينَ** ﴾[1]، فإذا جاءت الألف وبعدها حرف مشدّد، فالعرب تبدل الألف بالهمز فتقول: «الضَّأّلِّين»، وكذلك في كلمة «شآبَّة»، فلماذا يمدّون هذا الألف ؟

سبب المد: نحن نعلم أنّ الحرف المشدّد كاللام المشدّدة في «الضَّآلِّين» فهي تتكوّن من لامين الأولى ساكنة والثانية متحركة بالكسر بسبب وجود الياء، فكل حرف من حروف المد كالألف أو الواو أو الياء فإنّ حركتها السكون وكما هو معلوم أنّ العرب لا تجمع بين الساكنين إلا في هذا الموضوع وهو أن يسبق حرف التشديد حرف مدّ ساكن فتجمع بين الساكنين، ولكن كي تتخلّص من اجتماع الساكنين فتمدّ الألف، فهذا المد عوض عن الحركة، فهنا المد لازم وواجب للتخلّص من اجتماع الساكنين.

وبعض العرب بدلاً من أن يمد قلب هذه الألف إلى همز، فبدلاً من أن يمد ويطيل بالمد، والعرب تكره طول المد وتميل إلى الاختصار في الصوت فقلبت هذا المد إلى همز فقالت «ولا الضَّأْلِّين»، وهذه أحد المواضع التي أبدلت فيها الألف التي يأتي بعدها حرف مشدّد بالهمز، وكذلك نفس الشيء عملت مع كلمة «شآبَّة» فصارت «شأبَّة». وهكذا في قوله تعالى: ﴿ **وَلا جَآنٌّ** ﴾[2]، فقلبت هذه الألف إلى همز «جَأْنٌّ» كما في قراءة عمرو بن عبيد. فما هو تعليل في هذا القلب ؟

---

(١) **الحمد (الفاتحة)، ٧.**

(٢) **الرحمن، ٣٩.**

التعليل هو أنّ الألف حرف واسع المخرج ولا يتحمّل الحركة لأنه ساكن، فاضطّروا إلى تحريكه بهذا المد الطويل أو عمدوا إلى أقرب مخرج له وهو الهمز فقلبوه إلى الهمز. «وأنَ أيوب[1] سُئل عن هذه الهمزة (في كلمة «الضَّأْلِّين»)، فقال: هي بدل من المدة لالتقاء الساكنين»[2].

أيضاً هناك كلمات أخرى حُوّلت إلى همز مثل كلمة «رامي» وهو اسم فاعل من «رَمَى» «يَرمِي» فأصلها «راميٌ» ثم قُلبت إلى «رامٍ» لكي تقف العرب على ساكن حيث أنها لا تقف على حرف متحرك، فبدلاً من أن تضع التنوين على الياء فحذف الياء فصارت «رامٍ».

هذه التبديلات والتغييرات تجريها العرب مع كثير من الكلمات كي تتخلص من الصوائت المتتالية أو الطويلة أو لالتقاء الساكنين.

ب- الألف في حالة الوقف

إنّ العرب تقف على ساكن في حالتي الجر والرفع فإذا وقفوا على المنصوب فإنّهم يقفون على الألف بدون تنوين. يقولون مثلاً «مَرَرتُ بِزَيدْ» وهي في الأصل «بِزَيدٍ» ولكن العرب لا تقف على متحرك فتغلق المقطع وتقف على السكون، وهكذا في الرفع فأقول «جاءَ زَيدٌ» ولكن العرب عندما تغلق هذا المقطع وتقف فتقول «جاءَ زَيدْ» فتقف على السكون.

وأما في حالت النصب «رأيتُ زَيداً» فعندما تقف العرب في هذه العبارة فلا تقول «رأيتُ زيدْ» بل تقول «رأيتُ زَيدَا» فتحذف التنوين وتقف على الألف الساكن. والخلاف هنا هو لماذا شذّت القاعدة في الألف ولم تطبق في حالة الجر والرفع ؟

نريد هنا أن ندرس هذه الظاهرة الصوتية، فيذكر ابن جني: وهذا يعني أنّهم أساغوا الوقف على المقطع المفتوح بنبر الطول وفرّوا منه في حالتي الرفع والجر، إلا أن بعض العرب وقف على الألف بصرف النظر عن أصلها فقلب هذه الألف إلى همز. وسيبويه ينقل أنّ العرب

---

(١) هو أيوب السختياني البصري (ت ١٣١هـ)، من علماء عصره ومن التابعين.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، ط١، قم، ١٩٩٩م، ج١/ ص ٤٦.

تقف على هذه الألف في كلمة «ضربها» فقالت «ضربهأ» فقلبت الألف إلى الهمز وكذلك في كلمة «حبلى» فتقول «حبلأ» فألف حبلى هو ألف تأنيث وفي «ضربها» ألف ضمير ومع هذا عومل الجميع بصورة واحدة مما يدل على أن الدافع الذي دفع العرب لهذه المعاملة مع الجميع كألف الضمير وألف التأنيث وألف الوقف فكلها عاملوها معاملة واحدة وقلبوها إلى همز ممّا يدلّل على أن الدافع إلى ذلك هو دافع صوتي وليس دافعاً نحوياً.

فلو سألنا هذا السؤال: لِمَ لم يقف العرب في المنصوب ؟ فيقولون في كل الأحوال مثلاً «مررتُ بزيدي» فيمد الياء فيحول الكسر إلى ياء، وكذلك «جاء زيدو» فيحول الضمة إلى واو فلماذا لم يساوِ العرب في الجرّ والرفع كما هو الحال في الفتح ؟

ابن جني يجيب[1] على هذا السؤال: لو فعلوه لكان وجهاً، حيث أن هناك بعض العرب ينطقون بهذا النطق، فمن العرب مَن يقف على المنصوب المنون بلا ألف فيقول «ضربتُ زيدْ» ونقل ابن جني عن سيبويه أن قبيلة أزد السراة يمدون في الرفع فيقولون «هذا زيدو».

يبدو أن هناك ثلاثة وجوه في الوقف على الألف: الحالة الشاعة والمعروفة بين العرب أنّه في حالة الجر والرفع يغلقون المقطع ويقفون على السكون وفي حالة النصب يقفون على الألف. وأما الحالة الثانية فهناك بعض العرب يُعامل الثلاثة (الرفع والضم والفتح) بالسكون فيقولون «جاء زيدْ»، «مررتُ بزيدْ»، «رأيتُ زيدْ» فيقفون على السكون في جميع الحالات.

وأما الحالة الثالثة فهناك بعض العرب كقبيلة أزد السراة فيمدون في جميع الحالات (الضم والجر والفتح) فيقولون «جاء زيدو»، «مررتُ بزيدي»، «رأيتُ زيدا» فيضعوا الواو بدلاً من الضمة والياء بدلاً من الكسرة والألف بدلاً من الفتحة.

ج- الألف قبل متحرك أو تاء التأنيث

هناك عدّة ألفاظ قُلبت فيها الألف همزة ولم يكن بعدها ساكن ولا كانت في حالة الوقف، فكيف عاملت العرب هذه الألفاظ ؟

هناك أبيات شعرية تُنقل عن العجاج يقول:

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج٢/ ص ٤٠٨.

يا دارَ سلمى يا أسلمي ثم أسلمي فَخِنْدفٌ هامةُ هذا العألَم
مباركٌ للأنبـيـاءِ خاتمِ

فاللام في «العألم» متحركة والشاعر لم يقف على الألف ولكن قلبها إلى الهمزة، وهذه من الأبيات الشائعة والمشهورة. وبعض العرب تقلب «خاتم» إلى «خأتم»، وهناك من العرب بدلاً من أن يقولوا «نار» فيقولون «نأر».

د- ابدال الهمزة ألفاً

ذكر اللغويون إن هذا الابدال يُحفظ ولا يُقاس عليه، فهو يُختص فقط بالمرويات التي تُروى في كتب اللغة، ولا يصح القياس عليه بالنسبة لكلمات أخرى. ومما ذُكر في هذا المجال قول الشاعر: إذا ملا بـطـنـه ألبانها حلباً باتت تغنيه وضرى ذات أجراس

فمحل الشاهد في كلمة «ملا» فهي في الأصل «ملأ» إلا أنّ الشاعر لم يهمّز وقلب الهمزة إلى ألف. وبعضهم قال بأنّ هذا ليس ابدالاً وإنما هو من باب التخفيف.

الواقع أن التعليل في هذا الابدال هو أن الحرف الساكن إذا جاور متحرّك فصارت حركته كأنّها فيه، بمعنى أن الحرف الساكن أخذ الحركة من مجاوره فأصبح متحركاً. ويذكر سيبويه[1] كلمات وردت فيها أيضاً هذا الابدال فيقول: «المرأة»، «الكمأة» فيقولون «المراة» و«الكماة»، وكذلك قول الشاعر (الفرزدق):

راحت بمسلمة البغال عشيةً فارعي فزارة لا هَنَاكِ المرتع

محل الشاهد كلمة «هَنَاكِ» فهو يُريد «هَنَأَكَ» فحذف الهمز وقلبها ألفاً، ولو قال «هَنَأَكِ» لاختلّ الوزن الشعري، فهذه الألف ليست من باب الضرورة الشعرية.

- ابدال ما بين الهمزة والهاء

وهذا من الموضوعات المهمة لأنّه يحتوي على عدة قضايا في هذا الابدال وعدة كلمات تحتاج إلى تفسير في القضايا الصوتية في اللغة العربية. ومثال ذلك «أمواه» قُلبت إلى «أمواء».

---

(١) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٣/ ص ٥٤٥.

والهاء حرف مهموس على رأس المحدثين وكذلك على رأي القدامى وضعيف مهتوت أي أنّه ليس من الحروف الشديدة والقوية ولا من الحروف المجهورة، ومخرجه من أقصى الحلق، فهو على عكس الهمزة.

وردت ألفاظ ظاهرها الابدال في بعضها، والبعض الآخر من هذه الألفاظ فيها اشكال هل أنّ فيها ظاهرة ابدال أم أنها وردت على الأصل ؟

هذه الألفاظ ككلمة «ماء» فجمعها «مياه أو أمواه» فكيف نعلّل هذه الظاهرة الصوتية ؟ وهناك أيضاً كلمة «آل» و«أهل» فهل أنّ الهمزة قلبت إلى الألف أم كلاً منهما جاء أصلاً في اللغة العربية ؟ كذلك كلمتي «تدرأ» و«تدره» هل جاءتا بالأصل أم قلبت الهاء إلى همزة ؟

وكذلك كلمة «أل» بمعنى «هل» فيقول بعض العرب «أل فَعَلتَ» بمعنى «هل فَعَلتَ» فيبدل الهاء إلى همز، وكذلك يقول بعضهم «لِهَنَّكَ» يعني «لِأَنَّكَ» فيبدل الهمزة هاءً.

وهذا الابدال على قسمين: ابدال لا إشكال فيه لأن الابدال فيه ظاهر ولم تجئ الكلمة على الأصل وإنما جاءت نتيجة لظاهرة الابدال الصورة. والقسم الثاني هو الابدال المشكل وسنبحث فيه بشكل موسع لأنه يحدث فيه خلق المعاني، ومثاله كلمة «آل» = «أهل» فهل هي بالأصل «آل» أم أنّ أصلها «أهل» وقلبت الهاء إلى همز ؟ وكذلك كلمة «تدرأ» فهل هي بالأصل أم أن الأصل «تدره» وقلبت الهاء إلى همز ؟

ابن جني ذكر بأن كلمة «آل» هي مبدلة من كلمة «أهل» وهذا الابدال يقول فيه: أنّ كلمة «أهل» فيها ثلاثة أحرف فابدلت هذه الهاء إلى همزة فأصبحت همزتان ولكن لتلاقي هاتين الهمزتين فقلبت الهمزة ألفاً فأصبحت «آل»، وابن جني يقيم الدليل على أن هذه الهمزة قُلبت من الهاء، فيستشهد بآيات من القرآن الكريم وأبيات شعرية من كلام العرب.

يقول ابن جني: «ومن ذلك قولهم «آل» كقولنا: آل الله، وآل رسوله، إنما أصلها «أَهْل»، ثم ابدلت الهاء همزة فصارت بالتقدير «أَأْل»، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل آمَن وآزَر. فإن قيل: ولِمَ زعمت أنهم قلبوا الهاء همزة، ثم قلبوها ألفاً فيما بعد، ولماذا أنكرت من أن يكونوا قلبوا الهاء ألفاً في أول الحال ؟

فالجواب: أن الهاء لم تقلب ألفاً في غير هذا الموضع، فيقاس هذا هنا عليه، وإنما تقلب الهاء همزة في «ماء»، فعلى هذا أبدلت الهاء همزة، ثم أبدلت الهمزة ألفاً»[1].

وتوضيح ما قاله ابن جني: أنّه لا يوجد نظير في اللغة العربية على هذا القياس، أي أنّ العرب تقلب الهاء إلى ألف، ولذلك يصرّ ابن جني على أنّ الألف في «آل» منقلبة عن الهمزة والهمزة منقلبة عن الهاء لأنّ الهاء تُقلب إلى همزة لها نضير، وأما الهاء تُقلب إلى ألف فليس لها نظير، كان هذا الدليل الأول.

وأما الدليل الثاني فيقول: لو كان الألف في «آل» منقلبة عن الهاء وليست منقلبة عن همزة لجاز استعمال آل في كل موضع يُستعمل فيه كلمة «أهل»، بينما كلمة «آل» استعملت في الأخص والأشرف، فنص كلامه: «فلما كانوا يختصون بالآل الأشرف الأخصّ دون الشائع الأعم، حتى لا يُقال إلا في نحو قولهم: القرّاءُ آل الله، واللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمد، ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤمِنٌ مِّن آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمَانَهُ** ﴾[2]»[3].

طبعاً هناك مناقشة في كلام ابن جني: أولاً أنّ الشرف هو للمضاف إليه وليس للمضاف فكلمة «آل» أو «أهل» كلاهما عندما نضيفهما إلى الله تعالى أو إلى رسوله «آل الله أو آل رسوله» فالشرف يكون لله تعالى والشرف يكون للرسول (ص) وشرف «آل» من شرف رسوله فمعنى الأشرف يشمل كلمة «الأهل» وكلمة «الآل» فلا يختص بكلمة «الآل».

أما بالنسبة للآية التي استدل بها ابن جني ﴿ **آلِ فِرعَونَ** ﴾ قد يكون الأشرف من آل فرعون وهنا فرعون ليس شرفاً له أن يُنسب له «الآل». هذا بالنسبة لاستدلاله بالأشرف.

وأما استدلاله بالشائع فإنّ ابن جني يريد أن يقول بأنّ هناك فرقاً بين استعمال «آل» واستعمال «أهل»، وهذا الابدال في اللغة ليس له علاقة فيما يذكره ابن جني لأنّ كلمة أهل قد أُستعملت في موارد وكلمة «آل» استعملت في موارد، فأحياناً تأتي كلمة «آل» مساوية لكلمة «أهل» في الاستعمال وأحياناً تأتي كلمة «أهل» مساوية لكلمة «آل»، وقد يختلفا في الاستعمال

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٢) غافر، ٢٨.

(٣) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ١٠٢.

كما أنّ بعض الكلمات قد أبدلتها العرب، ولا دليل أو قياس لابد أن تستعملها بكل ما استعملت المبدل منه، وهذا أيضاً ليس دليلاً لابن جني. حيث إنّ كلمة «آل» وردت في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعاً، واستعملت كلمة «آل» يُراد بها مرّة ذرية ولم تستعمل كلمة «آل» كمعنى الزوجة، حيث أن كلمة «أهل» استعملت للزوجة في قوله تعالى: ﴿ **مَا جَزَاء مَن أَرَادَ بِأَهلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسجَنَ أَو عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1]، والمقصود بـ«أهل» هنا الزوجة بينما لم ترد في القرآن الكريم كلمة «آل» بمعنى الزوجة ولم يسمع من العرب «ما أراد بآلك» ويقصد الزوجة.

والأمر الآخر أن الكلمات التي أستُعمل فيها «أهل» بالقرآن الكريم أيضاً لم يرد عن العرب ولم نسمع في الحديث النبوي الشريف أو أحاديث المعصومين (ع) أو القرآن الكريم بأنّه وردت استعمال كلمة «أهل» في هذه المواضع التي سأذكرها بمعنى «آل» فمثلاً قوله تعالى: ﴿ **فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لاَ تَعلَمُونَ** ﴾[2]، فلم نسمع «آل الذكر»، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرَى آمَنُوا** ﴾[3]، و﴿ **أَهلِ الكِتَابِ** ﴾[4]، فلم نسمع «آل القرى» أو «آل الكتاب»، وعليه فهناك اختلاف بين استعمال «آل» وبين «أهل».

وحتى لو كانت مبدلة فليست دليلاً على أنّه كلّما صحّ استعمال «أهل» يصح استعمال «آل» كما يقول ابن جني. فهناك مثلاً قوله تعالى: ﴿ **وَإِذ نَجَّينَاكُم مِّن آلِ فِرعَونَ** ﴾[5]، وكذلك ﴿ **وَأَغرَقنَا آلَ فِرعَونَ وَأَنتُم تَنظُرُونَ** ﴾[6]، فآل فرعون هم أقارب فرعون، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَد جَاء آلَ فِرعَونَ النُّذُرُ** ﴾[7]، فالنذر لأقارب وقوم فرعون، وهكذا في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤمِنٌ مِّن آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمَانَهُ** ﴾[8] ففي بعض الأخبار أن هذا الرجل هو من أقارب فرعون.

---

(١) يوسف، ٢٥.

(٢) النحل، ٤٣.

(٣) الأعراف، ٩٦.

(٤) البقرة، ١٠٥.

(٥) البقرة، ٤٩.

(٦) البقرة، ٥٠.

(٧) القمر، ٤١.

(٨) غافر، ٢٨.

أما ما أستُعمل من «آل» الممدوحين في القرآن الكريم فكلها جاءت فعلاً بمعنى الشرف والرفعة كما قال ابن جني لأنها جاءت في الآيات: ﴿ **آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ** ﴾[1]، ﴿ **سَلامٌ عَلَى آل يَاسِينَ** ﴾[2]، ﴿ **إِنَّ اللهَ اصطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبرَاهِيمَ وَآلَ عِمرَانَ** ﴾[3]، ﴿ **يُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ وَعَلَى آلِ يَعقُوبَ** ﴾[4]، ﴿ **إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُم أَجمَعِينَ** ﴾[5]، فقد جاءت في ١٢ موضعاً من القرآن الكريم وكلها تشريف وتكريم للآل لأنّها نُسبت إلى آل الأنبياء.

فكلمة «آل» لا يُقصد بها الأتباع وإنما يُقصد بها الذرية على وجه الخصوص، فما يشاع عن الألسن من أنّ «آل» يقصد بها الأتباع هذا أمر غير صحيح فكلمة «آل» تختص بالذرية ولا يصحّ أن تأتي بمعنى الأتباع وهذا ما استعمله القرآن الكريم، فلم ترد كلمة «آل» إلا بمعنى الذرية حتى قوله تعالى ﴿ **آلِ فِرعَونَ** ﴾ ليس بالضرورة أن يكون المقصود أتباع فرعون فهذا يأتي من دليل خارجي، وإنما الأصل يُراد بها قومه وأقاربه.

وهكذا في قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُم أَجمَعِينَ ۞ إِلاَّ امرَأَتَهُ قَدَّرنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغَابِرِينَ** ﴾[6]، فمَن قال بأن زوجة لوط ليست من آله فربما هي من قومه وهو الأرجح لأنّ العشائر كانت تسكن في مكان واحد وكلها من أب واحد، فبالأصل هناك استعمال حقيقي لكلمة «آل» ولم يرد في القرآن الكريم استعمال كلمة «آل» بالمعنى.

أما كلمة «أهل» فهناك استعمالات لكلمة «أهل» في القرآن الكريم بمعنى الأهل على الوجه الحقيقي على وجه الذرية والقرابة والقوم، وهناك استعمالات مجازية فجاءت أهل بمعنى صاحب وبمعنى أصحاب في قوله تعالى: ﴿ **وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرَى آمَنُوا** ﴾، و﴿ **أَهلِ الكِتَابِ** ﴾، وكذلك جاءت ﴿ **رَحمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيكُم أَهلَ البَيتِ** ﴾[7] وهي مختصة بآل الرسول (ص)

---

(١) البقرة، ٢٤٨.

(٢) الصافات، ١٣٠.

(٣) آل عمران، ٣٣.

(٤) يوسف، ٦.

(٥) الحجر، ٥٩.

(٦) الحجر، ٥٩ و٦٠.

(٧) هود، ٧٣.

ولا يصح أن يدخل في هذه النسبة غيرهم، ولكن يصح استعمال أهل بمعنى الزوجة، ولكن لم يرد كلمة «آل» بمعنى المجاز فمثلاً «آل الكتاب» و«آل الذكر».

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيراً** ﴾[1]، وهنا كما صحّ في أخبار الفريقين أن سبب نزول الآية مختصّ بخمسة وهم – كما في صحيح مسلم وغيره من الصحاح – محمد (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

هناك ردود على ابن جني كيف يقول بأن «آل» استُعملت بالمعنى الأخص الأشرف ؟ وهناك مَن يردّ عليه من بعض اللغويين بأن «آل» تُستعمل بالأعم والأتباع ولم يرد دليل قطعي على أنّ «آل» تُستعمل في الأتباع أو استُعملت في المعنى المجازي.

وكما ترى فإنّ رأي ابن جني في كلمة «آل» هو الأرجح في استدلاله على هذا الابدال، وعليه لا يصحّ أن نقول بأن كلمة «آل» ليست مبدلة وإنما هي فعلاً مبدلة من «أهل» ولكن ورد لها استعمال خاص في القرآن الكريم.

وأما كلمتا «تدرأ» و«تدره» فهناك أبيات من الشعر وردت في لسان العرب، فقال الشاعر: دَرَهْتَ على فُرّاطها فدهمتهم بأخطار موتٍ يلتهِمنَ سِجالَها

فقال «درهتَ» والأصل «درأتَ» فأُبدلت الهمزة إلى هاء، وهكذا في قول الشاعر:

أعطى، وأطراف العوالي تنوشه من القوم ما ذو تُدره القوم مانعه

فقوله «تُدره القوم» يقصد «تُدرأ القوم» وهنا أبدل الشاعر الهمزة إلى الهاء، ويمكن أن نقول في هذه أنّها ليست مبدلة لأنّه أيضاً لم ترد أينما جاءت كلمة «تُدرأ» تُستعمل كلمة «تُدره» وإنما يمكن أن يُقال عنه من الذي يُحفظ ولا يُقاس عليه، وقد يكون لغتان للعرب لغة «تدرأ» وأخرى «تدره» فحينئذ لا يصحّ الابدال أو قد يكون شذوذاً أو نادراً لا يُقاس عليه.

إنّ الميل إلى إخفاء الهمزة واضعافها في النطق جعلهم يقلبونها هاءاً لتداني مخرجي الهمزة والهاء، وقبيلة طي من القبائل المتوغلة في البداوة فكانت تقلب الهمزة هاءاً، علماً أن الحرف المهموس يحتاج إلى جهد أكبر في النطق من الحرف المجهور لأنّ الحرف المهموس

---

(١) الأحزاب، ٣٣.

يحتاج إلى هواء أكثر من الرئتين بينما الحرف المجهور ينحبس الهواء ثم ينفجر رأساً ويتم النطق بالحرف.

ومع هذا نجد في هذه الموارد التي سنذكرها من الشعر وما رُوي عن العرب أنّ الهمزة قُلبت إلى هاء مع أنّ الهاء حرف مهتوت ضعيف ولكن مع ذلك قُلبت هذه الهمزة إلى الهاء. ومن الأشعار التي وردت في هذا الباب قول الشاعر:

فَهَيّاكَ وَالأَمرَ الَّذي إِن تَوَسَّعَت  مَوارِدُهُ ضاقَت عَلَيكَ مَصادِرُه

محل الشاهد هنا «هَياكَ» فالأصل في كلام العرب أن يقول «إِيّاكَ» ولكن الشاعر لأنّه من هذه القبيلة (طي) التي تقلب الهمزة إلى هاء فقال «هيّاكَ»، ونفس هذه القبيلة تقلب إن الشرطية إلى هاء فتقول «هِن فعلتَ فعلتُ» فهم يقلبون الهمزة في «إِن» إلى هاء. وكذلك في قول الشاعر:  ألا يا سَنا برق على قلل الحمى  لَهِنَّكَ مِن بَرقٍ علي كريم

ومحل الشاهد هو «لَهِنَّكَ» فيقلب الهمزة «أَنَّ» إلى هاء، والشواهد كثيرة على هذا الباب لذلك تُعد في اللغة وفي علم الأصوات من القضايا المتفق عليها، والتي يُقاس عليها أحياناً في هذه القبائل وليس في عامة العرب. كذلك في قول الشاعر:

فانصرفَتْ وهي حصان مغضبه  ورفعت بصوتها هيا أبَه

فمحل الشاهد هنا في قول الشاعر «هيا أبه» فيريد الشاعر أن يقول «أيا أبه» فقلب الهمزة إلى الهاء فصارت «هيا». وهناك شاهد آخر على هذه المسألة وهي قول الشاعر:

وأتت صواحبها فقلن هَذَا الّذي  منح المودّة غيرنا وجفانا

إنّ هناك بعض الحركات تتغير عندما يقلب العرب الحرف إلى حرف آخر، فبعد ما قال «هذا الذي» فيريد أن يقول «إذا الذي» فبدل أن يكسر الهمزة فيقول «إذا» ولكن ما بعدها مفتوحة فيصبح صعباً الانتقال من الكسر إلى الفتح مباشرة فأبدل الهمزة إلى هاء ثم فتحها فقال «هَذَا الذي».

وعلّق ابن السكّيت في قول الشاعر:

فانصرفَتْ وهي حصان مغضبه  ورفعت بصوتها هيا أبَه

«قال ابن السكّيت: «يريد أيا أبَه» ثم أبدل الهمزة هاء»[١]، وقد علّل ابن جني[٢] القول بالإبدال هنا بأنّ «أيا» في النداء أكثر من «هيا»، فمشهور حتى عند عامة العرب استعمال «أيا» أكثر من «هيا».

- ابدال ما بين الهاء والألف

هناك أبيات من الشعر كشواهد وكذلك من كلام العرب على هذه القاعدة، فمن الشواهد الشعرية قول الشاعر: من بعدما وبعد ما وبعد مت صارت نفوس القوم عند الغلصمت

وأيضاً قول الشاعر: قد وردت من أمْكنَه من هنا ومِن هُنَه

إنْ لَم أُرَوِّها فَمَه

ففي البيت الأول «وبعد مت» فالأصل فيه «وبعد ما» فقلب الألف إلى هاء ثم قلب الهاء إلى تاء وكذلك «عند الغلصمت» فالمفروض أن تكون «الغلصمه» ولكن الشاعر قلبها إلى تاء لتوافق قوافي باقي القصيدة باعتبار أنّ القصيدة تائية.

وهذا ليس جديداً في الكلام العربي، حيث أنّ هناك الكثير من الكلمات مثل «رُبَّ» وعند الوقف يقفون على الهاء فتصبح «رُبَّه»، وكذلك في «ثَمَّ» فأيضاً تُختم بالهاء وأحياناً تُقلب هذه الهاء إلى تاء فيقال مثلاً «رُبَّت» و«ثَمَّت»، وهذا ليس جديداً حيث أنّه ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **هَلَكَ عَنِّي سُلطَانِيَه** ﴾[٣]، ﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه** ﴾[٤]، ﴿ **وَلَم أَدرِ مَا حِسَابِيَه** ﴾[٥]، فالأصل فيه سلطاني، مالي، حسابي، ولكن أُغلِقَ المقطع الصوتي بهذه الهاء لأنّ العرب تقف على ساكن.

وكذلك في البيت الثاني «هُنَه» فهي في الأصل «هنا» ولكن الشاعر قلب الألف إلى هاء لكيلا يختلّ الوزن في الشعر، وهذه الهاء ليست هاء السكت والتي نتكلم عليها وإنما هي

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٥٥٤.

(٢) راجع المصدر السابق، ص ٥٤٤.

(٣) الحاقة، ٢٩.

(٤) الحاقة، ٢٨.

(٥) الحاقة، ٢٦.

هاء مبدلة من الألف، ولابد أن نفرّق بين هذه الهاء التي يُراد بها السكت كما في الآيات القرآنية المذكورة سابقاً، وأما هذه الهاء في الأبيات الشعرية هي التي نقصد بها الابدال.

فلو سُئلنا ما الفرق بين الهاء في هذا البيت وبين الهاء في قوله تعالى: ﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه** ﴾ ؟ إن الهاء في الآية الكريمة ليست مبدلة لأن أصل الكلمة «مالي»، وأما الهاء في «هُنَه» فهي مبدلة من الألف، فلابد من التفريق بين الهائين.

وهكذا في شطر البيت «إنْ لَم أُرَوِّها فَمَه» فالأصل «فَما» فأبدل الألف هاءً. ابن جني يعلّق على هذه الأبيات: «يريد: من هنا، فأبدل في الوقف هاء، فقال: من هنه. فأما قوله: فمه، فالهاء فيه تحتمل تأويلين: أحدهما: أنه أراد: فما أي إن لم أرو هذه الإبل الواردة من هنا ومن هنا فما ؟ أي فما أصنع ؟ منكراً على نفسه ألا يرويها، فحذف الفعل الناصب لما التي للاستفهام.

والوجه الآخر: أن يكون أراد: إن لم أروه فمه، أي فاكفف عني، فلست بشيء ينتفع به، وكأن التفسير الأول أقوى في نفسي، فصار التقدير على هذا: من بعدما، وبعدما، وبعدمه، ثم إنه أبدل الهاء تاء، لتوافق بقية القوافي التي تليها ولا تختلف ... – إلى أن يقول: –

فأما قولهم في الوقف على «أنَ فَعلتُ: أنا وأَنَهْ» فالوجه أن تكون الهاء في «أَنَهْ» بدلاً من الألف في «أنا» لأن الأكثر في الاستعمال إنما هو «أنا» بالألف، والهاء قليلة جدّاً فهي بدل من الألف. ويجوز أن تكون الهاء أيضاً في «أَنَهْ» ألحقت لبيان الحركة، كما ألحقت الألف، ولا تكون بدلاً منها بل قائمة بنفسها كالتي في قوله تعالى: ﴿ **كِتَابِيه** ﴾[١] و ﴿ **حِسَابِيه** ﴾[٢] و ﴿ **سُلطَانِيه** ﴾[٣] و ﴿ **مَالِيه** ﴾[٤] و ﴿ **مَا هِيَه** ﴾[٥] و ﴿ **لَم يَتَسَنَّه** ﴾[٦]»[٧].

---

(١) الحاقة، ٢٥.

(٢) الحاقة، ٢٠.

(٣) الحاقة، ٢٩.

(٤) الحاقة، ٢٨.

(٥) القارعة، ١٠.

(٦) البقرة، ٥٩.

(٧) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٥٥٥.

والفائدة التي جاء بها هنا أنّ وجود الهاء تكون لفائدتين: الأولى التخلص من المقطع المفتوح في الوقف كي لا يُنهي الكلام بمقطع مفتوح وهو الألف المفتوحة الطويلة. والثاني لبيان الحركة قبلها في السكت لأن الفتحة التي قبل الألف وهي النون المفتوحة.

وأما الآيات التي ذكرها ابن جني ففيها معنى آخر زيادة على هاتين الفائدتين، فهذه الهاء في الآيات المذكورة تعطينا معنى جديداً وفائدة أخرى وهي بيان التحسّر، أي بيان الحسرة في هذه الهاء عندما تُختم الكلمة بهذه الهاء.

- ابدال ما بين العين والحاء

وهذا الابدال لم يرد فيه أمور كثيرة، فأكثر ما شاع في هذا المورد في قبيلة هُذيل التي كانت تقلب الحاء إلى عين فيقولون بدل «حَتّى» «عَتّى»، حتى نُسب إليهم في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى حِينٍ** ﴾[1] فيقرأونها «عَتّى حِين».

وابن جني قد ذكر موارد أخرى لقلب الحاء إلى عين فقال: «العرب تُبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج كقولهم: «بُحثِرَ ما في القُبُور» أي بُعثِرَ وضَبعَت الخيل أي ضبحت، وهو يُحَنْظي ويُعنْظِي: إذا جاء بالكلام الفاحش، فعلى هذا يكون عتى وحتى؛ لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً، وهذا الآخر جائز وغير خطأ»[2].

- ابدال ما بين الغين والخاء

وهذا أيضاً قليل الموارد مثل قولهم «خَطَرَ، يَخطُرُ» فيقولون «غَطَرَ يَغطُرُ» فيبدلون الغين إلى خاء.

سادساً: ابدال ما بين الجيم والياء

إن الحروف الجيم والشين والياء هناك ابدال فيها بين العرب، فهنا ابدال بين الجيم والشين، فهل هو ابدال أم أنّه ورد على الأصل ؟ فمثلاً يقولون – في جنوب العراق مثلاً –

---

(١) يوسف، ٣٥.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، دار سركين للطباعة والنشر، اسطانبول – تركيا، ١٩٨٦، ج١/ ص ٣٤٣.

«رجاجيل» بينما في بعض مناطق بغداد يقولون «رياجيل» أو بعض مدن الخليج فيبدلون كلمة «دجاجة» إلى «دياية» فهل هو بالأصل أم هناك ابدال ؟ وشواهد عن هذا الابدال في كتاب سيبويه، «وحدّثني مَن سمعهم يقولون:

خالي عُوَيفٌ وأبو عَلجِّ المُطعِمانِ الشَّحمَ بالعَشجِّ

وبِالــغَـداةِ فِـلَـقَ البَرْنِجِّ

يُريد: بالعَشِيِّ، والبَرْنِيِّ. فزعم أنّهم أنشدوه هكذا»[١].

الكلمات هنا التي هي محل البدل قول الشاعر «بالعَشِجِّ» هو يريد أن يقول «بالعَشِيِّ» فقلب الياء المشددة إلى جيم، وكذلك كلمة «البَرْنِجِّ» فأصلها «البَرْنِيِّ» فقلب الياء إلى جيم.

وأما ابن جني فيعلّق على هذه الأبيات فيقول:« **أنشدني رجل من أهل البادية، وقرأتها عليه في الكتاب**[٢]:

عَمّي عُوَيفٌ وأبو عَلِجِّ المُطعِمانِ الشَّحمَ بالعَشِجِّ

وبِالـغَـداةِ فِـلَـقَ البَرْنِجِّ تُقلَعُ بالوَدِّ وبالـصِّيـصَـجِّ

يريد: أبو علي، وبالعشي، وبالصيصية، وهي قرن البقرة. قال: وقال أبو عمرو ابن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت ؟ فقال: فقيمج. قال: قلت: من أيهم ؟ قال: مرج، يريد: فقيمي، ومري. وأنشد لهيمان بن قحافة السعدي: يُطير عنها الوبرَ الصُّهابِجا

يريد الصهابي، من الصهبة. وقال يعقوب: بعض العرب إذا شدّد الياء جعلها جيماً. وأنشد عن ابن الأعرابي: كأنّ في أذنابهنّ الشَّوَلِ مِن عَبَسِ الصَّيفِ قُرونَ الإجَّلِ

يريد: الأيل. قال: وأنشد الفراء:

لا هُمَّ إنْ كُنتَ قَبِلتَ حُجَّتِج فَلا يَزال شاحِجٌ يَأتِيكَ بِجْ

أقمَرُ نَهّاتٌ يُنَـزِي وَفَرْتَـج

ويروى: شامخ، يعني بعيراً مستكبراً»[٣].

فأراد أن يقول «حُجَّتي» فقال «حِجَّتِج» وكذلك أراد أن يقولي «بي» فقال «بِجْ».

---

(١) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٤/ ص ١٨٢.

(٢) يقصد به كتاب سيبويه.

(٣) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ١٧٥ – ١٧٧.

إنّ هذا النوع من القلب يُنسب إلى قبائل، فالقلب ما بين الياء والجيم وهناك القلب بين الكاف والشين كما هو في اللهجة العامية في جنوب العراق ووسطه وكذلك بعض دول الخليج فبدلاً من القول «السلام عليكِ» للمؤنث فيقولون «السلام عليچ» وتدعى «الكشكشة»، وأما قلب الحاء إلى عين فتسمى «العنعنة»، وهذا القلب الذي مرّ علينا (قلب الياء إلى جيم) فيسمى «العجعجة»، فيقولون عجعجة قضاعة الذين يحوّلون الياء جيماً مع العين فيقولون مثلاً «هذا راعج خرج معج» ويعنون به «هذا راعي خرج معي». وأما الكشكشة والعنعنة فهي معروفة عند قبيلة هُذيل.

ونتساءل ماهو السبب الذي أدى إلى هذا القلب ؟ علماً أن القبائل البدوية تميل إلى التشديد في القلب للتخلص من بعض الحركات الصوتية وتوالي الحركات في الياء وإنّهم لا يريدون أن يقفوا على الأصوات الطوية كالياء أو الألف فيقلبونها إلى حرف ساكن وهو أسهل عليهم في اللفظ.

هناك رأيان بخصوص قلب الجيم إلى ياء ففي قولنا مثلاً «شَجَر» فبعض العرب يقولون «شِيَرَ» وهناك فرقٌ بين هذين النطقين، أولاً الجيم يقلبونها إلى ياء والشين يكسرونها فلا يقولون «شَيَرَ» وعندما يصغرونها حيث أن الأصل في التصغير أن يرجعوا الكلمة إلى أصلها فمثلاً كلمة «الشمس» وتصغيرها «شُميسة» لأن الأصل في الكلمة «شمسة» هو التأنيث المجازي ولها تاء التأنيث، وكما في كلمة «باب» فيرجع إلى الواو وهو الأصل فيكون تصغير الباب «بُويب»، وهكذا في كلمة «عين» فترجع إلى الأصل فنقول في تصغيرها «عُيينة».

فلماذا بالنسبة إلى كلمة «شِيَر» لم يرجعوها إلى الأصل ؟ وهو دليل الذي يقولون بأنّ «شِيَرَ» هي على الأصل وليست مبدلة من «شَجَرَ»، فهؤلاء القبائل عندما يصغّرون «شِيَرَ» يقولون «شِيَيْرَة». فمَن ذهب إلى أنّ «شِيَرَ» هي على الأصل وليست مبدلة من الجيم قال بهذين الدليلين: أولاً أن العرب كسرت الشين ولم تُبقي الشين مفتوحة وثانياً أنّ هذه القبيلة العربية لم تُرجع هذه الياء إلى أصلها، فهذان الدليلان على الرأي الأول الذي يقول بأنّ «شَجَرَ» أصلٌ و«شِيَرَ» أصل وليست الياء مبدلة من الجيم.

ولكن هناك شواهد تدلّ على أن الذي حصل هو ابدال ولم يأتِ على الأصل، وهناك أدلة على ذلك، الدليل الأول هو قول الشاعر: «تحسبه بين الأكام شِيَرا»

فمحل الشاهد هو كلمة «شِيَرا»، وكذلك قول الشاعرة (أم الهيثم):

إذا لم يكن فيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنًى  فأبْعَدَكُنَّ الله من شِيرَاتِ

فجمعت كلمة «شِيَرَ» على «شِيَرات»، وعندما سُئلت أم الهيثم عن تصغير كلمة «شِيَرَ» فقالت: «شِيَيْرَة»، أي أنّها أبقتها على الأصل، وهذا دليل من الأدلة القوية على أنّما حصل هو ابدال ولم يكن على الأصل، لماذا ؟

لأنّ المصغّر عندما نصغّر الاسم فنرجع بالكلمة إلى الأصل فإذا كانت الياء مقلوبة من الجيم فلابد بالتصغير أن تكون «شُجَيرَة»، ثم الاشكال يرد في وجود الكسرة تحت الشين، فمن المعارضين لهذا الابدال أنّه لو كانت الجيم منقلبة إلى ياء لقلنا «شَيَرَ»، ولم نقل «شِيَرَ» فلماذا وجود هذا الكسر ؟

نقول أنّ هذا الكسر موجود في كثير من الكلمات وسنأتي بأمثلة على هذا، أي أنّ مع الابدال يحصل تغيير في بعض الحركات، فلا يكون دليلاً على أنّ الجيم لم تنقلب إلى ياء.

والجمع أيضاً في كلمة «شِيَرَ» جُمعت على «شِيَرات» وبالتصغير قالوا «شِيَيْرَة» ولم يقولوا «شُجَيرَة»، هذا يدل على الابدال لأن التصغير لابد أن نرجع فيه إلى الأصل، فمثلاً عندما نقول «شمس» فهو مؤنث مجازي فعند التصغير نقول «شُميسة» فنرجع إلى تاء التأنيث الدالة على التأنيث المجازي، وكذلك كلمة «باب» وفيها الألف وعندما نُصغرها نرجع إلى الأصل فنقول «بُوَيب».

إذاً هنا أدلة على أنّ ما حصل هو ابدال وليس من باب أنّه جاء على الأصل، وأم الهيثم سألها أبو حاتم اللغوي عن تصغير كلمة «شِيَرَ» فقالت: «شِيَيْرَة»، أي أنّها لم تُرجع الياء إلى الأصل وتقول «شُجَيرة».

الاستدلال بالحركات أنّه بتغيير الحركات حيث أنّه من الاستدلالات القوية على أنّ مثل هذه الكلمات جاءت على الابدال وليست على الأصل، وهناك كلمات أبدل فيها بعض الحروف

وأبدل فيها بعض الحركات. والجميع يُقر في أنّ هذا إنما حصل هو ابدال وليس من باب أنّه جاء على الأصل، من هذه الكلمات كلمة «مَبِيع» اسم المفعول لكلمة «بَاعَ» حيث أن اسم المفعول على الثلاثي يأتي على «مفعول» فمثلاً «كَتَبَ: مَكْتُوب» فكلمة «باع» المفروض أن نقول «مَبيُوع» ولكن المستعمل والفصيح باللغة العربية «مَبِيع» فكيف حصل هذا الابدال الذي هو اسم المفعول وهو أجوف يائي ؟

لو جعلوا هذه الفتحة كسرة لقلبت إلى ياء ولو أبقوها ضمة لقلبت إلى الواو، فإذا صارت ياءاً فالياء تقلب ألفاً وإذا صارت واواً فيصير التباس ما بين أصله يائي وما أصله واواً، فتخلصاً من هذا اللبس فقالوا «مَبْيُع» فضموا الياء فصارت «مَبيُع» ثم حصل هذا الابدال بالحركة فصارت «مَبُيْع» ولكن هذا ثقيل على اللسان فقالوا «مَبِيع».

فهذا التغيير بالحركات هو بالحقيقة يدلّ على أنّ ما يجري من التغييرات على الحركات أثناء الابدال عندما تُبدل الكلمة لا يرجع إلى الأصل وإنما يُستمر فيه على ما حصل فيه من التغيّر، والسبب في ذلك أنّه عندما غيّروا ضمة مفعول في هذا الأجوف اليائي إلى كسرة لأنّهم لو جعلوها فتحة لصارت الياء ألفاً ولو أبقوها ضمة لقُلبت واواً وإذا قُلبت واواً يحصل التباس ما بين ما أصله ياءاً وما بين ما أصله واواً.

والدليل الثاني ما فشى بين العربية في جنوب ووسط العراق وخاصة في الأرياف والقرى وفي المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية استعملوا في ابدال الجيم إلى ياء فبدلاً ما يقولون في اللغة العامية «اجه» (جاء) فيقولون «ايه» وكذلك بالنسبة لكلمة «دجاجة» فيقولون بالعامية «دايايه» وبدلاً من أن يقولوا «رجّال» فيقولون «ريّال» وحتى استُعملت في الجمع بلهجة بغداد فيقولوا «رياجيل» وبعضهم في الجنوب يقولون «رجاجيل».

فهذا الابدال من الجيم إلى ياء إنما له أصل في بعض القبائل، وهذا الابدال في «شَجَرَ» إلى «شِيَرَ» إنما ينسجم مع الأصل، فمع هذه التغيرات التزمت حتى في الجمع كلمة «ريّال» تُستعمل «رياجيل» فبقيت على الابدال.

والدليل الثالث على أنّ هذا هو ابدال ولم يأتِ على الأصل، أنّ البدل قد يُلتزم حتى لو غُيّر في الكلمة إلى الجمع أو إلى التصغير، وقد التزموا في كلمة «العيد» فعندما جمعوها

يقولون «أعياد» وإنما الأصل «عود» وجمعها «أعواد» ولكنهم عندما أبدلوا فقالوا «عيد» و«أعياد»، وكلامهم دليل على التزام بالتغيير حتى لو أرجع إلى كلمات كالجمع أو التصغيير.

وابن جنّي يعلّل هذا الابدال (ابدال الياء من الجيم) فيقول: «قالوا: ديجوج وديباج وأصله دياجيج فأبدلت الجيم الآخرة ياء وحذفت الياء قبلها تخفيفاً»[1]، فتقارب مخرجي الياء والجيم هو الّذي سوّغ الابدال إذ كلاهما يخرجان من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وكلاهما مجهور.

- ابدال الجيم شيناً

يوجد هناك شاهد واحد على هذا الابدال وهو قول الراجز: «إذ ذاك حَبلُ الوِصالِ مُدمَشُ» فالشاعر يريد أن يقول «مُدمَجُ» فأبدل الجيم إلى شين، وهذا الابدال فيه كلام، فقد يكون هذا الابدال على نحو الجيم التي تشبه الچيم الشامية كما يقولون «الچمهورية» كما في مناطق من الأردن وسوريا، فقد تكون ليست من الجيم المبدلة وإنما هي من الچيم الشامية وكُتبت بالشين تعبيراً عن ذلك النُطق، وهذه طبعاً من المشاكل الصوتية في اللغات، حيث أنّ بعض الحروف تُكتب وعند النطق يُنطق بها بشكل آخر. وبعضهم يقول بأن هذه الشين هي مبدلة من الجيم، ولا يوجد أدلة أكثر من هذا على هذا الابدال.

- الابدال ما بين التاء والدال

وهذا الابدال يُسمع ولا يُقاس عليه وإنما يُحفظ فقط على السمع، وما ورد من هذا السماع كلمة «اجتمعوا» فيقولون «اجدمعوا» فيبدلون تاء الافتعال إلى دال وكلمة «اجتزّ» يبدلونها إلى «اجدزّ»، قال الشاعر: فقلتُ لصاحبي لا تحبسانا بِنزعِ أصولِهِ واجدُزَّ شَيحَا

فبدلاً من قول «اجتزّ» قال الشاعر «اجدزّ»، وكذلك كلمة «تولج» يبدلونها إلى «دولج» و«قالوا: ناقة تربوت، وأصلها دربوت، وهي فعلوت من الدربة، أي هي مذللة»[2]. فهذه الكلمات التي فيها ابدال من التاء إلى الدال وواحدة من الدال إلى التاء فهذه تُحفظ ولا يُقاس عليها.

---

(١) ابن جني: سر صناعة الاعراب، مصدر سابق، ص ٧٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٧.

- الابدال ما بين الطاء والتاء

فيبدلون الطاء إلى تاء لتقارب مخرجيهما وهما متقاربان في نفس المخرج فبدل من كلمة «فسطاط» فيقولون «فستات» وهذه الكلمة معربة وأصلها من اللغة الفارسية، والفرس لا ينطقون بحرف الطاء وإنما ينطقونها بحرف التاء، فمثلاً كلمة «طَهران» فالفرس ينطقونها «تِهْران» ولكن العرب مثل هذا النطق صعب عليهم حيث يأتي الحرف المكسور ثم يأتي بعده حرف مهتوت وهو الهاء لضعفه فيرجعونها إلى الأصل فيقولون «طَهران».

المحدثون يعلّلون أنّ السين إذا نُطقت مفخّمة تقترب من الصاد، فكثير من القراءات يبدلون كلمة «السراط» من السين إلى الصاد فيقولون «صراط» وكلا القراءتين جائز في القرآن الكريم، فتكون هذه السين عندما تقترب من حرف الصاد عندما تُفخّم ينطقونها بالصاد، وإذا نُطقت سيناً خالصة أي إذا لم تُفخّم هذه السين مال اللسان إلى حرف أكثر مناسبة وهو التاء.

مثلاً عندما نريد أن نجرّب كلمة «فُستان» فلا نقول «فسطان» ولو نطقنا بالصاد فنقول «فصطان» ولا نقول «فصتان»، فهذا التقارب والسهولة في النطق على اللسان كلما تقارب مخرج الحرف ينجذب إلى الصوت الذي أقرب له بالحرف الذي يليه. فأسهل على اللسان أن نقول «فستان» بدل من قول «فسطان»، وأسهل أن نقول «فصطان» بدل من قول «فصتان».

وكذلك قولنا «اسطاع» أي استطاع و«يسطيع»، فنقلب الطاء إلى تاء فنقول «استاع» و«يستيعُ»، وقالوا بالأصل «فحصتُ برجلي» وبالابدال يقولون «فحصطُ برجلي» والسبب هو أن الصاد في النطق والسين المفخمة تُبدل فيها هذه التاء إلى طاء.

- الابدال ما بين السين والصاد والزاي

يصف ابن جني مخارج هذه الحروف فيقول: «ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين»[1].

إنّ قبيلة «كلب» تُقلب السين مع حرف القاف خاصة زاياً، فيقول ابن جني: «كلب تُقلب السين مع القاف خاصة زاياً، فيقولون في سقر: زقر، وفي ﴿ **مَسَّ سَقَرَ** ﴾[2]: مس زقر،

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) القمر، ٤٨.

وشاة زقعاء في صقعاء، ومثله من الصاد: ازدقي في اصدقي، وزدق في صدق. قال: ودع ذا الهوى قبل القلى ترك ذي الهوى  متين القوى خير من الصرم مزدرا يريد: مصدرا»[١].

وقال في موضع آخر: «وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء، جاز قلبها صاداً وذلك قوله تعالى ﴿ **كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ** ﴾[٢] يصاقون و﴿ **مَسَّ سَقَرَ** ﴾ صقر ﴿ **وَسَخَّرَ** ﴾[٣] وصخر، ﴿ **وَأَسبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُ** ﴾[٤] وأصبغ»[٥].

- ابدال ما بين الذال والثاء

يصف ابن جني في مخرجيهما: «مما بين اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[٦]. وقد ذكر ابن جني أنّه لا يوجد ابدال بين الحرفين وإنما هما لغتان حيث يقول: «كذلك قولهم: قرب حذحاذ، وحثحاث: إذا كان سريعا، وهو طلب الماء، ليس أحدهما بدلاً من صاحبه، ... وحذحاذ: من معنى الشيء الأحذ، ويقال: صريمة حذاء: إذا كانت ماضية، وحذحاذ وإن لم تكن من لفظ أحذ، فإنها قريبة منه»[٧].

- ابدال ما بين الظاء والذال

وحيث أن مخرجهما واحد لذا حصل الابدال بينهما، فيقول ابن جني في هذه الظاهرة: «يُقال: تركته وقيذاً، وقيظاً. والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال لقوله عز اسمه: ﴿ **وَالمَوقُوذَةُ** ﴾[٨] بالذال ولقولهم: وقذه يقذه، ولم أسمع وقظه، ولا موقوظه، فالذال إذن أعم تصرفاً، فلذلك قضينا بأنها هي الأصل»[٩].

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٢١١ – ٢١٢.

(٢) الأنفال، ٦.

(٣) الرعد، ٢.

(٤) لقمان، ٢٠.

(٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٧) المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٨) المائدة، ٣.

(٩) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٢٢٨.

**القسم الثاني: الابدال بين الحروف المتجاورة في المخرج الواحد**

- الابدال بين الهمزة والعين

يصف ابن جني في مخرجيهما: «من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء، ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء» [١]. فمثلاً بدلاً من أن يقولوا «أنّ» فيقلبوا الهمزة إلى العين فيقولوا «عنَّ»، وقد أكثر ابن جني الحديث في هذه الظاهرة وأنّه لا يوجد هناك ابدال وإنما لكل كلمة معناها، ولكن الدكتور النعيمي ردّ عليه فقال: «ولستُ أرى ضرورة لكل هذا التكلّف كي نُثبت عدم الابدال ثم ننتهي بالقول بأن الإبدال وجه ولكن ليس بالقوي. فمادامت الكلمات بمعنى واحد والحرفان من مخرج واحد وهو الحلق وقد وقع بينهما الابدال في «أن» و«عن» وما أشبه فإنّ من الأوفق القول بأنّه قد وقع ابدال العين همزة ولا بأس بأن يقال إنّ ذلك لم يكن بكثرة العكس ولكنه ابدال على أية حال»[٢].

- الابدال بين العين والغين

يقول ابن جني في وصف مخرجيهما: «ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء، ومما فوق ذلك من أول الفم مخرج الغين والخاء»[٣]، وكما هو الحال في كلمة «بغداد» فبعضهم يقرؤها «بعداد» وكذلك كلمة «لعني» أصلها «لغني»، فهناك كلمات قليلة جداً تُسمع ولا يقاس عليها، ولعلها قد تُنسب إلى قضية الخطأ اللغوي فلا يمكن القياس عليها وإن وردت روايات عن العرب ولكن لا يمكن القياس عليها.

- الابدال بين القاف والكاف

يقول ابن جني في وصف مخرجيهما: «من أقصى اللسان مخرج القاف، ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف»[٤]. فمن هذا الوصف إذن هما متجاوران في المخرج فما يتم بينهما من الابدال يكون من الحروف المتجاورة في المخرج. وردت كلمات في اللغة

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ١٣٩.

(٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٧.

العربية في الفصحى وفي غيرها ابدال بين حرفي القاف والكاف، ومن هذه الكلمات «كشط، قشط» وكذلك «أنتَكَ، أنتَقَ»[1]، وسُمّيت «مكة» لأنها تقع في وادي ينحدر إليها الماء ممّا حولها من المرتفعات فسُمّيت «مكة» لاجتماع المياه من حولها فكأنها مجمع لما ينحدر من السفوح على الجبال التي تحيط بمكة المكرمة. وبعضهم يذهب إلى أنّ كلمة «بكة» إنما هو للمكان الذي يزدحم فيه الناس، فكأنه «بكة» جزء من «مكة» وذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً** ﴾[2]، فهذا الابدال بين الكاف والقاف بعض القبائل العربية كبني تميم ينطقون بالقاف لأنهم يميلون إلى الشدة والجهر بالحروف والأصوات، بينما قريش تميل إلى اللين والهمس لأنّها قبيلة متحضرة وليست قبيلة بدوية كبني تميم وقبيلة بني أسد.

وهناك مَن يقول وهو رأي آخر في هذا الابدال: أنّ الكاف التي نسمعها من قريش أو القاف التي نسمعها من بني تميم وبني أسد ليست هي بالأصل هذا الصوت الذي نسمعه وإنما الأصل لهما – للكاف والقاف – هي الگاف الفارسية والهندية، فهذا الصوت الذي بين القاف والكاف يخرج صوت آخر وهو الگاف، وطبعاً لهذا الحرف ليس له صورة في اللغة العربية، فعندما يريد أن يقول باللهجة العامية العراقية «قال» يقول «گال» وهي كالگيم المصرية في اللهجة العامية كما في كلمة «جمل» فهم يقولون «گمل».

هذا الرأي يقول بأنّ هذا الصوت الذي هو حرف «الگاف» هو الأصل لهذين الحرفين القاف والكاف، فلا ابدال وإنما هو الأصل الأصيل من القبائل العربية اليمنية كانت تنطق بهذا الحرف على هذا الشكل ويستشهد بأبيات من الشعر على لهجتهم، فقال شاعرهم:

ولا أگول لگدر الگوم گد نضجت  جلودهم ولا أگول لباب الدار مگفول

وهنا في الكتب اللغوية التي أوردت هذا البيت يكتبونها بهذا الشكل، ولكن سأضع خطاً تحت كل حرفٍ سيختلف الصوت فيها، وهذه مشكلة في قضية الرموز التي ترمز بالأصوات:

ولا أگِول لگِدر الگِوم گِد نضجت  جلودهم ولا أگِول لباب الدار مگِفول

---

(١) إذا شرب الفصيل اللبن من ضرع أمه يُخرج صوتاً ما بين الشفتين والثدي عند مص الحليب، فهذا الصوت الذي يحدث قسم يقول عنه «أنتَكَ» وقسم آخر «أنتَقَ».

(٢) آل عمران، ٩٦.

فهذه الحروف هي قاف وينطقها اليمنيون – وإلى الآن طبعاً – فأنت تسمع لخطيب الجمعة في اليمن يخطب ويقول «گال رسول الله (ص)». فهذه القاف تُلفت نظرنا إلى العراقيين وبعض الشاميين من المناطق المجاورة للعراق وبعض العرب الذين يسكنون إيران من الجانب الشرقي من العراق فينطقون القاف بالگاف مثل «گال، گلت، يگول» وهناك كلمات كثيرة ينطقون فيها القاف گاف فمثلاً «رگي: رقي»، «شگّ: شقّ»، «صفگّ: صفقّ».

بعضهم يقول بأن هذه القاف في هذه الشعوب بأن اللحن بعد توسعة الرقعة الإسلامية ودخول غير العرب ففشى اللحن واختلطت اللغات فهؤلاء السكان العرب المجاورون للشعوب الفارسية والهندية والتركية اقتبسوا منهم هذا الصوت، ولم يكن في الأصل عند العرب. ولكن الحقيقة أنّ هذا الصوت موجود في هذه القبائل اليمنية التي أشرت إليها سابقاً.

وبعض يقول بأن «كشط» و«قشط» كل منهما أصل ولم يكن هناك ابدال، وهذا رأي آخر يحتاج إلى دليل لكي يثبت. وهناك أيضاً قضية بالنسبة إلى كلمة «بكة» و«مكة» فبعض اللغويين يقولون حول هذه الآية المباركة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيدِيَهُم عَنكُم وَأَيدِيَكُم عَنهُم بِبَطنِ مَكَّةَ** ﴾[1]، ومحل الشاهد كلمة «مكة» وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً** ﴾، احتمل القائل أن يقول أنّ البيت العتيق مكانه موضع كذا من مكة، مع العلم لا يوجد خلاف بين القرّاء في قراء «بكة» و«مكة» فكل يقرأ في موضعها كما هي، فلما ذُكرت هناك «بكة» وفي موضع آخر «مكة» ؟

إنّ القرآن الكريم دقيق جداً في استعمال الكلمات في موضعها، فيقول هذا القائل[2]: أنّ البيت العتيق مكانه موضع كذا من مكة ولكن عندما حُدّد بالموضع الذي يزدحم فيه الناس في الطواف انتفى احتمال القول إنما لم يكن في هذا المكان، وقد كان البيت قبل أن تكون «مكة» حيث أسكن نبي الله إبراهيم (ع) ذريته عند البيت ثم تكاثر الناس حوله فكانت البلدة، فيكون على هذا أن نقول أنّ «بكة» هي الأصل ويُراد بها الأرض التي يطوف الناس فيها مزدحمين حول البيت، ثم لما أرادوا تسمية البلدة أبدلوا الباء ميماً لتجاور المخرجين وليفرّقوا بين الكلمتين.

---

(١) الفتح، ٢٤.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ١٤١.

أبو علي اللغوي يرى أنّ هذا «مكّ الماء» أي مصه فكأنها لانخفاضها تمصه لأنّ البيت الحرام يقع في الوادي، فهذه آراء اللغويين في هذا المجال. فعلى هذا الرأي يكون «المك» مقابل «المق» وحينئذ يكون هناك ابدال بين «مكَّة» و«مقَّة». ونكتفي بهذا المقدار، وننتقل إلى حرفين آخرين متجاورين في المخرج.

- الابدال بين اللام والراء

والكلمات التي وردت في هذا الابدال لا يُقاس عليها وليست منتشرة بشكل كبير، وهي قليلة الاستعمال. ولكن لتقارب المخرجين بين الراء واللام قد يحدث في بعض الكلمات بعض الابدال حتى أنّ الأطفال أحياناً عندما تصعب عليه كلمة «راح» يقول: «لاح» لأنّه أسهل على اللسان لقُرب مخرج اللام من الراء.

يقول ابن جني عن مخرج اللام: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»[١]، وأما مخرج الراء: «ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»[٢].

فمخرج الراء قريب من مخرج اللام ولذلك يحصل هذا الابدال بين الحرفين، وذكروا بعض الكلمات وردت فيها الابدال بين اللام والراء، «قولهم: امرأة جَرَّبانَة وجَلَّبانَة إذا كانت صخابة»[٣].

وبعضهم قال بأن العرب لا يريدون هذا المعنى الذي ذكره ابن جني وإنما «جرَّبانة» من التجريب و«جلَّبانة» من الصخب والصوت العالي وهذان لغتان وليس اللام بدل الراء. ويأتي مثال آخر في قلب الراء إلى لام «قولهم في الدرع: نَثْرَة ونَثْلَة، فينبغي أن يكون الراء بدلا من اللام، لقولهم: نثل على درعه ولم يقولوا ثرها، فاللام أعم تصرفا فهي الأصل»[٤].

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٩٢.

- الابدال بين اللام والنون

لقد ورد وصف ابن جني في مخرج هذين الحرفين سابقاً فهما متجاوران في المخرج ومشتركان في طرف اللسان لأنّ كلا الحرفين يخرج من طرف اللسان ويشتركان أيضاً في صفة الجهر لأنّ كلا الحرفين مجهوران لأنهما من الحروف بين الشدة والرخاوة.

لقد ذُكرت هنالك كلمات ولكن أغلبها معرّبة وليست عربية، ولكن تمّ فيهما الابدال، وهذه الكلمات يبدو أنها فارسية الأصل وهي: «ومن ذلك سُكَّر طَبَرْزَل وطَبَرْزَن»[1].

والأصمعي ينقل هذه الكلمة ففي اللغة الفارسية تكون «تَبْرَ» بمعنى «فأس» فالطاء في اللغة العربية فنقول باللهجة العامية العراقية «طُبَر».

«فقد نقل في المعرب عن الأصمعي أن في الكلمة ثلاث لغات معربات، وذكر أنّ أصل الكلمة بالفارسية «تبرزد» كأنّه يُراد نُحت من نواحيه بفأس، والتبر الفأس بالفارسية، ومن ذلك الطبرزد من التمر لأنّ نخلته كأنما ضربت بالفاس.

ويبدو أن السكر المراد هنا هو ما كنّا نسميه في بغداد «كلّة القند، أو رأس القند» لأنّه يكون على شكل مخروط فكأنه نحت بفأس، ويكون قوياً متماسكاً لا يُكسر إلا بقوة، فكأنهم يريدون أن نحته أو كسره يكون بالفأس كناية عن قوة تماسكه.

ويلاحظ اجماع اللهجات الثلاث على ابدال التاء من تبر طاء، ثم اختلفت في الحرف الأخير، فبعض أقرّه دالاً وبعضهم جعله نوناً، وبعضهم جعله لاماً، ومادامت الكلمة معرّبة فإنّه يجوز أن يكون الذي أبقى الدال فيها أخذها عنه بعضهم فأبدل الدال لاماً، وبعضهم أبدلها نوناً، أو يكون الذي جاء بالكلمة باللام قد أخذها ممّن قالها بالنون فأبدل، ويجوز العكس أيضاً، ويجوز أن يكونوا جميعاً قد أخذوها مباشرة من الفارسية وتصرفوا فيها. أما التمر الطبرزد فقد جعلناه في لهجتنا العامية في بغداد: التبرزل بالتاء المكسورة واللام ولم نسمعهم يقولون تبرزد ولا تبرزن، فهل يمكن أن يوحي إلينا هذا ابدال النون من اللام في سكر تبرزن»[2].

---

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج٢/ ص ٨٢.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، مصدر سابق، ص ١٤٣ – ١٤٤.

«ومن ذلك قولهم: هتلت السماء وهتنت: هما أصلان ألا تراهما متساويين في التصرف يقولون: هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهتل تهتالا وهي سحائب هتن وهتل قال امرؤ القيس:

فسَحّتْ دموعي في الرداءِ كأنّها كُليّ من شَعِيبٍ ذات سَحٍّ وتَهتَانِ

وقال العجاج: عَزَّزَ منه وهو مُعطي الإسهال ضربُ السوارِي مَتْنَه بالتهتال»[1].

ومحل الشاهد «تَهتَانِ» وأصلها «تهتال» فأبدلت اللام إلى النون، هذا باختصار شديد ما ورد من الشواهد وهناك قولهم «هُتنت» و«هتلت» يعني من هطل وهتل فيقولون «سحائب هُطّل» و«سحائب هُتّل» وهناك أيضاً «سحائب هُتّن» فيكون هناك ابدال بين التاء والطاء وبين اللام والنون، ولكن كلمة «هُطّل» هي الأكثر في الاستعمال في اللغة العربية، لذلك الدارس للدراسات الصوتية يعتبر «هُتّل وهُتّن» هي مبدلة من الطاء ومن اللام في اللغة العربية.

وابن السكيت يقول «قال الأصمعي عبد الملك بن قريب يقال هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهتل تهتالا وهن سحائب هتن وهتل وهو فوق الهطل». فيعتبر ابن السكيت السحاب فوق الهطل، فعلى هذا لا يكون هناك ابدال إذا أعطيناً لكلمة «هُتّن» و«هُتّل» معاني فمعنى ذلك أنها خرجت عن الابدال.

القسم الثالث: الابدال بين الحروف المتقاربة في المخارج

- الابدال بين الثاء والفاء

كما في كلمة «الثوم» و«الفوم» فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَادعُ لَنَا رَبَّكَ يُخرِج لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرضُ مِن بَقلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا** ﴾[2]، فإنّ الفاء ابدلت من الثاء لتقارب هذين الحرفين في المخرج هو الذي سبّب ابدال الثاء إلى فاء.

ونورد هنا بعض الشواهد على ابدال هذين الحرفين كما في الكلمات التالية: «الجدف = الجدث» و«الأثاثي = الأثافي» و«ثناء الدار = فناء الدار» و«ثُمّ = فُمّ» و«عاثور = عافور» و«النثي = النفي» و«الثروغ = الفروغ»، ومن هذه الشواهد قوله: «وبلدة مرهوبة العافور» فمحل

(١) ابن جني: الخصائص، مصدر سابق، ج٢/ ص ٨٢ – ٨٣.

(٢) البقرة، ٦١.

الشاهد «العافور» هي بالأصل «العاثور» فابدلت الثاء بالفاء، وكذلك عندما يرجعون هذه الكلمة يقول ابن جني: «إذا وجدنا للفاء وجها نحملها فيه على أنها أصل لم يجز الحكم بكونها بدلا إلا على قبح وضعف تجويز. وذلك أنه قد يجوز أن يكون قولهم: وقعوا في عافور، فاعولا من العفر، لأن العفر من الشدة أيضاً، ولذلك قالوا: عفريت لشدته، ومثاله: فعليت منه، ويشهد لهذا قولهم: وقعنا في عفرة، أي اختلاط وشدة، وأما أفرة ففعلة، من أفر يأفر إذا وثب، وهذا أيضا معنى يليق بالشدة، لأن الوثوب والنزاء كثيراً ما يصحبان الشدة والبلاء، وإذا كان ذلك كذلك فليس ينبغي أن تحمل واحدة من الهمزة والعين في أفره وعفره على أنها بدل من أختها»[1].

- الابدال بين الكاف والشين

وهما من الحروف المتقاربة المخرج، يذكر ابن جني في مخرج هذين الحرفين: «من أقصى اللسان مخرج القاف، ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[2].

فالكاف والقاف هما من الحروف المتقاربة المخرج وقد وصف مخرجها كل من سيبويه وابن جني والزمخشري وغيرهم من اللغويين والنحويين. والابدال الذي يتم بين هذين الحرفين هناك خلاف فيه، فبعضهم لا يرى أنّ ما يتم ما بين الكاف والشين ابدالاً وإنما هو لغة من لغات القبائل، وبعضهم يقول إنما يُدعى فيه ابدال فإنّه بالحقيقة صوت من الأصوات كانت بين الكاف والشين وحصل اشتباه لدى الدارسين المتأخرين فظنّوه ابدالاً وهو بالحقيقة صوت مستقل.

الابدال بين الكاف والشين أو ما يُسمى في كتب المتقدمين كسيبويه وغيره «الكشكشة» كما هو في كشكشة ربيعة، والمقصود بها زيادة الشين بعد الكاف للخطاب المؤنث في حالة الوقف، فعندما نريد أن نُخاطب المؤنث فنقول مثلاً: «كِتابُكِ كبيرٌ أو ثمينٌ»، فقبيلة ربيعة التي هي من القبائل العربية تضع حرف الشين في حالة الوقف إذا وقفت على كلمة «كِتابُكِ» فتقول «كِتابُكش»، وهذه القبيلة تمتاز بهذا الوضع اللغوي، وهو الذي يُسمّونه «الكشكشة» فما الفائدة من ذلك ؟

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.

نحن عندما نُخاطب المذكر نقول له «كِتابُكَ ثمينٌ» فنفتح الكاف وعندما نخاطب المؤنث نكسر الكاف ولكن في حالة الوقف سوف نضع السكون على الكاف فلا يتبيّن لدى السامع هل أنّ المخاطب مذكر أم مؤنث حيث أنّ لكلا الجنسين نقول في حالة الوقف «كِتابُكْ» فلا نُفرّق ولا يتبيّن المذكر من المؤنث في هذه الحالة. هذه القبيلة عندما تخاطب المؤنث في حالة الوقف في كاف الخطاب تضع حرف الشين فتقول: «كِتابُكش» فتكون الشين لغرض التفريق بين المذكر والمؤنث. وأما بقية القبائل في حالة الوقف لا تضع شيئاً، علماً أن قبيلة ربيعة لا تضع هذه الشين في حالة الوصل وإنما تضعها فقط في حالة الوقف.

وهذه الظاهرة الصوتية نسبها سيبويه إلى بني تميم وبني أسد، وتكلّم عن هذه الظاهرة في كتابه وقال ابن جني: «ومعنى قوله كشكشة ربيعة، فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث إنكش ورأيتكش، وأعطيتكش. تفعل هذا في الوقف، فإذا وصلت أسقطت الشين»[١]. وفي موضع آخر قال ابن جني: «ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيناً، حرصا على البيان لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفي في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا، فقالوا: عليش ومنش، ومررت بش»[٢].

عبارة سيبويه يقول: «فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكانَ الكاف المؤنث الشين»[٣]. فعبارة سيبويه تقول بالابدال أنّهم يحذفون الكاف ويضعون الشين، وطبعاً هنا ابدال وليس كما قال ابن جني، فظاهرة ابن جني أنّهم يضعون الشين بعد كاف الخطاب للمؤنث عند حالة الوقف وإلا عند الوصل فإنّهم يحذفون الشين. بينما ظاهرة سيبويه أنّهم يُبدلون الكاف إلى شين، يقول شاعرهم: وإن تكلمتي حثت في فيش حتى تنقي كنقيق الديش

محل الشاهد هنا «فيش، الديش» فيقصد «فيكِ» و«الديكِ» فهنا الكاف ليست للمؤنث وليست في حالة الوقف، وقال الشاعر الآخر:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيقُ

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٣) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٤/ ص ١٩٩.

فهنا أيضاً هذا البيت لا يوجد شين بعد الكاف بل أنّ الشاعر أبدل الكاف شيناً في حالة الخطاب للمؤنث، وكما ترون أنّه حتى في حالة الوصل أبدل الكاف شيناً في قوله: «فعيناش عيناها»، فهنا ليس في حالة الوقف لكاف الخطاب للمؤنث حيث أن الأصل «عيناكِ عيناها» بينما الظاهرة التي ذكرها ابن جني كانت لكاف الخطاب للمؤنث وفي حالة الوقف بينما هنا الكاف للمؤنث في حالة الوصل. فهنا ابدال الكاف إلى شين بينما عند ابن جني إضافة الشين بعد الكاف. وكذلك في كلمة «وجيدشِ جيدها» فالأصل فيه «وجيدك جيدها» وأيضاً «عظم الساق منش» فالأصل فيه «عظم الساق منك» فأبدل الشاعر في هذه الكلمات الكاف شيناً. وأما كشكشة ربيعة التي يصفها ابن جني فإنّهم لا يبدلون الكاف إلى شين وإنما يضعون شيناً بعد الكاف.

والظاهرة الأخرى «إنش ذاهبة، ومالش ذاهبة، ويريد: إنكِ ومالكِ»[1] أي أنّه حتى في حالة الوصل يبدلون الكاف إلى شين. بينما الظاهرة التي في ربيعة أنّهم فقط في حالة الوقف على كاف الخطاب للمؤنث.

وسيبويه يعلّل اختيار الشين مكان الكاف تعليل صوتي مقبول، فيقول: «وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق»[2].

فهنا نحن أمام ظاهرتين صوتيتين ظاهرة تُبدل الكاف إلى شين وظاهرة تُضيف بعد كاف الخطاب للمؤنث حرف الشين. هناك أيضاً ظاهرة في الأثر الواقعي للمجتمعات العربية فلابد أن نضم هذه الظاهرة إلى تلك حتى نفهم هل أن اللغويين في هذا التعليل صائبون ؟

كما نعلم أننا في وسط وجنوب العراق وكذلك في كثير من القبائل العربية في الساحل الشرقي من الخليج كل هؤلاء يبدلون كاف الخطاب للمؤنث في حالة الوقف أو غير الوقف إلى حرف «چ» يعني «ch» باللغة الإنكليزية، فيقولون مثلاً باللهجة العامية العراقية «كتابچ، عليچ، ويّاچ» ولا يقتصر هذا القلب في حالة الوقف وإنما أيضاً يبدلون الكاف من بعض الكلمات

---

(١) سيبويه: الكتاب، مصدر سابق، ج٤/ ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٩.

إلى هذا الصوت وهو «چ» فيقولون مثلاً «سچين = سكّين»، «سمچ = سمك» فهذه الكاف هنا ليست كاف الخطاب والكلمة أيضاً ليست في حالة الوقف. معنى ذلك أنّه هذه الكلمات التي هي في قبائل جنوب العراق وفي الوسط وكذلك في قبائل الخليج فهذه الظاهرة لا علاقة لها بالكشكشة لأن في كشكشة ربيعة في كاف الخطاب فقط ويضعون حرف الشين.

وهذا الصوت «چ» موجود في اللغة الفارسية وفي اللغة الإنكليزية، فمثلاً يقولون في اللغة الفارسية «چاربايه» (أربعة قوائم)، فبعض اللغويين يذهب إلى أنّه الأصل فيه هو هذه الكاف والشين التي كتبها اللغويون في كتبهم ولم ينقلوا لنا الصوت، والرمز الكتابي هو كناية يرمز إلى صوت، والكاف والشين كما ذكرنا أنّهما متقاربان في المخرج.

فبعض اللغويين يقولون بأنّ هذه الكاف والشين هي هذه الـ«چ» لهذه القبائل، خاصة وأن بعض هذه القبائل – كما يذكر اللغويون الذين يتكلمون حول هذه الظاهرة – أنّهم سكنوا في جنوب العراق، يقول: «وأما بنو تميم فقد كانت منازلهم في اليمامة حتى جنوب العراق ثم ترجع إلى البحرين فالإحساء»[1].

الظاهرة التي تتحدث عن قلب الكاف إلى شين حتى في غير كاف الخطاب للمؤنث، فلو تكلمنا عن كلمتي «فيشِ والديشِ» – في البيت السابق – باللهجة العامية العراقية فنقول «فيچ» و«الديچ»، فما يدرينا بأن هذه الشين لا رمز لها وهي بالأصل «چ» لتلك القبيلة وكانوا لا يجدون رمزاً لها ليصطلحون عليه فأقرب شيء لها حرف «ش» فقالوا أن القبيلة ابدلت إلى حرف الشين. ذهب الكثير من اللغويين – ولعله هو الأرجح – بأن هذه الظاهرة هي نتيجة لعدم وجود رمز لحرف «چ» في اللغة العربية فلذلك ذهبوا إلى حرف الشين ووضعوا هذا الرمز الكتابي وليس الصوتي كناية أو رمزاً لحرف الـ«چ».

وبعض المستشرقين علّل الكشكشة بأن الكاف الخالية من التعطيش وهو من أصوات أقصى الحنك حين يليها صوت ليّن أمامي للكسرة تُمال إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو الثنايا الأمامية ولذا فقد تطوّرت هذه الكاف في عدد من الكلمات الهندية الأوروبية إلى صوت «چ = ch» والذي هو صوت من وسط الحنك، وقد وافقهم في ذلك عدد من الكُتّاب

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، مكتبة الارشاد، ط١، ١٩٩٠م. ص ١٧٣.

العرب. وهذا الذي ذهبوا إليه قد يكون صحيحاً في الصوت المستعمل في لهجتنا العامية العراقية فيكون قد تأثروا نتيجة للفتوحات الإسلامية وللتجارة الحاصلة بين هذه المناطق كاللغة الفارسية واللغة الهندية.

وأما تعليل ظاهرة الكشكشة فلا تصلح لأنّ هناك تفاوت كبير بين الأمرين.

- الابدال بين التاء والسين

يقول ابن جني في مخرج هذين الحرفين: «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين»[1].

هناك كلمات قليلة وردت يُبدل فيها حرف السين إلى تاء وهذه تُسمع وتُحفظ ولا يُقاس عليها، هناك كلمات مثل «الناس = النات»، «أكياس = أكيات»، «خسيس = ختيت»، «اتخذ = استخذ»، «الطست = الطس». وهناك أيضاً بيت من الشعر، يقول:

يـــا قاتل الله بني السعلات
عمرو بن يربوع شرار النات
غـيـر أعـفـاء ولا أكـيـات

فالشاعر أبدل السين تاء في «النات» ويقصد به «الناس» وكذلك في كلمة «أكيات = أكياس»، وهذا من نوع من الابدال يتم وإذا عللناه في الظاهرة الصوتية فإنّ مخرج السين هو قريب لحرف التاء ولذلك نجد أنّ بعض القبائل العربية أبدلت السين إلى تاء في حالة الضرورة الشعرية، وكذلك في كلمات أخرى من غير الضرورات الشعرية فمثلاً يقولون «ختيت» بدلاً من الأصل وهو «خسيس»، ويقولون «الطست» بدلاً من «الطسّ» وكذلك يقولون «اتخذ» بدلاً من أن يقولوا «استخذ».

وقد عُلّل هذا الابدال بين السين والتاء لما بين الحرفين من موافقة في التقارب بين المخرجين وكون كلا الحرفين من الحروف المهموسة وبعض الكلمات فيها من الحروف الزيادة. ونكتفي بهذا القدر من الحديث حول هذا الابدال.

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٤٧.

القسم الرابع: الابدال بين الحروف المتباعدة المخارج

- ابدال ما بين التاء والهاء

فمخرج التاء هو مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وأما الهاء فمخرجه من أسفل الحلق وأقصاه، فيوجد بين الهاء والتاء تباعد، ومع ذلك فهناك ابدال فقسمٌ منه كظاهرة مطردة في اللغة العربية وقسم آخر لبعض القبائل العربية.

من الظاهرة المطردة للابدال بين التاء والهاء هناك قاعدة أن كلّ كلمة تنتهي بالتاء وهي للتأنيث مثل كلمة «فاطمة» ففي حالة الوصل نقول «فاطمةُ سيدةُ نساءِ العالمين»[1]، ولكن في حالة الوقف نقول: «فاطمه» وأقف بحالة السكون على الهاء.

وهكذا في كلمة «حمزة» ففي حالة الوصل أقول «حمزةُ أسدُ الله وأسد رسوله»[2]، ولكن في حالة الوقف أقول «حمزه» ولا أنطق بالتاء فأبدِل هذه التاء التي هي للتأنيث هاءً، وهذه قاعدة مضطردة فهذه القاعدة لا تختص بقبيلة من القبائل العربية.

وهناك بعض القبائل العربية يبدلون هذه التاء وهي ليست للمؤنث إلى هاء، ومثال ذلك كقبيلة طي التي تقول في كلمة «البنات» «البناه»، وهذه التاء هي ليست من تاء المؤنث وإنما هي من الجمع أو الملحق بجمع المؤنث السالم، وكذلك في كلمة «الأخوات» فيقولون «الأخواه» وهكذا في كلمة «الفرات» فيقولون «الفراه».

وهذه الظاهرة تختص ببعض القبائل لا بكلّها.

وهناك ابدال أيضاً يحدث في اللهجة العامية لكثير من العرب في الوقت الحاضر فيضعون فتحة على ما قبل التاء ولا يبدلونها إلى الهاء فمثلاً كلمة «جمعة» أو «فتحة» أو «ضمة» فيقولون «فَتْحَ» فيضعون عليها فتحة وليس هاء ولا ينطقونها بالهاء، وهذه لا تختص بحالة معينة وإنما هناك كلمات كثيرة يضعون بدل الهاء فتحة على الحرف، وهذا لربما للتخفيف.

---

(١) ونقصد بفاطمة هي فاطمة الزهراء بنت رسول سلام الله عليها.

(٢) وهو حمزة بن عبد المطلب عم الرسول (ص).

- ابدال ما بين الهمزة والياء

وعلى ذكر ظاهرة التخفيف، هناك أيضاً عندنا الهمزة من الحروف المتباعدة، يبدلون الهمزة فيها إلى ياء، وهذا الابدال بين الهمزة والياء للتخفيف أيضاً، ومن ذلك قول الشاعر وهو زهير بن أبي سلمى:

جَرِيءٌ متى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ  سريعاً وإلاَّ يُـبْـدَ بالظُّـلَـمِ يَظْلِمِ

فمحل الشاهد «يُبْدَ» فالأصل في الكلمة «يُبْدَأْ» فأبدل هذه الهمزة إلى ياء ثم حذف الياء ووضع بدل هذه الياء الفتحة حيث أن الأصل في الكلمة هي «يُبدي» أو «يُبدا»، ومع وجود التباعد في المخرج بين حرفي الياء والهمزة ولكن العلة في هذه الظاهرة هو للتخفيف. وكذلك في قول الشاعر:

وكُنت أذلَّ من وتدٍ بقاعٍ  يُوَجِّئُ رَأْسَهُ بالْفِهْرِ وَاجِي

محل الشاهد «واجِي» فهو يريد «واجئ» فأبدل الهمزة إلى ياء وهذا الابدال هو للتخفيف، وكذلك قول الشاعر:

إنّ السّباعَ لتهدى عن فرايسها  والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

ومحل الشاهد «بهاد» فالأصل فيه «بهادئ» فأبدل الهمزة ياءاً للضرورة، وهذا كلّه لا يُقاس عليه وإنما يُلتزم فيه السماع ويُحفظ ولا يُقاس عليه.

- ابدال ما بين السين والياء

وهناك ابدال السين إلى ياء مثل قول الشاعر:

إذا مـا عُـدّ أربـــعـــة فـســـال  فزوجك خامس وأبوك سادي

فمحل الشاهد هنا «سادي» فالشاعر يريد «سادس» فأبدل السين إلى ياء، وأيضاً قول الشاعر:  بــويـــزل أعوام أذاعت بخمسة  وتعتد لي إن لم يق الله ساديا

فمحل الشاهد هنا «ساديا» فهو يقصد «سادسا» فقلب السين إلى ياء، وهناك أيضاً قول الشاعر:  عمرو بن كعب وعبد الله بينهما  وابناهما خسمة والحارث سادي

فيقصد من «سادي» هو «سادس»، وشاهد آخر على هذا الابدال هو قول الشاعر:

مضى ثلاث سنين منذ حلّ بها وعام حلت وهذا التابع الخامي

ومحل الشاهد هنا «الخامي» فقصد الشاعر «الخامس» فقلب السين إلى ياء أيضاً، وكل هذه الأبيات أوردها ابن جني في كتابه «سر صناعة الاعراب»[1].

- ابدال ما بين الثاء والياء

وهذا الابدال يحصل من ابدال الثاء إلى الياء كما في قول الشاعر:

يفديكَ يا زُرعَ أبي وخالي قد مَرَّ يومان وهذا الثالي

وأنت بالهجران لا تبالي

ومحل الشاهد هنا «الثالي» فالأصل «الثالث» ولكن الشاعر أبدل الثاء إلى ياء. وهذا الابدال لم نشاهده في الكلام العربي إلا في الأبيات الشعرية وقد يكون للضرورة وهو ليس ظاهرة ولكن وردت كلمات سُمع عن بعض العرب «الخامي والثالي» أي «الخامس والثالث» في الأعداد وكذلك «الرابي» يعني «الرابع» وكذلك «السابي» يعني «السابع»، فقد سُمع عن بعض العرب تبديل الحروف في هذه الأعداد على وزن الحادي والثاني إلى أن يصلوا إلى «العاشي» أي «العاشر» فيبدلون الحروف التي تنتهي بها هذه الأعداد.

- ابدال ما بين الياء والعين

وهذا الابدال أيضاً يُسمع ولا يُقاس عليه، ويرد في كلمات معدودة قد أوردها اللغويون في كتبهم، يقول ابن جني: « انشد سيبويه: ومَنْهَلٍ ليس له حَوَازِقُ ولِضفادي جَمِّه نَقانِق يريد: ولضفادع جمّه، فكره أن يسكن العين في موضع الحركة، فأبدل منها حرفا يكون ساكنًا في حال الجر، وهو الياء. وأخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب، قال: قال ابن الأعرابي: تلعَّيتُ من اللُّعاعة، واللُّعاعة: بقلة. وأصل تلعَّيت: تلعَّعْت فأبدلوا من العين الآخرة ياء كما قالوا تفضَّيْتُ وتظنَّيْتُ»[2].

---

(١) ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر سابق، ص ٧٤١ – ٧٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٦٢ – ٧٦٣.

# القسم الثاني: المقاطع الصوتية

نبحث في هذا القسم المقطع الصوتي في اللغات بشكل عام وباللغة العربية بشكل خاص وبشكل تفصيلي، فماذا نقصد بالمقطع الصوتي ؟

نقصد بالمقطع الصوتي ذلك الصوت الذي يتمكن الإنسان أن ينطقه من أقل المكونات الصوتية كالحرف الساكن والحركة فمثلاً حرف «الذال» فإما أن نُسكّن الحرف نضع الهمزة أمامه فنقول: «إذْ» أو نفس الحرف نضع عليه حركة فنقول: «ذَ» أو صوت طويل كحرف من حروف اللين فنقول: ذْ أو ذُ أو ذِ، فهذا ما نُسمّيه بالمقطع ولكن هذا المقطع تارةً يكون ساكناً حيث أن المقطع الصوتي ينقسم إلى قسمين ساكن ومتحرك.

فالمقطع الصوتي الساكن الذي هو ينتهي بصوت ساكن وهو الذي نقف عليه. وأما المتحرك فيكون فيه المقطع متحركاً كالفتحة والضمة والكسرة أو أحد حروف اللين كالألف والواو والياء.

ومثال المقطع الساكن فنقول في مصدر الفعل «فَتَحَ» «فَتْحٌ» فتكون التاء ساكنة فهذا المقطع الصوتي يكون ساكناً، فهذه الكلمة تتكون في أصلها من ثلاثة مقاطع متحركة «فَتَحَ» وهي «فَـ» «تَـ» «ـحَ».

هذه المقاطع في اللغة لها نسيج بالكلمات وكل كلمة تتكون من هذه المقاطع التي تُشكّل اللبنات الأساسية للكلمة في كل لغة من اللغات، فكل كلمة لها مقاطع، وكل لغة لها مقاطع معينة وهذه المقاطع إما أن تكون متحركة أو ساكنة.

فالكلام المتصل يتكون من أصوات وهذه الأصوات اللغوية تختلف حسب وضوحها وحسب نبرتها وشدتها وتأتي ساكنة ومتحركة. وهناك بعض الأصوات وهي اللام والنون والميم تُلحق بالأصوات المتحركة لمشابهتها في كثير من الأحيان في حروف اللين فتسمى شبه أصوات اللين.

المحدثون عندما درسوا هذه الأصوات لاحظوا أنّ كل صوت يتكون من ذبذبات وهذه الذبذبات الصوتية التي سُجّلت عن طريق الأجهزة الحديثة الالكترونية وتظهر على الشاشة في أجهزة المسجلات أو الفيدوات وفي مختلف أنواع الأجهزة الصوتية، فتشبه هذه الأصوات الجبال والوديان فالقمم هي الأصوات المتحركة، والساكنة تكون الذبذبة فيها مستقرة.

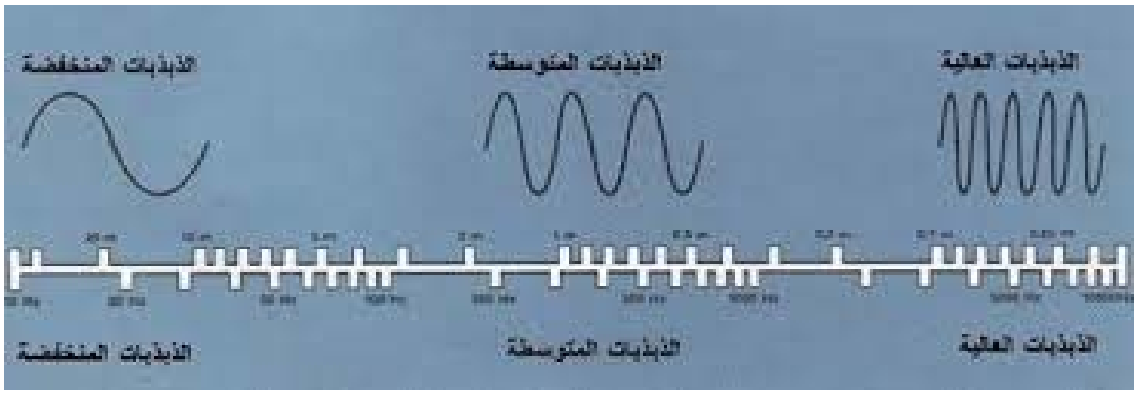


وفي النغمة الموسيقية تسمى الذبذبة المستقرة بالقرار، وعلى ضوء هذه الذبذبات يقسمون الأصوات في النغمة الموسيقية التي تتكون من «دو، رَ، مي، فَا، صول، لا، سي» .(Do, Ré, Mi, Fa, Sol, La, Si)

الموجة الصوتية التي تتكون من ارتفاعات وانخفاضات فلكل صوت في اللغة العربية ذبذبة وصوت، وقد سُجّلت هذه الأصوات لدراسة المقاطع في اللغة العربية، ولبيان لماذا ندرس هذه المقاطع الصوتية.

إنّ كل لغة من اللغات لها مقاطع صوتية معينة تختص بها، فمثلاً اللغة العربية لها مقاطع صوتية خمسة لا تتجاوزها، وهذه المقاطع الصوتية الخمسة هي التي تشكل الكلمة العربية فهناك كلمات تتكون من ثلاثة مقاطع وهناك كلمات تتكون من أربع مقاطع وهناك كلمات تتكون من خمسة مقاطع من هذه المقاطع الصوتية الخمسة.

التركيبة والنسيج في هذه المقاطع أيضاً محدّد فلا نتمكن أن نتجاوزه إلى مقاطع أخرى، فكل الكلمات العربية لا تتجاوز هذه التركيبة من هذه المقاطع بحيث لو أتينا بمقاطع صوتية وركّبنا منها نسيجاً خاصاً نتمكن أن نكتشف هل أنّ هذه الكلمة عربية أم غير عربية لأنّ النسيج للمقاطع العربية محدود فإذا أدخلنا نسيجاً من هذه المقاطع الخمسة ولكن بتركيبة مختلفة

سوف نكتشف بأن هذه الكلمة ليست عربية، فإذن الفائدة من دراسة المقاطع الصوتية إضافة إلى الأوزان الشعرية (التفعيلة) نستطيع أيضاً اكتشاف أنّ هذه الكلمة عربية أو ليست عربية بتحديد هذه المقاطع الخمسة.

عندما يلتقي صوتان من الأصوات أحدهما مقطعي والآخر غير مقطعي ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يُصطلح عليه بالصوت الهابط، وأما إذا كان الصوت غير مقطعي فيسمى بالصوت الصاعد. ففي اللغة العربية فيها نوعان من الأصوات هابط وصاعد فكلاهما موجود في اللغة العربية، فالهابط مثل كلمة «يُسلم» وأما الصاعد مثل كلمة «بَيت».

وبعض اللهجات العامية في اللغة العربية حاولت التخلص من هذا الهبوط في الصوت، فتميل بعض اللهجات العامة من تحويل الكلمات إلى أن تجعلها أصوات مد فيقلبون مثلاً كلمة «بَيْت» إلى «بِيَت» فيمدون الياء وكذلك في كلمة «صَوْت» «صُوَت».

## **الفصل الأول**: **نسيج الكلمة في اللغة العربية**

تتكون اللغة العربية في مجملها من خمسة مقاطع. المحدثون يعبّرون عن الحركة بالصوت اللين القصير، وحروف اللين بصوت اللين الطويل فحرف الألف مثلاً هو صوت لين طويل وحرف الواو صوت لين طويل، وأما الفاء في «فَـتَـحَ» فعليها فتحة «فَ» فالحركة في تعبير المحدثين صوت لين قصير – ونطلق عليها بالاصطلاح النحوي الحركة – وفي علم الأصوات فنصطلح على الحركة بـ«صوت اللين القصير».

١– صوت ساكن + صوت لين قصير (الحركة: ـَ، ـِ، ـُ)= مقطع صوتي

٢– صوت ساكن + صوت لين طويل (حروف اللين: أ، و، ي) = مقطع صوتي

٣– صوت ساكن + صوت لين قصير (الحركة) + صوت ساكن = مقطع صوتي

٤– صوت ساكن + صوت لين طويل (حروف اللين) + صوت ساكن = مقطع صوتي

٥– صوت ساكن + صوت لين قصير (الحركة) + صوتان ساكنان = مقطع صوتي

ونقصد بالصوت الساكن = الحرف الذي ليس من حروف اللين.

هذه هي المقاطع الخمسة التي تشكل كل الكلمات في اللغة العربية والتي في تركيبها تتكون الكلمات، ومن دراسة هذه المقاطع والتراكيب التي تتشكل منها نتمكن ونستطيع أن نكتشف اللغة العربية من غيرها، فنتمكن من معرفة هل أن الكلمة عربية أم غير عربية.

فمثلاً الفعل الماضي من «كَـتَـبَ» يتكوّن من ثلاثة مقاطع متحركة فهي فتعتبر هذه المقاطع تتوالى ثلاث مقاطع من النوع الأول، كالتالي:

«كـ» صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

«تـ» صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

«بـ» صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

فكل هذه المقاطع الصوتية الخمسية هي التي تشكل الكلمات في اللغة العربية ولكن بتفاوت حيث أن النوع الرابع والخامس قليل الاستعمال جداً في اللغة العربية وكلماته محدودة ويكثر في اللغة العربية استعمال الأنواع الثلاثة الأولى.

وسنضرب أمثلة كثيرة لهذه المقاطع لكي نتمكن لاحقاً من معرفة هل هذه الكلمة عربية أم أجنبية، فمثلاً كلمة «يَـكْـتُـبُ» فتتكون هذه الكلمة من المقاطع التالية:

«يَـكْـ»: صوت ساكن + حركة + صوت ساكن = المقطع من النوع الثالث

«تُـ» صوت ساكن + ـُ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

«بُ»: صوت ساكن + ـُ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

فكانت كلمة «يَـكْـتُـبُ» تتكون من ثلاثة من المقاطع: النوع الثالث + النوع الأول + النوع الأول. وأغلب الكلمات في اللغة العربية تتكون من هذه المقاطع الثلاث وهي النوع الأول والنوع الثاني والنوع الثالث.

الفعل الأجوف لوجود حرف الألف في الوسط «قَالَ» يتكون من من مقطعين أولهما «قا» من النوع الثاني وثانيها «لَ» من النوع الأول.

فالمقاطع الثلاث الأولى هي الشائعة التي تكون فيها الكسرة الغالبة في الكلام العربي، وأما النوع الرابع والخامس فهو قليل الشيوع ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات في حالة الوقف.

فمثلاً كلمة «نَسْتَعِين» في قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِينُ** ﴾[1]، تتكون كل هذه الكلمة من ثلاثة مقاطع أولهما مقطع من النوع الثالث كالتالي:

«نَسْـ»: صوت ساكن + صوت لين قصير (باعتبار النون عليها الفتحة) + صوت ساكن = مقطع صوتي من النوع الثالث.

«تَـ»: صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

«عِين»: صوت ساكن + صوت لين طويل (حروف اللين) + صوت ساكن (فعندما نقف على الكلمة فتكون النون ساكنة) = مقطع صوتي من النوع الرابع.

فهذه الكلمة «نَسْتَعِين» تتكون من ثلاثة أنواع من المقاطع: المقطع الأول من النوع الثالث + المقطع الثاني من النوع الأول + المقطع الثالث من النوع الرابع.

وكذلك كلمة «المُسْتَقَرْ» في قوله تعالى: ﴿ **إِلَى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المُستَقَرُّ** ﴾[2]، فتتكون من أربعة مقاطع كالتالي:

«اَلـ»: صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير + صوت ساكن = مقطع صوتي من النوع الثالث.

«مُسْـ»: صوت ساكن + ـُ صوت لين قصير + صوت ساكن = مقطع صوتي من النوع الثالث.

«تَـ»: صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير = المقطع من النوع الأول

«قَرّ»: صوت ساكن + ـَ صوت لين قصير + صوتان ساكنان (باعتبار أن الراء مشدّدة) = مقطع صوتي من النوع الخامس، وهو نادر في استعمال اللغة العربية.

فهذه الكلمة «المُسْتَقَرْ» تتألف من أربعة مقاطع: المقطع الأول من النوع الثالث + المقطع الثاني من النوع الثالث + المقطع الثالث من النوع الأول + المقطع الرابع من النوع الخامس.

---

(١) **الحمد (الفاتحة)، ٥.**

(٢) **القيامة، ١٢.**

«والنوع الرابع والخامس من المقاطع في اللغة العربية محدود لا نراه إلا متطرفاً، وفي بعض حالات الوقف، أما الأنواع الثلاثة الأولى فهي التي يتكون منها نسج الكلمة العربية في الكلام المتصل، وقد تقع تلك الأنواع الثلاثة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، فليس منها ما يختص بموضع ما من الكلمة»[١].

فالمقطع الذي يتكون من صوت ساكن + صوت لين طويل (حروف اللين) + صوت ساكن (وهو النوع الرابع) نادر جداً في النثر العربي ولا يأتي أصلاً في الشعر العربي.

كلمة «يَشَآؤُونَ» في قوله تعالى: ﴿ **لَهُم فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ** ﴾[٢]، تكون القراءات فيها من المقطع الثاني:

«يَشَآ»: صوت ساكن + صوت لين طويل (حروف اللين) + صوت ساكن (فيصير فيه مد طويل) = مقطع صوتي من النوع الرابع، وهذا الادخال في المقطع الرابع مقتصر على القراءات القرآنية، ففي النثر العربي لا يستعملون مثل هذا المد (المقطع).

فلابد من التفرقة بين النثر العربي بشكل عام وبين القراءات القرآنية بشكل خاص. هذه تقريباً أهم المقاطع في نسيج الكلمة العربية.

وهناك كلمات أو هناك نسيج من الكلمات عندما نريد أن نقارنا باللغة العربية نكتشف أنها لا يمكن أن تنطبق على هذه المقاطع ولذلك نعتبرها كلمة أجنبية.

«وليس من نسج المقاطع العربية: صوتان ساكنان + صوت لين قصير + صوت ساكن. فإذا اشتملت كلمة على مثل هذا المقطع في مثل الكلمة الإنكليزية (Congratulation)، في حين أن نسج الكلمة الإنكليزية (Dication) يوافق النسج العربي في مثل «مرتاعٌ، مستاءٌ» لأن مثل هذه الكلمات يتكون من المقاطع الآتية: مقطع من النوع الثالث + مقطع من النوع الثاني + مقطع من النوع الثالث»[٣].

---

(١) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٢) النحل، ٣١.

(٣) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ٩٧.

## الفصل الثاني: النبر

والنبر هو الشدة في الصوت أو ارتفاع فيه. فهناك كلمات أو مقاطع في كلمة بحيث عندما ننطق بكلمة من الكلمات نجد أنّ بعض المقاطع يرتفع فيها الصوت ويشتد، وهناك كلمات أخرى ينخفض فيها الصوت، فالذي نريده من النبر أي عندما نرفع بعض المقاطع الصوتية أو نُشدّد فيها ونقوّي الصوت فيها.

النبر عندما يحدث هناك عدة عمليات في الأجهزة الصوتية تشترك فيضيق الوتران الصوتيان فيقترب أحدهما إلى الآخر فيخرج الهواء من بين الوترين بقوّة وبشدّة فتنشط جميع أعضاء النطق وعضلات الرئة تضغط على الهواء بقوة لكي ترفع الصوت، وتخرج الذبذبات الصوتية أيضاً بقوة في أثناء مرور التيار الهوائي ما بين الوترين الصوتيين في الحلق، فيُسمع الصوت حينئذ عالياً في أثناء النبر.

وتظهر هذه الشدة والقوة في الأصوات المجهورة والأصوات الشديدة، وأما في الأصوات المهموسة فتكون عكس هذه العملية فيبتعد الوتران عن بعضهما وينساب الهواء.

وكل لغة من اللغات لها عادات لغوية يتبعها كل شعب ينطق بتلك اللغة ويختص في مواضع النبر، فمثلاً الفرنسيون دائماً ينبرون في المقطع الأخير من الكلمة حيث يرتفع الصوت فيه عند الفرنسيين، بينما في اللغة العربية تختلف الحالة حيث أن المقطع الأخير في اللغة العربية نادر أن يُنبر وإنما هناك المقطع ما قبل الأخير هو الذي يكثر فيه النبر.

وأما بالنسبة للغة الإنكليزية «فالفرنسي حين ينطق بالانكليزية يضغط على المقاطع الأخيرة من الكلمات، متأثراً بعاداته اللغوية، فتنفر الأذن الإنكليزية من نطقه الذي تشوبه لهجة أجنبية قد تؤدي إلى اضطراب في المعنى. لأن بعض الكلمات الإنكليزية يختلف معناها بمجرد اختلاف موضع النبر فيها. فأمثال الكلمات الإنكليزية augment, Torment لا فرق بينها حين تستعمل فعلاً أو اسماً إلا في اختلاف موضع النبر»[1].

---

(١) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ٩٩.

وأما قرّاء القرآن الكريم فأيضاً هناك في القراءات بعض المقاطع الصوتية يرتفع فيها صوت القارئ وينخفض في مقاطع أخرى ومعرفة مواضع النبر هو الذي يُعطي للقراءة الجمال والتنسيق والترتيل ولفت وشد نظر السامع إلى هذه المقاطع.

والنبر في اللغة العربية في حالة الوقف وهو الذي أقل الحالات شيوعاً ويكثر هذا في المقطع الرابع والخامس من المقاطع الصوتية كما في كلمتي «نَسْتَعِين» و«المُسْتَقَرْ» فنجد أنّ المقطعين «عين» و«قر» هما موضع النبر في هاتين الكلمتين ولكن فقط في حالة الوقوف عليهما، وأما إذا واصلنا الكلام لا يحدث نبر بهاتين الكلمتين.

موضع النبر في الكلمات العربية هو المقطع الذي قبل الأخير، فعندما أقول كلمة «استَفهِمْ» كفعل أمر أو أقول كلمة «يُنادي» أو كلمة «يَكتُب» ففي هذه الكلمة نلاحظ بأن المقطع «يَكـ» يكون فيها الصوت مرتفعاً، وكلمة «كَتَبَ» أو «صَعُبَ» فنلاحظ أن الحروف «كَـ وصَـ» يرتفع فيها الصوت فيكون هذا المقطع الأول من الكلمة هو الذي يكون فيه النبر.

ولكن عندما أتي إلى الكلمات «لَعِبٌ» و«فَرَحٌ» فنجد أن المقطع الثالث أي الأخير هو الذي يكون فيه النبر، ولكن عندما أقول كلمة «بَلحةٌ، عَربةٌ، حَركةٌ» نجد أن المقطع الأول من هذه الكلمات «بَـ وعَـ وحَـ» يكون النبر فيها شديداً وواضحاً. وأحياناً هذا النبر في المقاطع الصوتية يأتي في الكلمات.

هناك كلمات يستعملها العربي يستفيد منها في المعاني وأينما يقع النبر يعطي الكلمة معنى خاصاً. إنّ ما تقدم من النبر كان في المقاطع الصوتية ولكن الآن نتكلم عن النبر في الكلمات فعندما أريد أن أسأل أحدهم مثلاً «هل سافر أخوك أمس ؟» فماذا أريد أن أؤكد ؟ هل أريد أن أؤكد مَن المسافر أم أريد أن أؤكد عن السفر ؟

إذا رفعتُ صوتي في كلمة «أخوك» فأقصد من ذلك أنّ الذي قام بالفعل هو الأخ، فيفهم السامع من رفع الصوت في هذه الكلمة أنّ المراد هو الأخ وليس السفر.

وأما إذا رفعت صوتي في كلمة «سافر» فيفهم السامع من هذه النبرة أنّ قصدي هو «سافر» أي هل سافر أو رجع. فأينما أرفع صوتي بالكلمة فيكون التأكيد على تلك الكلمة.

وهذه النبرة الصوتية تعطي للجملة هل هي في حالة إخبار أم في حالة الاستفهام أم في حالة التعجب. فإذاً دراسة النبر ومواضع النبر سواءاً في المقاطع الصوتية أو في الكلمة يعطينا نغمة موسيقية تختص بها كل لغة من اللغات ويختص بها كل قوم من الأقوام الذين ينطقون بتلك اللغة.

والنبر أيضاً لا يتوقف في مقطع من المقاطع فعندما أقول مثلاً «كَتَبَ» فيكون النبر في المقطع الأول الذي هو «كَ» ولكن عندما أقول «يَكْتُبُ» فينتقل النبر من المقطع الأول إلى المقطع الثاني الذي هو «تُ». ومعنى ذلك أن النبر لا يختص في موضع واحد عندما تتغير الكلمة في مشتقاته في الميزان الصرفي وإنما يتغير من مقطع صوتي إلى مقطع صوتي آخر. وهكذا في كلمة «انكَسَرَ» و«انكسار» فينقل النبر من «كَ» إلى «سا» فينتقل النبر من الكاف إلى «سا»، فهذا الانتقال يتغيّر أيضاً تبعاً للميزان الصرفي.

إنّ هذا الانتقال لابد من ملاحظته في الكلمات لمعرفة كل لغة من اللغات إذا أراد الإنسان أن يُتقنها فلابد أن يتقن مواضع النبر فيها، فإذا لم يتقن مواضع النبر فيها يُكتشف بأنّه غريب على أهل تلك اللغة، وأما إذا أتقن مواضع النبر وطول المد في الحركات يعني صوت اللين القصير وصوت اللين الطويل فسيكون من الصعب معرفة أنّه غريب عنهم.

## الفصل الثالث: المماثلة

إنّ الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض ويتغيّر تبعاً للمجاورة وتبعاً لاقتراب المخارج الصوتية – كما مرّ علينا سابقاً – فيحدث الاقلاب ويحدث الاخفاء أو الادغام. فعندما يقترب مثلاً صوتان من بعضهما فيؤثر أحدهما في الآخر فأحياناً يطغى بعض الأصوات على الآخر ويأخذ الصوت الثاني من الأول أو أحياناً يفنى بعض الأصوات في الآخر وهذا ما نسمّيه بالادغام وأحياناً ينقلب صوت إلى صوت آخر، فهذه الظاهرة الصوتية التي يتم فيها الابدال، الاقلاب، الادغام نسمّيها بالمماثلة، يعني أن بعض الأصوات يماثل الصوت الآخر نتيجة لقرب مخرجيهما أو نتيجة لمماثلته بالهمس أو الجهر أو الشدة أو الرخاوة أو ما شاكل ذلك من صفات الحروف.

هذه المماثلة تسبّب ظاهرة الاقلاب أو الادغام أو الاخفاء، فنريد أن نعرف ما هي المماثلة بين الأصوات ؟ وما هي أنواع هذه المماثلة ؟

إنّ الكلمات في اللغات قسم منها تكون فيها المماثلة بأثر تقدمي وقسم منها تكون فيها المماثلة أو التأثير رجعي، فأحياناً الحرف الأول من الكلمة يتأثر بما بعده فيكون هذا بأثر رجعي، وأحياناً الحرف الأول من الكلمة هو الذي يؤثر في الحرف الثاني أي أنّ الحرف الثاني يتأثر بالحرف الذي سبقه فهذا نُسمّيه التقدمي.

«المحدثون من علماء الأصوات اللغوية قرّروا أنّه قد يتجاور صوتان لغويان ويتأثر الأول بالثاني واصطلحوا على تسمية هذا النوع من التأثر بالرجعي regressive. وأحياناً يتأثر الصوت الثاني بالأول وسمّوا هذا بالتأثر التقدّمي progressive. فتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض نوعان:

رجعي: وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني. وهذا النوع كثير الشيوع في اللغة الفرنسية وفي العربية أيضاً.

تقدمي: وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول وهو شائع باللغة الإنكليزية، كما أنه قد يوجد أيضاً في اللغة العربية»[1].

ويمكن تسمية هذه الحالة بحالة التجانس في الأصوات بحيث أنّ النطق لا يكون ثقيلاً على المتكلّم. فهذه الحالة التي يتم فيها الابدال أو الادغام أو الاقلاب تُسهّل عملية النطق وتُبعد الاسترسال بالكلمات أو المقاطع الصوتية عن العراقيل والصعوبات.

فمثلاً عندما أقول كلمة «ضَرَبَ» وأريد أن آخذ منها صيغة «افتعل» «اضترَبَ» ولكن لأنّ حرف الضاد هو من الحروف المجهورة والتاء من الحروف المهموسة فلا يتلائم هذا الحرف بصفته المهموسة مع هذا الحرف بصفته المجهورة، فحتى يستقيم الوزن ويسهل النطق فأقلب هذه التاء إلى طاء فأقول «اضطرَبَ» فيكون النطق أسلم وأوقع وأكثر انسجاماً ومماثلة بين هذا الحرف المهموس عندما قلبته إلى هذا الحرف المجهور وهو الطاء كي يتماثل في هذه الصفة فيبدو الكلام أوضح للسامع.

---

(١) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ١٠٨ – ١٠٩.

كذلك كلمة «زادَ» عندما أقول بصيغة «افتعل» «ازْتادَ» فالزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فلكي أحصل على المماثلة أقلب التاء إلى أقرب مخرج له فإنّ التاء إذا جهرنا بها تنقلب إلى دال فأقول «ازْدادَ». فهذه المماثلة هي التي أعطت هذا الجمال إلى هذه الكلمة بالنغمة الموسيقية التي تعطي للكلمة وضوحاً.

وهكذا كلمة «دعا» فعندما أريد أن أقول بصيغة «افتعل» «ادتعا» فهنا أيضاً الدال حرف مجهور والتاء مهموس فأعمد إلى ابدال هذه التاء إلى أقرب حرف مجهور وهو الدال فيحدث عندنا دالين «ادّعا» فيحصل ادغام بين الدالين. وهكذا في بقية الكلمات مثل «ذكر وظلم وصبر» = «اذتكر، اظتلم، اصتبر» فتقلب التاء في هذه الكلمات إلى أقرب حرف مجهور فتكون كالتالي: «اذدكر، اظطلم، اصطبر»، فكل مرة تُقلب تاء الافتعال حسب الصوت الذي يسبق تاء الافتعال وهذا ما نُسمّيه بالمماثلة أي ما يماثل وما يجانس ذلك الصوت ويعطي فيه وضوحاً في الكلمة بحيث أن الكلمة العربية تأتي واضحة المعالم ولا يوجد فيها شيء مخفي بحيث لا يسمعه السامع.

إنّ المماثلة لها تطبيقات كثيرة في اللغة العربية وسنمرّ على الحالات التي تجري فيها هذه المماثلة، يعني درجات التأثر في المماثلة، فهناك حالات كحالة الجهر والهمس وهناك مثلاً حالة انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف أو بالعكس من الأنف إلى الفم وهناك انتقال مخرج الصوت من مخرج إلى مخرج وهناك حالة الادغام.

درجات التأثر تبدأ بالجهر والهمس وتنتهي بالادغام الذي يفنى فيه الحرف في الحرف الآخر ولا يبقى له أثر. ونذكر الحالات التي تجري فيها المماثلة:

**أولاً – الجهر والهمس**

إن هذه حروف الدال والذال والزاي هي مجهورة لها نظراء من الحروف المهموس فنظير حرف الدال هو التاء ونظير حرف الزاي هو السين ونظير حرف الذال هو الثاء.

بالنسبة للدال والتاء تكاد أن لا تجد في كل اللغة العربية حرف دال إلى جنبه تاء، وكذلك بالنسبة لحرف الزاي فلا تجد في الكلمات العربية حرف الزاي وإلى جنبه حرف السين

وأيضاً بالنسبة لحرف الذال فلا تجد في اللغة العربية حرف الذال وإلى جنبه حرف الثاء. فلابد أن يحدث الابدال في هذين الحرفين فينقلبا إلى مجهورين أو إلى مهموسين.

مثال على ذلك الفعل «زادَ» فعندما نريد أن نشتق صيغة «افتعل» فالأصل فيه «ازْتادَ» فلو لم يكن هناك حرف مجهور وإلى جنبه حرف مهموس لبقيت التاء كما في كلمة «غَصَبَ» فعندما نشتق منها صيغة «افتعل» فتكون «اغتَصَبَ» فتبقى التاء، وأما في كلمة «ازْتادَ» فنظير التاء هي الدال فتقلب التاء إلى دال فأقول «ازْدادَ».

هذه أدنى درجات المماثلة في التأثر، بينما في كلمة «اغتَصَبَ» فلا يوجد البون الشاسع في حرف الغين وحرف التاء ولذلك استقام الكلام في «اغتَصَبَ» وكذلك في كلمة «اجتَمَعَ» و«اعتَدَلَ» وما شاكل ذلك.

فالقاعدة لا يتجاوب في اللغة العربية صوت مجهور مع نظيره المهموس وإن كان الحرفان نفس المخرج كالتاء والدال، والزاي والسين، والذال والثاء، ولكن أحدهما مجهور والآخر مهموس.

**ثانياً – انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس**

هناك حروف في اللغة العربية يكون مجرى الهواء فيها أثناء النطق الفم وهي الأعم الأغلب في حروف اللغة العربية، وهناك حروف كالنون والميم والغنة المجرى فيها الأنف. فكيف نعرف أن مخرج الحرف هو الفم أو الأنف ؟

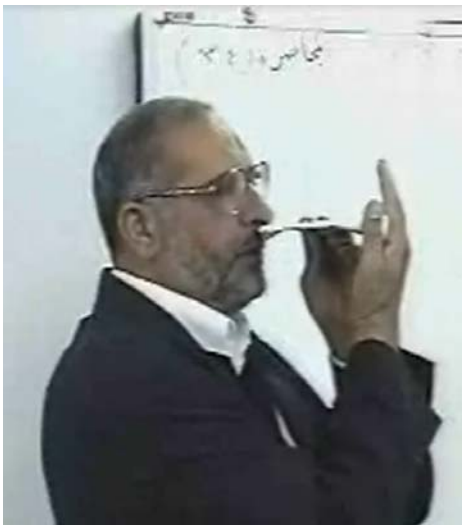

هناك تجربة يمكن أن نجريها إذا جئنا بورقة فنضعها تحت الأنف بين الأنف والفم ونأتي بلوح زجاج فنضعه أمامنا ووسط الورقة فما يخرج من الأنف من الحروف فسنلاحظ وجود البخار أعلى الزجاجة وما يخرج من الفم نلاحظ وجود البخار أسفل الزجاجة.

فمثلاً كلمة «اركَبْ» في قوله تعالى: ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ** ﴾[1]، هذه الباء قُلبت إلى ميم، حيث أن الباء مجرى الهواء فيها من الفم بينما الميم مخرج الهواء فيها من الأنف، فعندما تقرأ هذا الجزء من الآية فننطق بحرف الباء من الأنف لأن مجرى الميم من الأنف.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿ **وَإِن لَّم تَفْعَل فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[2]، فالنون مجراها من الأنف واللام مجراها من الفم وبما أنّ النون ساكنة فتقول «وإلَّمْ تَفعَل» فتلغي وجود النون ولا يخرج الهواء من مجرى الأنف بل تُشدّد اللام وتدغم ادغاماً تاماً حيث أنّ النون ساكنة فيكون مجرى الهواء من الفم بدلاً من الأنف.

وهكذا في باقي الكلمات فمثلاً التشهد «أشهدُ أن لا إله إلا الله» فتقول «أشهدُ ألاّ إله إلا الله» فيُبدل مجرى الأنف إلى الفم وتُشدّد اللام وتُدغم. وهذه هي الدرجة الثانية من درجات التأثر.

**ثالثاً – انتقال مخرج الصوت إلى مخرج آخر**

وأما الدرجة الثالثة فهي نادرة وقليلة فمثلاً قول العرب «عَصَيتَ» فتقول «عَصَيكا» فالمخرج المجاور للتاء هو الكاف كما هو بيت الشعر:

يا ابن الزبير طالما عصيكا  وطالما عنيتنا إليكا

وكذلك كلمة «أنْبِئهم» في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسمَائِهِم** ﴾[3]، فالنون لا تُنطق وإنما نقلبها إلى ميم فنقول «أمبِئهم» فالميم أقرب مخرج للنون.

وهكذا في كلمة «ذَنْب» فتقول «ذَمْب» فتُقلب النون إلى الميم. فهذا الابدال من مخرج إلى آخر أيضاً هو من درجات المماثلة ومن درجات التأثر التي نحن بصدد التدرج فيها.

---

(١) هود، ٤٢.

(٢) المائدة، ٦٧.

(٣) البقرة، ٣٣.

**رابعاً – الادغام**

وكما ذكرنا هناك ادغام كبير وادغام صغير، والادغام الذي نقصده بالقراءات يكون فيه إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين أحد هذه الحروف الستة وهي: الياء، الراء، الميم، اللام، الواو والنون والتي يطلق عليها جمعاً بكلمة (يرملون). فهنا يحدث الادغام وهو على قسمين ادغام بغنة ويسمى ادغاماً ناقصاً، وادغام كامل وهو بغير غنة (والذي يكون مجرى الهواء فيه من الأنف).

ففي حرفي الراء واللام يكون الادغام كاملاً أي بدون غنة. فمثلاً عندما نقول «أشهدُ أنَّ محمّداً رسولُ الله» (ص) فهنا الدال فيها تنوين وجاء بعده الراء ويحصل ادغام ولكن بدون غنة فنقول «أشهدُ أنَّ محمّدَ رَّسولُ الله» (ص) فنلغي التنوين نهائياً وندغم هذه النون الساكنة بالراء فنشدّد الراء.

وكذلك في اللام وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾[1]، وهنا أيضاً نون ساكنة تبعها اللام فيكون فيها الادغام تاماً كاملة بدون غنة لأنه جاء بعد النون الساكنة حرف اللام فيحذف النون ويُشدّد اللام فتُقرأ «ولم يَكُ لَّهُ».

وننتقل الآن إلى الادغام الناقص والذي فيه غنة، والذي يكون فيه الياء والميم والواو والنون، والذي يجمعها كلمة «ينمو». فمثلاً أقول «اللّهُمَّ صَلِّ على مُحمّدٍ وَآلِ محمّد» فهنا الواو جاءت بعد التنوين، فهذا التنوين يُلغى ولكن ليس إلغاءاً تاماً فنُبقي الهواء من الأنف مفتوحاً فتخرج الغنة بدون النون بحيث أنّك لو وضعت يدك على المنخرين لما تمكنت من النطق بالغنة فعندما تحاول القول «محمّدٍ وَّآلِ» يقف الكلام قبل الوصول إلى الواو لأنّ مخرج الغنة من الأنف.

فهنا نتكلم عن أقصى درجات التأثر وهو فناء الحرف بالحرف الذي يجاوره نتيجة لهذا التماثل، فالتنوين هو صوت وهو النون، وهذه النون تفنى بالواو ولكن يبقى صوت وهو صوت الغنة الذي يخرج من الأنف. فمثلاً قولنا «أشهَدُ أنَّ عَلِيَاً وَلِيَ الله» فهنا تنوين تبعها الواو.

---

(١) الإخلاص (التوحيد)، ٤.

وكذلك «مَن يَقُولُ» في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله** ﴾[1]، فهنا النون ساكنة وتبعها الياء فيكون ادغام وفيه غنة. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾[2]، فجاء بعد النون الساكنة الواو فتدغم ويكون فيه الغنة.

بعد هذا المرور السريع على درجات التأثر نتيجة للمماثلة في الأصوات، ننتقل على ما يجري للحروف على هذه الدرجات ونأخذ أمثلة قرآنية تبيّن لنا درجات التأثر وأنواع التأثر في هذه الكلمات القرآنية.

- **حرف الباء**

ونبتدئ بحرف الباء، لقد وردت في كتب القراءات أنّ هذا الصوت يُدغم في الميم ويُدغم في الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ** ﴾[3]، فكما مرّ سابقاً تُدغم الباء بالميم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعجَب فَعَجَبٌ** ﴾[4]، فتدغم الباء من «تعجب» في الفاء.

وادغام الباء في حروف اللين كثير جداً والسبب في ذلك أنّ حرف الباء وحرف الميم كلاهما من الحروف الشفوية إلا أنّ الفرق بينهما أن حرف الميم مجرى الهواء فيه يخرج من الأنف بينما حرف الباء فمخرج الهواء فيه يخرج من الفم، فعملية الادغام انتقال الصوت من مجرى الفم إلى مجرى الأنف وبالعكس. أما ادغام الباء بالفاء فهو أقل شيوعاً.

- **حرف التاء**

إنّ هذا الحرف يُدغم في عدة أصوات وقد مرّ معنا في صيغة «افتعل» ولكن هنا نريد أن نأخذ من الآيات الكريمة فالتاء تُدغم في الثاء كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلاَ بُعداً لِّمَدينَ كَمَا بَعِدَت ثَّمُودُ** ﴾[5]، فهنا حرف التاء يُدغم في حرف الثاء فلا ننطق بحرف التاء فتُشدّد الثاء

---

(١) البقرة، ٨.

(٢) الرعد، ١١.

(٣) هود، ٤٢.

(٤) الرعد، ٥.

(٥) هود، ٩٥.

وتلغى التاء نهائياً من القراءة. وأما التعليل الصوتي لهذه الظاهرة، الهواء عندما يخرج من الفم في حرف التاء نسمح للهواء بالمرور فتكون رخوة حيث أن التاء من الحروف الرخوة، والثاء مخرج الصوت ينتقل إلى الأمام متجهاً نحو مخرج الأصوات اللثوية التي تخرج من اللثة فيكون هناك تقارب بين صوتي التاء والثاء، أي أنّ هناك تجاور في المخرج بين هذين الحرفين ونتيجة لهذا التقارب يحدث هذا الادغام فتُبدل التاء إلى ثاء التي هي بعدها، وهذا من التأثر الرجعي.

وهناك ادغام بين التاء والجيم، كما في قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلنَاهُم جُلُوداً غَيرَهَا** ﴾[1]، فهنا حرف التاء لا يُنطق به وإنما ننتقل رأساً إلى حرف الجيم وهناك فارق كما يتبيّن لكم من النطق حيث أن حرف التاء حرف مهموس وحرف الجيم حرف مجهور وكذلك يتم الادغام لتجاور هذين المخرجين، فيحدث الادغام بأن تُلغى التاء وينتقل الصوت إلى حرف الجيم فلا يبقى صوت للتاء.

وهناك ادغام بين التاء والظاء، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمنَا عَلَيهِم شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَت ظُهُورُهُمَا** ﴾[2]، نجد هنا أن التاء لا ننطق بها وإنما ننتقل من اللام إلى الظاء، والعلة في هذا الادغام لوجود التقارب في المخرج.

وأيضاً ادغام بين التاء والسين، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَجَاءت سَيَّارَةٌ فَأَرسَلُوا وَارِدَهُم** ﴾[3]، فهنا التاء لا يُنطق بها فننتقل من الهمزة إلى السين ونُشدّد السين.

وكذلك الادغام بين التاء والصاد، في قوله تعالى: ﴿ **حَصِرَت صُّدُورُهُم** ﴾[4]، فندغم التاء بالصادق فنقول «حَصِرَ صُّدُورُهُم».

وهكذا الادغام بين التاء والزاي، في قوله تعالى: ﴿ **مَّأوَاهُم جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَت زِدنَاهُم سَعِيراً** ﴾[5]، فهنا تُدغم التاء بالزاي ولا يُنطق بها وتكون من الادغام الكامل.

---

(١) النساء، ٥٦.

(٢) الأنعام، ١٤٦.

(٣) يوسف، ١٩.

(٤) النساء، ٩٠.

(٥) الاسراء، ٩٧.

- **حرف الثاء**

هناك مثل وحيد في القرآن الكريم في ادغام حرف الثاء وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** ﴾[1]، فالادغام يكون بين الثاء والذال في قوله تعالى: ﴿ **يَلهَث ذَّلِكَ** ﴾ فالثاء كما تعلمون حرف مهموس بينما الذال حرف مجهور، وذكرنا أنّه لا يصح هذا التقارب في النطق بين الحرف المهموس وبين الحرف المجهور لذلك تُدغم هذه الثاء في حرف الذال فينتقل اللسان رأساً من الهاء إلى حرف الذال.

- **حرف الجيم**

في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإنجِيلِ كَزَرعٍ أَخرَجَ شَطأَهُ** ﴾[2]، ويتم في هذا الموضع أن تفقد الجيم جهرها أي أنّ الجيم بدل أن تكون جهرية تزداد رخاوة ولا يتم فيها الادغام لأنه هذا من النوع الادغام الكبير حتى يحدث التماثل بين الجيم والشين في قوله تعالى: ﴿ **أَخرَجَ شَطأَهُ** ﴾، لتقارب الهمس والرخاوة التي هي في الجيم والشين فلا نُدغم الجيم في الشين وإنما نزيد الجيم رخاوةً حتى تقترب من حرف الشين.

كذلك الادغام الكبير بالجيم في التاء فلا يفنى الحرف ويبقى أثره ويبقى صوته ولكن تتغيّر صفته كما في قوله تعالى: ﴿ **مِّنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ ۞ تَعرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيهِ** ﴾[3]، فمحل الشاهد ﴿ **المَعَارِجِ ۞ تَعرُجُ** ﴾ هنا يجب همس الجيم أولاً فلابد أن يكون مهموساً حتى يتقارب هذا الصوت من صوت التاء لأنّ التاء صوت مهموس.

- **حرف الدال**

هناك ادغام صغير بين الدال والذال، وذلك في قوله سبحانه تعالى: ﴿ **وَلَقَد ذَرَأنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإنسِ** ﴾[4]، فهنا لابد من الانتقال من مخرج الدال إلى الأصوات

---

(١) الأعراف، ١٧٦.

(٢) الفتح، ٢٩.

(٣) المعارج، ٣ و٤.

(٤) الأعراف، ١٧٩.

اللثوية ثم السماح للهواء بالمرور في حالة النطق كي تصبح رخوة كالذال وهكذا يتم الادغام فتقول «ولَقَ ذَّرَأْنا» فالدال لا يُلفظ ويُشدّد حرف الذال حيث أنّه يُدغم الدال في الذال فيفنى فيه الدال فناءاً تاماً.

وكذلك ادغام حرف الدال في حرف الظاء وذلك في قوله عزّ من قائل: ﴿ **وَمَن يَفعَل ذَلِكَ فَقَد ظَّلَمَ نَفسَهُ** ﴾[١]، فهنا يجوز ادغام الدال في الظاء، فكلاهما حرفان مجهوران من حروف الاطباق، ونجري التقارب بين الدال والظاء كي لا يعوّق مسير اللسان في النطق، فنقلب حرف الدال إلى ظاء ونفنيه تماماً ونُشدّد الظاء، فنقول: «فَقَ ظَّلَمَ»,

وأيضاً الادغام الدال بحرف الضاد في قوله تعالى: ﴿ **قَد ضَّلُّوا ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾[٢]، فالدال ندغمها في الضاد وحرف الضاد من حروف الاطباق.

وكذلك ادغام الدال في حرف الجيم كما في قوله تعالى: ﴿ **لَقَد جَاءكُم رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُم** ﴾[٣]، فالدال التي هي من الحروف اللثوية ينتقل مخرجها إلى وسط الحنك وهو مخرج حرف الجيم فنقول «لَقَ جَّآءَكُم».

وادغام الدال في حرف السين كما في قوله تعالى: ﴿ **قَد سَأَلَهَا قَومٌ مِّن قَبلِكُم** ﴾[٤]، فهنا حتى تصبح الدال رخوة وتماثل السين في الهمس والرخاوة فنقرّب مخرج الدال إلى السين.

وهكذا ادغام الدال في حرف الشين كما في قوله تعالى: ﴿ **قَد شَغَفَهَا حُبّاً** ﴾[٥]، فنقول «قَ شَغَفَها» فندغم الدال في حرف الشين.

وكذلك ادغام الدال في الزاي كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَقَد زَّيَّنَّا السَّمَاء الدُّنيَا بِمَصَابِيحَ** ﴾[٦]، فندغم الدال في الزاي فتقارب بالرخاوة والجهر.

---

(١) البقرة، ٢٣١.

(٢) النساء، ١٦٧.

(٣) التوبة، ١٢٧.

(٤) المائدة، ١٠٢.

(٥) يوسف، ٣٠.

(٦) الملك (تبارك)، ٥.

وأيضاً ادغام الدال في الصاد كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَد صَرَّفنَا فِي هَذَا القُرآنِ** ﴾[1]، فنُدغم الدال بحرف الصاد كما أدغمنا الدال في حرف السين. ولا فرق بين السين والصاد إلا في الاطباق لأنّ كلاهما من حروف الصفير.

كذلك ادغام الدال في الثاء في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُرِد ثَوَابَ الدُّنيَا نُؤتِهِ مِنهَا وَمَن يُرِد ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤتِهِ مِنهَا وَسَنَجزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾[2]، فالدال «يُرد» حرف مجهور والثاء حرف مهموس فلابد من جعل الدال رخوة حتى ننتقل بها إلى الأصوات اللثوية.

- **حرف الذال**

هناك ستة أمثلة على هذا الادغام أي ادغام الذال بحروف متعددة ونبتدئ بادغام الذال في التاء من قوله تعالى: ﴿ **وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِن شَكَرتُم لأَزِيدَنَّكُم** ﴾[3]، فهنا هذا حرف الذال وهو من الحروف المجهورة وأما التاء من الحروف المهموسة فيصعب النطق بحرف مجهور وإلى جانبه حرف مهموس فلذلك ينتقل اللسان إلى الهمس، فحرف الذال يقترب إلى الهمس الشديد، وهذا نوع من الادغام النادر.

والثاني ادغام حرف الذال بالدال وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَولا إِذ دَخَلتَ جَنَّتَكَ** ﴾[4]، كذلك هنا ادغام حرف الذال بالدال فاقترب بحرف الذال إلى مخرج الدال حتى يخرج الصوت متقارباً متماثلاً في درجات الشدة والهمس.

والثالث ادغام حرف الذال بالجيم كقوله تعالى: ﴿ **إِذ جَاء رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ** ﴾[5]، فنسحب هذه الذال إلى وسط الحنك كي يتقارب ويتماثل الصوتان.

---

(١) الإسراء، ٥٠.

(٢) آل عمران، ١٤٥.

(٣) إبراهيم، ٧.

(٤) الكهف، ٣٩.

(٥) الصافات، ٨٤.

الرابع ادغام حرف الذال بالسين كقوله تعالى: ﴿ **لَولا إِذ سَمِعتُمُوهُ** ﴾[١]، تُهمس الذال ثم يتنقل مخرجها قليلاً إلى الوراء لتقترب من مخرج السين لأن مخرج الذال من بين الأسنان والثنايا، ومخرج السين من الحروف اللثوية.

الخامس ادغام حرف الذال بالزاي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُم** ﴾[٢]، هنا الكلام فيه كما في المثال السابق في أنّ الذال من الحروف التي تخرج من بين الأسنان واللثة، والزاي هي من الحروف التي تخرج من اللثة فلابد من التقارب بين هذين الصوتين فنقرّب مخرج الذال من مخرج الزاي.

السادس ادغام حرف الذال بالصاد وذلك من قوله تعالى: ﴿ **وَإِذ صَرَفنَا إِلَيكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ** ﴾[٣]، والكلام فيها كما في حرف السين والزاي فلا خلاف فيها إلا من حيث الاطباق.

- **حرف الراء**

«لا تُدغم الراء في الأمثلة القرآنية إلا في اللام»[٤]، أي لا توجد لها ادغام إلا في حرف واحد وهو اللام ففي كل القرآن الراء لا تُدغم إلا في حرف اللام، ومثاله من قوله تعالى: ﴿ **قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللهُ وَيَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم** ﴾[٥]، ولا تتضح الراء هنا لقرب المخرج مع اتحاد في الصفة (الشدة والرخاوة) فلا تسمع إلا حفيف الراء

- **حرف السين**

ويتم ادغام السين في حرفين فقط هما الزاي والشين، فادغام السين مع الزاي وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَت** ﴾[٦]، وهو ادغام واضح جليّ إذ لا فرق بين السين والزاي إلا أنّ السين مهموسة وحرف الزاي مجهور، وحرف الزاي هو نظير حرف السين.

---

(١) النور، ١٢.

(٢) الأنفال، ٤٨.

(٣) الأحقاف، ٢٩.

(٤) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ١٢٩.

(٥) آل عمران، ٣١.

(٦) التكوير، ٧.

ومثال ادغام السين بالشين قوله تعالى: ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيباً** ﴾[1]، فيتم الادغام هنا بانتقال السين إلى وسط الحنك وبهذا تشبه الشين همساً ورخاوة، فيكون الوضوح في حرف الشين وأما السين فتكاد لا تظهر.

- **حرف الفاء**

وتُدغم الفاء في حرف واحد وهو الباء، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِن نَّشَأْ نَخسِفْ بِهِمُ الأَرضَ** ﴾[2]، وهذا الادغام يُروى عن الكسائي في حين عند الباقي أظهر.

- **حرف القاف**

وأيضاً حرف القاف يُدغم ادغاماً كبيرة في حرف واحد وهو الكاف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَد خَلَقَكُم أَطوَاراً** ﴾[3]، لأن القاف عندما ينطق بها لا فرق بينها وبين الكاف إلا أنّ القاف أعمق قليلاً.

- **حرف الكاف**

ويدغُم ادغاماً كبيراً في حرف واحد وهو القاف كما في قوله تعالى: ﴿ **وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعلَمُ مَا لاَ تَعلَمُونَ** ﴾[4]، فمحل الشاهد هو ﴿ **لَكَ قَالَ** ﴾، واشترط القرّاء في الكاف أو العكس أن يكون قبل الصوت المدغم متحرك فلابد أن يكون الكاف محرّك حتى يتم فيه الادغام.

- **حرف اللام**

وهذا الحرف لكثرة شيوعه في اللغة العربية وكثرة استعماله لم يطرأ عليه من التغيير ما شمل تغيير بقية الحروف والأصوات التي جرت عليها تغييرات كثيرة وفيها خلافات كثيرة بين القرّاء وكذلك خلافات كثيرة بين الحروف كما هو الحال بالنسبة لحرف الجيم وحرف القاف

---

(١) مريم، ٤.

(٢) سبأ، ٩.

(٣) نوح، ١٤.

(٤) البقرة، ٣٠.

وحرف الظاء وحرف الثاء، فهذه الحروف بعض الشعوب تنطق الآن باللغة العامية فتقلب مثلاً حرف السين ثاء فنحن نقول «الثانوية» وأما اللهجة المصرية فيقولون «السانوية»، وكذلك ما بين الجيم والجيم المعطشة «چ» بينما حرف اللام لكثرة استعماله ولكثرة وروده لم يطرأ عليه ذلك التغيّر، وكل حرف يكثر استعماله يبقى بنفس الشكل ولا يحدث له أي تغيير.

ولكن هذا الحرف ورد فيه الادغام لما يجاوره من الحروف وميله إلى الفناء في معظم أصوات اللغة فلام التعريف تُدغم في ١٣ صوتاً (حرفاً) ولا يجوز في اللام معهنّ إلا الادغام، فكما هو معلوم أن لام التعريف في الحروف الشمسية[١] تُدغم ولا يُنطق معها فمثلاً كلمة «الشّمس» أو «السّلام» فنقول «اَشَّمس» «اَسَّلام» فلا يُنطق اللام ويُشدد الحرف الذي يليه.

وكذلك هناك ادغام اللام التي ليست للتعريف «وقد رويت لنا اللام التي ليست للتعريف مدغمة في الأمثلة القرآنية في عشرة أصوات فقط هي: الراء – التاء – الثاء – الزاي – السين – الضاد – الطاء – الظاء – النون – الذال»[٢]. وسنأخذ لكل ادغام من هذه الحروف مثالاً من القرآن الكريم وهي كالتالي:

أولاً – ادغام اللام في الراء كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيكَ** ﴾[٣]، فهنا الادغام بين اللام والراء وهذا من الادغام الكبير، ويشترط في القراءة أن يكون حرف اللام الذي نريد ادغام بحرف الراء متحركاً.

ثانياً – ادغام اللام في التاء كما في قوله تعالى: ﴿ **قُل يَا أَهلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَن آمَنَّا بِاللهِ** ﴾[٤]، وهنا لا يُشترط أن تكون اللام متحركة كما في الادغام السابق.

---

(١) الحروف الشمسية هي: التاء (ت) – الثاء (ث) – الدال (د) – الذال (ذ) – الراء (ر) – الزاي (ز) – السين (س) – الشين (ش) – الصاد (ص) – الضاد (ض) –الطاء (ط) – الظاء (ظ) – اللام (ل) – النون (ن).
وأما الحروف القمرية فهي: الالف (ا) – الباء (ب) –الجيم (ج) – الحاء (ح) – الخاء (خ) – العين (ع) – الغين (غ) – الفاء (ف) – القاف (ق) – الكاف (ك) – الميم (م) – الهاء (هـ) – الواو (و) – الياء (ي). وقد جمعت بالعبارة التالية: «ابغ حجك وخف عقيمه»

(٢) الأصوات اللغوية، مصدر سابق، ص ١٣٢ و١٣٣.

(٣) هود، ٨١.

(٤) المائدة، ٥٩.

ثالثاً – ادغام اللام في الثاء ومثاله كما في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ** ﴾[١].

رابعاً – ادغام اللام في الزاي كما في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكرُهُم وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ** ﴾[٢].

خامساً – ادغام اللام في السين كما في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمراً فَصَبرٌ جَمِيلٌ** ﴾[٣].

سادساً – ادغام اللام في الضاد، قوله تعالى: ﴿ **بَلْ ضَلُّوا عَنهُم وَذَلِكَ إِفكُهُم** ﴾[٤]،

سابعاً – ادغام اللام في الطاء، قوله تعالى: ﴿ **بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيهَا بِكُفرِهِم فَلاَ يُؤمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[٥].

ثامناً – ادغام اللام في الظاء، قوله تعالى: ﴿ **بَلْ ظَنَنتُم أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ** ﴾[٦].

تاسعاً – ادغام اللام في النون، قوله تعالى: ﴿ **بَلْ نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ** ﴾[٧].

عاشراً – ادغام اللام في الذال كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَفعَلْ ذَلِكَ فَلَيسَ مِنَ اللهِ فِي شَيءٍ** ﴾[٨].

بهذا نكون قد انتهينا من الأمثلة القرآنية على ادغام هذه الحروف بالادغام الكبير والصغير والذي يكون في بعضها إخفاءاً وفي بعضها يفنى الحرف فناءاً تاماً.

---

(١) المطففين، ٣٦.

(٢) الرعد، ٣٣.

(٣) يوسف، ٨٣.

(٤) الأحقاف، ٢٨.

(٥) النساء، ١٥٥.

(٦) الفتح، ١٢.

(٧) الأنبياء، ١٨.

(٨) آل عمران، ٢٨.

# القسم الثالث: تجويد القرآن الكريم

التجويد لغة: تجودته وتخيّرته وطلبتُ أن يكون جيداً، وصانع مُجيد ومجواد أي أنّه جيد الصنع، وجوّد الشيء حسّنه، القارئ حافظ على التجويد في القراءة هذا من الناحية اللغوية.

التجويد اصطلاحاً: إنّ ما تُعورف عليه باختصار هو: التجويد اصطلاحاً هو إعطاء كل حرف من القرآن حقّه ومستحقه بمقتضى أصول معهودة بإعطاء حقّه وصفته اللازمة له من من همس وجهر وشدّة ورخاوة. كذلك استحقاق الحرف من الترقيق والتفخيم وأيضاً مراعاة المدود والوقوف.

وأما الغاية من علم التجويد فهي تعلّم النطق بألفاظ القرآن الكريم على نحو ما بلّغه النبي (ص) فعندما يتعلم الإنسان علوم التجويد يحافظ على ما نزل به القرآن الكريم من لغة ومن نطق ومن مدود ووقفات حتى لا يشتمل التغيير الذي حصل لبقية اللغات وبقية الأصوات التي تطرأ بشكل كسنة كونية. فلو حصل وأن تغيّر – والعياذ بالله – شيء من هذه الأصوات أو الحروف أو النطق لحصل أيضاً تغيّر في المعاني وكذلك لا يحصل الحفظ، فيجب حفظ القرآن الكريم من كل أوجهه ومتطلباته ومن كل نواحيه.

الأمة الإسلامية تتعبد في التلاوة والتجويد وإقامة الأحكام وإجراء الحدود التي وضعها أهل هذا الفن. ومعرفة التجويد غالباً ما تكون على يد شيخ أو المقرئ لأن العملية عملية تلقي وعملية تلقين، والرموز لا تُعطي الأصوات بالشكل الدقيق فلابد من وجود أستاذ مقرئ هو الذي يُعطي هذا الإرث اللغوي والصوتي للمتعلّم.

وللتجويد أهمية كبيرة إضافة إلى الأجر والثواب الذي يحصله الانسان من هذا العلم وتعليمه ومن تجويد القرآن، فكلما تقرّب الإنسان بهذه العلوم إلى الله تعالى كلما حصل على أجر وثواب. فللتجويد أهمية كبيرة في حفظ النطق القرآني وقراءة الآيات الكريمة بشكل صحيح.

وأنّ المجوّد أو المقرئ الذي يجيد القراءة هو المفضل في إمامة الجماعة فإن الذي لا يجيد القراءة على النحو العربي لا يصح أن يتقدم في إمامة الجماعة.

# الفصل الأول: أحكام النون الساكنة والتنوين

إن للنون الساكنة والتنوين أربعة حالات وهي: الاظهار والادغام والاقلاب والاخفاء. ونأخذ كل حالة من هذه الحالات نعرّفها ونعطي بعض الأمثلة عليها من القرآن الكريم.

**الحالة الأولى: الاظهار**

الاظهار لغة هو البيان، أظهر الشيء أي أبانه، ولكن في الاصطلاح إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنّة حيث أنّ بعض الحروف تخرج بغنة والبعض الآخر بغير غنة.

فالاظهار إخراج كل حرف من مخرجه بغير غنّة أي لا تشوبه شائبة إخراج الصوت من الأنف وإنما يخرج الحرف من المخرج الطبيعي للحرف بدون أن يشوبه شائبة الغنة.

إنّ هذا الاظهار يجري في أحد الحروف الحلقية، كلما جاء حرف من حروف الحلق الستة وهي: الهمزة – الهاء – العين – الحاء – الغين والخاء. فهذه الحروف إذا جاءت بالكلمة لابدّ من الاظهار في النون الساكنة أو التنوين.

ومثال الهمزة في كلمة واحدة «ينئون» وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مَن آمَنَ** ﴾[1]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ **رَسُولٌ أَمِينٌ** ﴾[2]، فهنا نظهر التنوين لأنّه جاء بعدها الهمزة.

ومثال الهاء في كلمة واحدة في قوله تعالى: ﴿ **يَنْهَونَ** ﴾[3]، و﴿ **فَانهَارَ** ﴾[4]، وفي كلمتين كقوله تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ** ﴾[5]، ففي هذه الكلمات يجب فيها إظهار النون لأنّه جاء بعدها الهاء.

---

(١) البقرة، ٦٢.

(٢) الشعراء، ١٠٧.

(٣) آل عمران، ١٠٥.

(٤) التوبة (براءة)، ١٠٩.

(٥) الأنعام، ٩٠.

مثال العين في كلمة واحدة من قوله تعالى: ﴿ **يَنْعِقُ** ﴾[١] و﴿ **أَنْعَمتَ** ﴾[٢]، وتأتي أيضاً في كلمتين كما في قوله تعالى: ﴿ **مِنْ عِلمٍ** ﴾[٣] و﴿ **مِّنْ عَمَلِ** ﴾[٤]، ومثال التنوين في قوله تعالى: ﴿ **عَذَابٌ عظِيمٌ** ﴾[٥] و﴿ **سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٦]

مثال الحاء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **يَنحِتُونَ** ﴾[٧]، وفي كلمتين في قوله تعالى: ﴿ **مِنْ حَسَنَةٍ** ﴾[٨]، ومثال التنوين قوله تعالى: ﴿ **عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[٩] وأيضاً قوله تعالى: ﴿ **مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[١٠].

مثال الغين في كلمة واحدة قوله تعالى: ﴿ **فَسَيُنْغِضُونَ** ﴾[١١]، وفي كلمتين قوله تعالى: ﴿ **مِنْ غِلٍّ** ﴾[١٢]، ومثال التنوين قوله تعالى: ﴿ **عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾[١٣] و﴿ **إِلَهٍ غَيرُهُ** ﴾[١٤].

وأما الخاء ففي كلمة واحدة قوله تعالى: ﴿ **وَالمُنْخَنِقَةُ** ﴾[١٥]، وفي كلمتين قوله تعالى: ﴿ **مِّنْ خَيرٍ** ﴾[١٦]، ومثال التنوين قوله تعالى: ﴿ **قَومٌ خَصِمُونَ** ﴾[١٧].

---

(١) البقرة، ١٧١.

(٢) الفاتحة (الحمد)، ٧.

(٣) النساء، ١٥٧.

(٤) المائدة، ٩٠.

(٥) البقرة، ٧.

(٦) البقرة، ١٨١.

(٧) الحجر، ٨٢.

(٨) النساء، ٧٩.

(٩) النساء، ٢٦.

(١٠) فصلت، ٤٢.

(١١) الإسراء، ٥١.

(١٢) الأعراف، ٤٣.

(١٣) فاطر، ٢٨.

(١٤) الأعراف، ٥٩.

(١٥) المائدة، ٣.

(١٦) البقرة، ١٠٥.

(١٧) الزخرف، ٥٨.

**الحالة الثانية: الادغام**

وقد مرّ علينا بأن الادغام لغة هو ادخال الشيء في الشيء واصطلاحاً التقاء حرف ساكن بمتحرك فيصيران حرفاً مشدّداً يرتفع اللسان عنده ارتفاعة واحدة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ **لِقَومٍ يُّوقِنُونَ** ﴾[1]، فهنا الميم بعدها تنوين وجاء بعدها ﴿ **يُّوقِنُونَ** ﴾ فندغم التنوين أي ننتقل به إلى حرف الياء فنشدّد الياء فيرتفع اللسان عندهما ارتفاعة واحدة فيبقى فيه الغنة بمعنى يبقى مخرج الهواء من الأنف سارياً.

والادغام على قسمين: الأول بغير غنة ويسمى بالادغام الكامل وهو في حرفين باللام، والثاني بغنة ويسمى بالادغام الناقص لأنه لا يختفي فيه الحرف اختفاءً كاملاً وهي بحروف أربعة: الياء والنون والميم والواو.

والحروف التي يجب فيها الادغام هي ستة يجمعها كلمة «يرملون» فبعض منها التي يجمعها كلمة «ينمو» يجب فيها الادغام بغنة، وأما الحرفان الآخران (اللام والراء) فيجب فيها الادغام بغير غنة ويُسمى ادغاماً كاملاً.

الادغام بغنة وهو الادغام الناقص مثل قوله تعالى: ﴿ **أَنْ يَّقُولُوا** ﴾[2]، فهنا النون الساكنة جاء بعدها أحد حروف «يرملون» وهي الياء فنحذف النون وتبقى فقط الغنّة ونشدّد الياء، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ **لِقَومٍ يُّوقِنُونَ** ﴾.

وأما إذا كانت النون الساكنة في كلمة واحدة وجاء بعدها أحد حروف كلمة «ينمو» فحينئذ تظهر النون كما في كلمتي «دُنْيا وبُنْيان» فهنا لا تدغم النون وإنما تظهر.

وادغام النون مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **عَنْ نَّفسٍ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **حِطَّةٌ نَّغْفِر لَكُم** ﴾[4]، وهنا هو ادغام التنوين، فهو ادغام النون في النون.

---

(١) البقرة، ١١٨.

(٢) هود، ١٢.

(٣) البقرة، ٤٨.

(٤) البقرة، ٥٨.

وادغام الميم مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **مِّن مَّلجَأٍ** ﴾[1] و﴿ **هُدىً مِّنْ رَّبِّهِم** ﴾[2] فالأول ﴿ **هُدىً مِّن** ﴾ ادغام ناقص وأما ﴿ **مِّنْ رَّبِّهِم** ﴾ فهو ادغام بغير غنة أي ادغام كامل لأن النون الساكنة جاء بعدها الراء.

وادغام الواو مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ وَّالٍ** ﴾[3]، فنُشدّد الواو ونحذف النون وتبقى الغنّة، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **هُدًى وَّرَحمَةً** ﴾[4] و ﴿ **وَرَعدٌ وَّبَرقٌ** ﴾[5]. وأما إذا كانت النون الساكنة في كلمة واحدة وجاءت بعدها الواو مثل كلمة «صنوان» فتظهر ولا تدغم.

وأما الادغام الكامل بلا غنة في ادغام اللام مثل قوله تعالى: ﴿ **يُبَيِّنْ لَّنَا** ﴾[6] فالنون الساكنة هنا جاءت بعدها اللام ولا يوجد غنّة، كذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ** ﴾[7] و﴿ **فَإِنْ لَّم تَفعَلُوا** ﴾[8]، وفي التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **بَيَانٌ لِّلنَّاسِ** ﴾[9].

وادغام الراء مثل قولـه تعالى: ﴿ **مِّنْ رَّبِّهِم** ﴾[10]، وفي التنوين كما في قولـه تعالى: ﴿ **ثَمَرَةٍ رِّزْقاً** ﴾[11] و ﴿ **غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[12]، فهذه الأمثال كلها ادغام كامل مع التنوين والنون.

انتهينا من الحالة الثانية وهي الادغام بقسميها الادغام الكامل بدون غنة، والادغام الناقص بغنة.

---

(١) الشورى، ٤٧.
(٢) البقرة، ٥.
(٣) الرعد، ١١.
(٤) الأعراف، ٥٢.
(٥) البقرة، ١٩.
(٦) البقرة، ٦٨.
(٧) الإخلاص (التوحيد)، ٤.
(٨) البقرة، ٢٤.
(٩) آل عمران، ١٣٨.
(١٠) البقرة، ٥.
(١١) البقرة، ٢٥.
(١٢) البقرة، ١٧٣.

**الحالة الثالثة: الاقلاب**

الاقلاب لغة تحويل الشيء عن وجهه، وأما في الاصطلاح جعل حرفٍ مكان حرف آخر مع مراعاة الغنة. فالنون الساكنة إذا سبقت الباء في كلمة أو كلمتين قُلبت ميماً خاصة بغنة، وكذلك التنوين قبل الباء.

فإذا سبقت حرف الباء نون ساكنة في كلمة واحدة تُقلب إلى ميم بغنّة كقوله تعالى: ﴿ **يُنْبِتُ** ﴾[١] فتُقرأ «يُمْبِتُ» وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أَنْبِئْهُم** ﴾[٢]، فننطق هذه الكلمة «أَمْبِئْهُم» فيحدث اقلاب بهذه النون الساكنة إذا جاء بعدها باء. وكذلك التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **عَلِيمٌ بِالمُفسِدِينَ** ﴾[٣] و﴿ **سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[٤] وأيضاً قوله تعالى: ﴿ **أَلِيمٌ بِمَا** ﴾[٥] .. الخ.

**الحالة الرابعة: الاخفاء**

الاخفاء لغة هو الستر، وأما اصطلاحاً النطق بحرف ساكن عارٍ (خالٍ) عن التشديد على حال بين الاظهار والادغام من بقاء الغنّة في الحرف الأول وهو النون الساكنة والتنوين. ونُخفي النون الساكنة والتنوين إذا جاء بعدها أحد هذه الحروف (وهي ١٥ حرفاً)[٦] التي هي مجموعة في هذا البيت:

صف ذا ثنا كم جاد شخصٌ قد سما  دم طيباً زد في تقى ضع ظالما

فكل حرف من أول كلمة من هذا البيت هو حرف من حروف الاخفاء، فإذا جاءت النون الساكنة أو التنوين قبل أحد هذه الحروف فهنا يجب الاخفاء وهي الحالة بين الاظهار والادغام.

---

(١) آل عمران، ١٣٨.

(٢) البقرة، ٣٣.

(٣) آل عمران، ٦٣.

(٤) الحج، ٦١.

(٥) البقرة، ١٠.

(٦) وهي كالتالي: ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ.

| حروف الإخفاء | مع النون الساكنة في كلمة | مع النون الساكنة في كلمتين | مع التنوين |
|---|---|---|---|
| ١- ص | انْصرنا | عنْ صَلاتهم | قوماً صَالحين |
| ٢- ذ | منْذر | منْ ذا الذي | وكيلاً ذُرية |
| ٣- ث | والأنْثى | منْ ثمره | قولاً ثَقيلا |
| ٤- ك | المنْكر | منْ كان | كتابٌ كريم |
| ٥- ج | أنْجيناه | إنْ جعل | خلقٍ جديد |
| ٦- ش | أنْشره | إنْ شاء | غفورٌ شكور |
| ٧- ق | فانْقلبوا | منْ قرار | سميعُ قريب |
| ٨- س | الإنْسان | منْ سوء | رجلاً سلما |
| ٩- د | أنْدادا | إنْ دعوا | كأساً دهاقا |
| ١٠- ط | مقنْطرة | منْ طين | صعيداً طيباً |
| ١١- ز | تنْزيل | منْ زوال | صعيداً زلقا |
| ١٢- ف | فانْفلق | منْ فضله | خالداً فيها |
| ١٣- ت | كنْتم | مَنْ تاب | جناتٍ تجري |
| ١٤- ض | منْضود | مَنْ ضل | وكلاً ضربنا |
| ١٥- ظ | ينْظرون | منْ ظهير | ظلًا ظليلاً |

١- فنبدأ بحرف الصاد بالتنوين في قوله تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ** ﴾[١].

٢- حرف الذال في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **أَأَنذَرتَهُم** ﴾[٢]، والاخفاء في كلمتين كما في قوله تعالى: ﴿ **مِنْ ذَهَبٍ** ﴾[٣]، وفي التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **وَكِيلاً ۞ ذُرِّيَّةَ** ﴾[٤].

---

(١) المرسلات، ٣٣.

(٢) البقرة، ٦.

(٣) الكهف، ٣١.

(٤) الإسراء، ٢ و٣.

٣- حرف الثاء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **أُنْثَى** ﴾[١]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ ثَمَرَةٍ** ﴾[٢]، ومع التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **قَولاً ثَقِيلاً** ﴾[٣].

٤- حرف الكاف في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **المُنْكَرِ** ﴾[٤]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنْ كُتِبَ** ﴾[٥]، ومع التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴾[٦].

٥- حرف الجيم في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **أَنْجَيتَنَا** ﴾[٧]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنْ جَعَلَ** ﴾[٨]، ومع التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **خَلقٍ جَدِيدٍ** ﴾[٩].

٦- حرف الشين في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **أَنْشَرَهُ** ﴾[١٠]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنْ شَاء** ﴾[١١]، ومع التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾[١٢].

٧- حرف القاف في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **فَانقَلَبُوا** ﴾[١٣]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ قَرَارٍ** ﴾[١٤]، ومع التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **سَمِيعٌ قَرِيبٌ** ﴾[١٥].

---

(١) آل عمران، ٣٦.
(٢) البقرة، ٢٥.
(٣) المزمل، ٥.
(٤) آل عمران، ١٠٤.
(٥) البقرة، ٢٤٦.
(٦) النمل، ٢٩.
(٧) يونس، ٢٢.
(٨) القصص، ٧١.
(٩) الرعد، ٥.
(١٠) عبس، ٢٢.
(١١) البقرة، ٧٠.
(١٢) فاطر، ٣٠.
(١٣) آل عمران، ١٧٤.
(١٤) إبراهيم، ٢٦.
(١٥) سبأ، ٥٠.

٨- حرف السين في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **الإِنْسَانُ** ﴾[١]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ سُوَءٍ** ﴾[٢]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **وَرَجُلاً سَلَماً** ﴾[٣].

٩- حرف الدال في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **أَنْدَاداً** ﴾[٤]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **أَنْ دَعَوا** ﴾[٥]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **وَكَأساً دِهَاقاً** ﴾[٦].

١٠- حرف الطاء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **المُـقَـنْطَرَةِ** ﴾[٧]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِّنْ طِينٍ** ﴾[٨]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **صَعِيداً طَيِّباً** ﴾[٩].

١١- حرف الزاي في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **تَـنْزِيلُ** ﴾[١٠]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِّن زَوَالٍ** ﴾[١١]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **صَعِيداً زَلَقاً** ﴾[١٢].

١٢- حرف الفاء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **فَانْـفَـلَقَ** ﴾[١٣]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ فَضلِهِ** ﴾[١٤]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **خَالِداً فِيهَا** ﴾[١٥].

---

(١) النساء، ٢٨.
(٢) آل عمران، ٣٠.
(٣) الزمر، ٢٩.
(٤) البقرة، ٢٢.
(٥) مريم، ٩١.
(٦) النبأ، ٣٤.
(٧) آل عمران، ١٤.
(٨) الأنعام، ٢.
(٩) النساء، ٤٣.
(١٠) السجدة، ٢.
(١١) إبراهيم، ٤٤.
(١٢) الكهف، ٤٠.
(١٣) الشعراء، ٦٣.
(١٤) البقرة، ٩٠.
(١٥) النساء، ١٤.

١٣- حرف التاء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **كُنْتُم** ﴾[١]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مَنْ تَابَ** ﴾[٢]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **جَنَّاتٍ تَجرِي** ﴾[٣].

١٤- حرف الضاد في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **مَّنْضُودٍ** ﴾[٤]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مَّنْ ضَلَّ** ﴾[٥]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **وَكُلاً ضَرَبنَا** ﴾[٦].

١٥- حرف الظاء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **يَنْظُرُونَ** ﴾[٧]، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِّنْ ظَهِيرٍ** ﴾[٨]، والتنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **ظِلاً ظَلِيلاً** ﴾[٩].

هذه الأحرف الخمسة عشر الإخفاء فكلما جاءت بعد النون الساكنة أو التنوين فيجب إخفاء هذه النون الساكنة وهذا التنوين على حالة بين الاظهار والادغام مع مراعاة الغنّة.

---

(١) البقرة، ٢٣.

(٢) مريم، ٦٠.

(٣) البقرة، ٢٥.

(٤) هود، ٨٢.

(٥) المائدة، ١٠٥.

(٦) الفرقان، ٣٩.

(٧) البقرة، ٢١٠.

(٨) سبأ، ٢٢.

(٩) النساء، ٥٧.

# الفصل الثاني: أحكام الميم الساكنة والميم والنون المشدّدتين

ذكرنا سابقاً بأنّ الميم من الحروف التي فيها غنّة لأنّ الهواء يخرج مع النطق بالميم من الأنف وليس من الفم، فإذا جاء ساكناً كانت له ثلاثة أحكام:

**الحكم الأول: الادغام:** تدغم الميم الساكنة بغنّة كاملة إذا جاءت بعدها ميم مثلها ويسمى ادغام متماثلين وتكونان في كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ مَّثَلاً** ﴾[١]، فهنا الميم ساكنة وجاءت بعدها ميم من كلمة أخرى فتُدغم هاتان الميمان، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ مَّا يَشَاءونَ** ﴾[٢]، و ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾[٣]، فهنا ادغام المتماثلين الميم الساكنة والميم المتحركة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **لَكُمْ مَّا فِي الأَرضِ** ﴾[٤]، و ﴿ **وَلَكُمْ مَّا كَسَبتُم** ﴾[٥].

**الحكم الثاني: الاخفاء الشفوي:** والحالة الثانية هي الاخفاء الشفوي فتُخفى الميم الساكنة عند الباء على ما اختاره أبو عبد الداني وكثير من المحقّقين في علم التجويد، نحو قوله تعالى: ﴿ **يَعتَصِمْ بِاللهِ** ﴾[٦]، فتُخفى الميم وتبقى الغنّة وكذلك قوله تعالى: ﴿ **تَرمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ** ﴾[٧]، فهنا إخفاء الميم عند الباء على أن تظهر الغنّة كظهورها بعد القلب كقوله تعالى: ﴿ **أَنْبِئْهُم** ﴾ و ﴿ **مِنْ بَعدُ** ﴾. وذهب جماعة إلى إظهار الميم الساكنة إظهاراً تاماً، وهو وجه يجري به أهل العراق وغيرهم مَن اتباعهم في ذلك، يقول ابن الجزري في ذلك: «والوجهان صحيحان مأخوذ بهما إلا أنّ الإخفاء أولى للاجماع على اخفائها عند القلب»[٨]. فالقراءة الشائعة هي الاخفاء الشفوي، أي إخفاء الميم وإبقاء الغنة.

---

(١) الكهف، ٣٢.

(٢) الزمر، ٣٤.

(٣) النحل، ٥٣.

(٤) البقرة، ٢٩.

(٥) البقرة، ١٣٤.

(٦) آل عمران، ١٠١.

(٧) الفيل، ٤.

(٨) الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، تدقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ج١/ ص ٢٢٢.

**الحكم الثالث: الإظهار الشفوي:** الحالة الثالثة الإظهار الشفوي وهو أن الميم الساكنة تظهر إذا جاء بعدها جميع الحروف ما عدا حرفي الميم والباء، ففي كلمة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿ **الحَمْدُ** ﴾[١]، فالميم جاء بعدها الدال وقوله تعالى: ﴿ **وَأَمْطَرنَا** ﴾[٢]، فالميم جاء بعدها الطاء، وأما في كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ غُرَفٌ** ﴾[٣] فهنا جاء بعد الميم الغين، وقوله تعالى: ﴿ **هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾[٤]، فهنا جاء بعد الميم الياء، وقوله تعالى: ﴿ **لَهُمْ عَذَابٌ** ﴾[٥] فالميم جاء بعدها العين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ** ﴾[٦]، فالميم جاء بعدها الهاء وكذلك قوله تعالى: ﴿ **أَأَنذَرتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرهُم** ﴾[٧] فهنا جاء بعد الميم الهمز وكذلك اللام وأيضاً التاء. ولكن أشد ظهوراً عند الواو والفاء، فيكون حرف الميم أشد ظهوراً إذا جاء بعدها هذان الحرفان الواو والفاء نحو قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ فِيهَا** ﴾[٨] و﴿ **عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾[٩]، فالميم تظهر هنا أشد من الحالات في بقية الحروف لقرب مخرج الميم من مخرج الواو والفاء.

وحكمهما إظهار الغنة اللازمة لهما، فلابد من أن تظهر الغنة اللازمة في الميم والنون المشدّدتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾[١٠] وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ** ﴾[١١] و ﴿ **لَمَّا** ﴾[١٢] فهذه الميم المشدّدة لابد من اظهار الغنّة في الميم وكذلك في النون المشدّدة كما ورد سابقاً.

---

(١) الفاتحة (الحمد)، ٢.

(٢) الأعراف، ٨٤.

(٣) الزمر، ٢٠.

(٤) البقرة، ٤.

(٥) آل عمران، ٤.

(٦) البقرة، ١٢.

(٧) البقرة، ٦.

(٨) البقرة، ٢٥.

(٩) الفاتحة (الحمد)، ٧.

(١٠) هود، ١١٩.

(١١) البقرة، ٢٨.

(١٢) الأنعام، ٥.

# الفصل الثالث: أحكام اللام

ونتاول أحكام اللام أولاً من حيث الاظهار والادغام، حيث أن اللام تأتي في الاسم والفعل وتأتي أيضاً في الحرف.

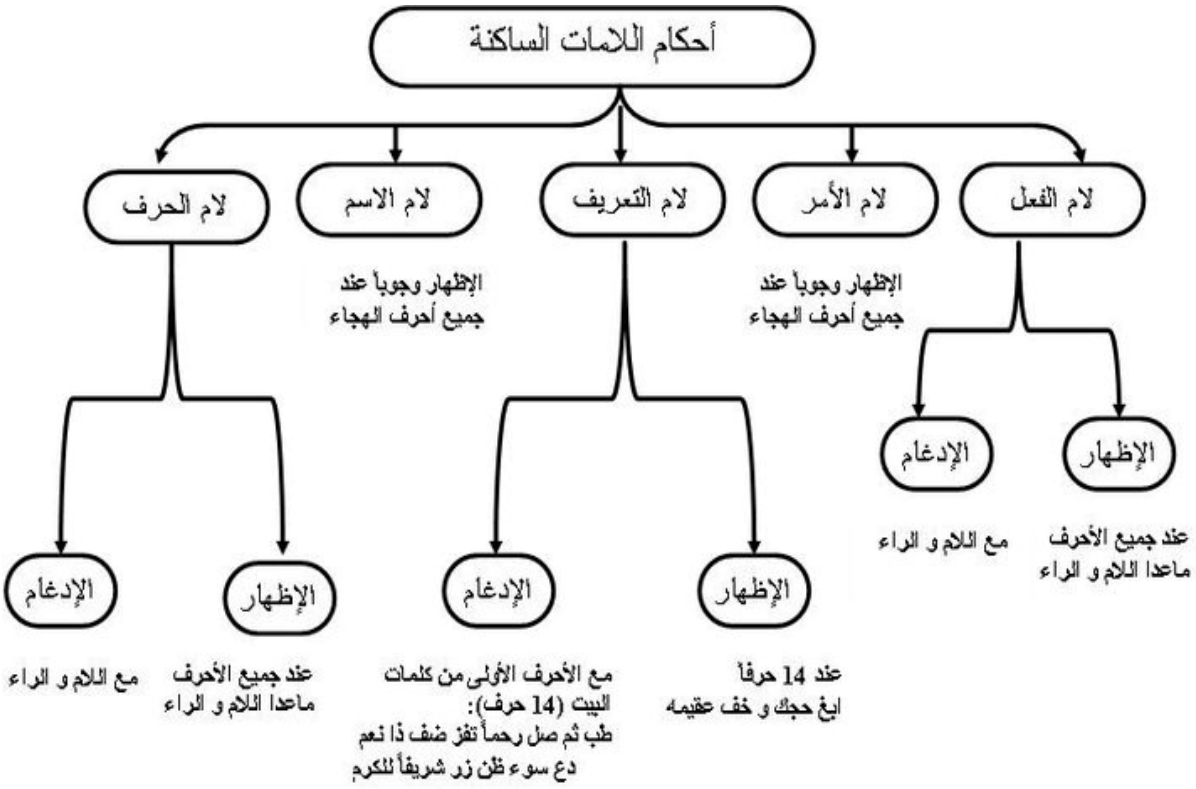


ففي لام التعريف فلها حالتان حالة اللام الشمسية وحالة اللام القمرية يعني أن اللام تُدغم إذا جاء بعدها أحد الحروف الشمسية التي يجمعها الحروف من أول كلمة لهذا البيت الذي قال فيه الشاعر:

طِبْ ثُمَّ صِلْ رَحْماً تَفُزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ  دَعْ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفاً لِلْكَرَمْ

فيجب في هذه الحالة إدغام اللام كما في قوله تعالى: ﴿ **الشَّمسَ** ﴾[1]، فلا ننطق باللام وندغمها وهكذا بقية الكلمات القرآنية التي فيها هذه الحروف الشمسية.

---

(١) الأنعام، ٧٨.

وأما إذا جاء بعد أحد الحروف القمرية التي يجمعها قولك «ابغ حجك وخف عقيمه» فهذه الحروف إذا جاءت بعد لام التعريف فيجب فيها الإظهار مثل قوله تعالى: ﴿ **القَمَرَ** ﴾[١]، فتظهر لام التعريف وهكذا بقية الحروف القمرية.

فباختصار لام التعريف لها حالتان شمسية وقمرية، تُدغم في الحروف الشمسية وتظهر في الحروف القمرية.

وأما إذا جاءت هذه اللام في الفعل ففي كل أحواله ماضٍ أو مضارع أو أمر فإنّه يجب فيها الإظهار مطلقاً، ففي الفعل الماضي مثل قوله تعالى: ﴿ **التَقَى** ﴾[٢]، والفعل المضارع كقوله تعالى: ﴿ **يَلتَقِيَانِ** ﴾[٣]، وفعل الأمر كقوله تعالى: ﴿ **كُلُوا** ﴾[٤] أو كقولكَ «كُلْ». ولكن لام الأمر في فعل مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ** ﴾[٥]، لابد أن تُشدّد مع حرف اللام إذا جاء بعدها لام مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ لَّهُمَا** ﴾[٦]، وكذلك مع حرف الراء إذا جاء بعد اللام حرف الراء كقوله تعالى: ﴿ **قُل رَّبِّي** ﴾[٧].

لام الحرف فلابد الإظهار فيه كقوله تعالى: ﴿ **هَلْ عَسَيتُم** ﴾[٨]، ﴿ **بَلْ أَنتُم** ﴾[٩].

لام الاسم فحكمه الاظهار مطلقاً كقوله تعالى: ﴿ **أَلْسِنَتُكُمُ** ﴾[١٠]، ﴿ **وَأَلْوَانِكُم** ﴾[١١]، ﴿ **أَلفَافاً** ﴾[١٢]، وهي لام أصلية وليست مزيدة.

---

(١) الأنعام، ٧٧.

(٢) آل عمران، ١٥٥.

(٣) الرحمن، ١٩.

(٤) البقرة، ٥٧.

(٥) الكافرون والإخلاص (التوحيد) والفلق والناس، ١.

(٦) الإسراء، ٢٣.

(٧) الكهف، ٢٢.

(٨) البقرة، ٢٤٦.

(٩) المائدة، ١٨.

(١٠) النحل، ١١٦.

(١١) الروم، ٢٢.

(١٢) النبأ، ١٦.

وأما لام الأمر التي تدخل على فعل المضارع فتقلبه إلى أمر وحكمها الاظهار كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَكْتُب** ﴾[1] و ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا** ﴾[2]، فهنا لام الأمر تظهر.

## ترقيق اللام وتفخيمها

إنّ للام حالتين من حيث الصوت فمرةً تُرقّق ومرة تُفخّم ففي كلمة الجلالة «الله» حينما تقول في قوله تعالى: ﴿ **الحَمدُ للهِ** ﴾[3] فهنا اللام مرقّقة بينما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ** ﴾[4] تكون اللام مفخّمة. فما هي القاعدة التي نعرفها في التجويد في حالات تفخيم اللام وترقيقها ؟

تُفخّم اللام في ثلاثة مواضع من اسم الجلالة وهي كالتالي:

الأولى: إذا انفتح ما قبلها مثل قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً** ﴾[5] فهنا الباء مفتوحة واللام في لفظ الجلالة فُخّمت وكذلك قوله تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللهُ** ﴾[6].

الثانية: إذا ضُمّ ما قبلها مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي عَبدُ اللهِ** ﴾[7]، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاء نَصرُ اللهِ** ﴾[8].

الثالثة: إذا جاء قبلها ساكن بعد ضم مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا اللهُمَّ** ﴾[9].

وأما ترقيق اللام فما عدا هذه الأحوال الثلاثة فيجب فيها ترقيق اللام.

---

(١) البقرة، ٢٨٢.

(٢) الحج، ٢٩.

(٣) الحمد (الفاتحة)، ٢.

(٤) البقرة، ٢٠.

(٥) إبراهيم، ٢٥.

(٦) آل عمران، ١٨.

(٧) مريم، ٣٠.

(٨) النصر، ١.

(٩) الأنفال، ٣٢.

# الفصل الرابع: الادغام

الادغام بشكل عام هو اللفظ بحرفين حرفاً واحداً، حرفاً كالثاني مشدداً مثل قوله تعالى: ﴿ **اضرِبْ بِّعَصَاكَ** ﴾[1] فهنا حرفان متماثلان الأول ساكن والثاني متحرّك فندغم هذين الحرفين وننطقهما في حرف واحد يرتفع فيهما اللسان ارتفاعة واحدة، كقوله تعالى: ﴿ **إِذْ ذَّهَبَ** ﴾[2]. وهذا الادغام ينقسم إلى قسمين ادغام كبير وادغام صغير، فما معنى الادغام الكبير ؟

الادغام الكبير الحرف الأول فيه يكون متحركاً وليس ساكناً، فإذا كان الحرفان اللذان نريد أن ندغمهما الأول منهما متحركاً فنسمّيه بالادغام الكبير، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **حَيثُ ثَّقِفتُمُوهُم** ﴾[3] وكذلك ﴿ **شَهرُ رَمَضَانَ** ﴾[4] فالراء الأولى متحركة وكذلك الراء الثانية، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ **تَرَى النَّاسَ سُكَارَى** ﴾[5] فالسين الأولى والثانية متحركان. وأما إذا كان الحرف الأول فنسمّيه بالادغام الصغير، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام من الأحكام فيه:

القسم الأول: الادغام الواجب: والمتفق عليه وبلا خلاف هو ادغام المتماثلين كما في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ لَّكَ** ﴾[6]، وكذلك ادغام المتجانسين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ رَّبِّكَ** ﴾[7] فهنا تجانس بين حرفي النون والراء من حيث الجهر وتقارب المخرجين.

القسم الثاني: الادغام الجائز: وهو المختلف فيه فهذا ينقسم إلى خمسة أقسام:

أ- ادغام حرف الذال في «إذْ» كقوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ** ﴾[8] و﴿ **إِذْ دَخَلتَ** ﴾[9] فهذا ادغام جائز لأنّ حرف الذال والدال متقاربان وكلاهما مجهوران.

---

(١) البقرة، ٦٠.

(٢) الأنبياء، ٨٧.

(٣) البقرة، ١٩١.

(٤) البقرة، ١٨٥.

(٥) الحج، ٢.

(٦) النازعات، ١٨.

(٧) البقرة، ١٤٧.

(٨) البقرة، ١٤٧.

(٩) الكهف، ٣٩.

ب- ادغام حرف الدال في «قَدْ» كما في قوله تعالى: ﴿ **لَـقَـدْ جَـاءكُم** ﴾[1]، و﴿ **وَلَـقَـدْ ذَرَأنَـا** ﴾[2] و﴿ **وَلَـقَـدْ زَيَّنَّا** ﴾[3].

ج- ادغام تاء التأنيث الساكنة إذا جاء بعدها حرف الثاء كما في قوله تعالى: ﴿ **بَعُدَتْ ثَمُودُ** ﴾[4]، وإذا جاء بعدها حرف الجيم كقوله تعالى: ﴿ **نَضِجَتْ جُلُودُهُم** ﴾[5]، وأيضاً إذا جاء بعدها الزاي مثل قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا خَبَتْ زِدنَاهُم** ﴾[6].

د- ادغام اللام في «بَلْ» و«هَلْ»، كقوله تعالى: ﴿ **بَلْ سَوَّلَتْ** ﴾[7]، ﴿ **بَلْ طَبَعَ** ﴾[8] و﴿ **بَلْ ضَلُّوا** ﴾[9]. و«هل» كقوله تعالى: ﴿ **هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ** ﴾[10].

هـ- الادغام في حروف تقاربت مخارجها وهذه تشمل ١٧ حرفاً، وهي: وهي الباء والتاء والثاء والحاء والراء والسين والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواووالهاء والياء، نذكر أمثلة منها:

١- الباء المجزومة من الفاء، كقوله تعالى: ﴿ **تَعجَبْ فَعَجَبٌ** ﴾[11].

٢- اللام المجزومة في الذال المعجمة كقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَفعَلْ ذَلِكَ** ﴾[12].

٣- الفاء المجزومة في الباء الموحدة كقوله تعالى: ﴿ **نَخسِفْ بِهِمُ** ﴾[13].

---

(١) براءة (التوبة)، ١٢٨.

(٢) الأعراف، ١٧٩.

(٣) الملك، ٥.

(٤) هود، ٩٥.

(٥) النساء، ٥٦.

(٦) الإسراء، ٩٧.

(٧) يوسف، ١٨.

(٨) النساء، ١٥٥.

(٩) الأحقاف، ٢٨.

(١٠) المطففين، ٣٦.

(١١) الرعد، ٥.

(١٢) البقرة، ٢٣١.

(١٣) سبأ، ٩.

٤- الذال المعجمة في التاء المثناة كما في قوله تعالى: ﴿ **عُذْتُ** ﴾[١]

٥- الثاء المثلثة في التاء المثناة كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **أُورِثْتُمُوهَا** ﴾[٢].

٦- الراء المجزومة في اللام كقوله تعالى: ﴿ **وَاصطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ** ﴾[٣].

٧- الدال المهملة المجزومة في الثاء كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **يُرِدْ ثَوَابَ** ﴾[٤].

وهناك أربع حالات بالنسبة لادغام الحروف من حيث الصفة والمخرج:

الحالة الأولى: إما أن تتماثل صفة ومخرجاً وكان الحرف الأول منهما ساكناً فيجب ادغام الحرف الأول بالثاني كقوله تعالى: ﴿ **رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُم** ﴾[٥]، فيجب ادغام التائين لتماثلهما ونفس المخرج، وكذلك اللام مع اللام كقوله تعالى: ﴿ **بَلْ لاَّ يَخَافُونَ** ﴾[٦] و﴿ **وَقُلْ لَّهُم** ﴾[٧]، وكذلك ادغام الكاف مع الكاف كما في قوله تعالى: ﴿ **يُدرِكْكُمُ** ﴾[٨]، والهاء مع الهاء في قوله تعالى: ﴿ **يُوَجِّهْهُ** ﴾[٩] ويُسمى ادغام المتماثلين الصغير.

الحالة الثانية: أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة فإذا التقيا وكان الحرف الأول منهما ساكناً فيجب إدغام الأول بالثاني كما عند ادغام الطاء مع التاء كقوله تعالى: ﴿ **لَئِن بَسَطتَ** ﴾[١٠] فتُدغم الطاء بالتاء ولا نلفظ الطاء ونشدّد التاء، وكذلك التاء عند الطاء مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ طَّائِفَةٌ** ﴾[١١]، وهكذا الدال عند التاء كقوله تعالى: ﴿ **قَدْ تَّبَيَّنَ** ﴾[١٢] فنحن لا

---

(١) غافر، ٢٧.

(٢) الأعراف، ٤٣.

(٣) مريم، ٦٥.

(٤) آل عمران، ١٤٥.

(٥) البقرة، ١٦.

(٦) المدثر، ٥٣.

(٧) النساء، ٦٣.

(٨) النساء، ٧٨.

(٩) النحل، ٧٦.

(١٠) المائدة، ٢٨.

(١١) الأحزاب، ١٣.

(١٢) البقرة، ٢٥٦.

نلفظ الدال وإنما ننتقل إلى التاء المشددة لاتفاق في المخرج والاختلاف في الصفة. وأيضاً اللام عند الراء مثل قوله تعالى: ﴿ **بَلْ رَانَ** ﴾[1]، ﴿ **قُل رَّبِّي** ﴾[2] ويسمى هذا الادغام بادغام المتجانسين الصغير.

الحالة الثالثة: تقارب الحرفين صفة ومخرجاً أو يتقاربان في أحدهما كما هو الحال الثاء عند الذال في قوله تعالى: ﴿ **يَلهَثْ ذَّلِكَ** ﴾[3] فتدغم الثاء بالذال وذلك لتقاربهما بالمخرج وإن اختلفا في الصفة، ومثل الباء والميم كونهما متقاربين من مخرج واحد ولكن الباء يخرج الهواء من الفم بينما الميم من الأنف مثل قوله تعالى: ﴿ **يَا بُنَيَّ اركَبْ مَّعَنَا** ﴾، ومثل القاف عند الكاف حيث أنّ القاف تدغم في الكاف كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَم نَخْلُقْكُّم** ﴾[4].

الحالة الرابعة: اختلاف الحرفين في الصفة والمخرج، فإذا اختلف الحرفان فلا ادغام بينهما.

القسم الثالث: الادغام الممتنع: متنع الإدغام في الحالات التالية:

١- إذا كانت الكلمة على وزن «فُعَل»، «فُعُل»، «فِعَل» و«فَعَل» كما في الكلمات التالية: «سُنَن، أُسُس، قِطَط، مَدَد».

١- إذا كانت الكلمة على وزن «أفعِل» للتعجب كقولك «أشدِدْ».

٢- إذا تحرك الحرف الأول وسكن الثاني، كقولك: «كرَرْت».

٣- إذا كان الحرفان متحركين في الفعل الذي على وزن «فعلل» مثل «جلبَبَ».

٤- أن تتابع ثلاثة أحرف متجانسة فيدغم الأولان ويمتنع الثالث، كما في «هَلَّلَ».

٥- إذا كان الحرف الأول الساكن حرف مد واقعاً في آخر الكلمة الأولى كأن تقول: «يرجو وائل، ويرمي يوسف».

---

(١) المطففين، ١٤.

(٢) الكهف، ٢٢.

(٣) الأعراف، ١٧٦.

(٤) المرسلات، ٢٠.

# الفصل الخامس: المد والقصر

المد لغةً هو المط والزيادة، مددتُ الشيء يعني زدتُ فيه، وأمدّني أي زادني.

والمد اصطلاحاً إطالة الصوت بحرف من حروف اللين (أ، و، ي) فنقول مددنا فيه أو أطلنا الصوت فيه. ولحروف اللين المد الطبيعي وهو حركتان الذي ننطق به ونصوّت به في أي حالة من الأحوال، فبعضهم يقول الزيادة عن المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد بدونه، يعني أنّ ما نميز به الصوت بين الحركة وبين الألف فحركة الفتحة فيها شيء من المد حركة واحدة ولكن حينما نمد هذه الحركة فتنقلب إلى ألف، فهذا الألف في قولنا «قال» فهو مد طبيعي ولكن إذا زدناهُ عن هذا المد فبعضهم يقول هذا هو المقصود يعني المد اصطلاحاً هو مازاد عن المد الطبيعي.

أما القصر لغة يعني الحبس، قصر الشيء أي حبسه وأوقفه عند حدّه.

والقصر اصطلاحاً يعني اثبات حرف المد من غير زيادة ما عليه، يعني نُثبت حرف المد بمده الطبيعي ولا نزيد عليه.

وحروف المد معروفة وهي الألف والواو والياء، ولكن هناك أسباب تحصل وتوجب المد ما فوق الطبيعي أي ما يزيد عن حركتين، وهذه الأسباب منها معنوية ومنها أسباب لفظية.

الأسباب المعنوية فبعضهم مثلاً يمد في النفي لاثبات النفي كقولنا «لا إله إلاّ الله» فيمد في هذه الألف ليؤكد النفي، أو أحياناً يمد لأجل التعظيم وأحياناً للدعاء، فهذه الأسباب هي أسباب معنوية.

أما محل البحث والدراسة هنا فهو الأسباب اللفظية، والسبب اللفظي إما يكون عن همزة أو عن سكون، بمعنى إذا جاء مع حرف المد همزة أو سكون فحينئذ تكون الهمزة أو السكون سببين لفظيين.

## أقسام المـد

ويقسم المد إلى قسمين: مد أصلي (طبيعي) ومد فرعي (غير طبيعي).

### أولاً – المد الأصلي (الطبيعي)

هذا المد لا يحتاج إلى سبب من الأسباب، أي أنّه لا يحتاج للهمزة أو السكون وإنما أينما وقعت حروف العلة (أ، و، ي) فيُعطى حقّها الطبيعي من المد وهو حركتان.

وعليه فالمد الأصلي هو الذي لا يتوقف على سبب من أسباب المد لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن حدّه ولا يزيده ومقدار مدّه حركتان في الوصل أو الوقف. مثل الألف في «قال، مالك، رجال»، والواو في «بورك، نودي، هود» والياء في «قيل، تميل، حميد، مجيد»، فالألف والواو والياء في هذه الكلمات كلها مد طبيعي لا تزيد على الحركتين.

### ثانياً – المد الفرعي (غير الطبيعي)

وهو المد الذي يزيد عن حركتين، والمد الفرعي: هو ما وقع بعد حرف المد فيه همزة أو سكون، أي يتوفر سبب من أسباب المد. ولهذا المد عدة أقسام:

١– المد الواجب المتصل

وهو أن يوجد سبب المد الذي هو الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة مثل «جآء»، «أوليآء»، «جيٓء»، «يُضيٓء»، «قروٓء»، «وضوٓء». وباجماع القرّاء والفقهاء أنّ هذا المد واجب ومقداره أربع أو خمس حركات ولكن في حالة الوقف نمدّه إلى ست حركات.

٢– المد الجائز المنفصل

وهو أن يكون حرف المد آخر كلمة والسبب الذي هو الهمزة أول كلمة أخرى بعده. وسُمّي منفصلاً لأن حرف المد في كلمة والسبب الذي هو الهمزة في كلمة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ** ﴾[١]، فحرف المد هو الألف والهمزة جاء في كلمة أخرى فهو مد منفصل وجائز وليس بواجب، ومثل قوله تعالى: ﴿ **إِنِّيٓ أَخَافُ** ﴾[٢] فهنا حرف المد هو الياء

---

(١) الكوثر، ١.

(٢) المائدة، ٢٨.

في آخر الكلمة الأولى وأول حرف في الكلمة التي بعدها هو الهمزة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوَا آمَنَّا** ﴾[1] فالواو في كلمة والهمزة في كلمة أخرى لذلك سُمّي بالمد المنفصل. وفي كل هذه الأمثل المد فيه يكون مستحباً وليس واجباً ومقداره أربع أو خمس حركات

٣- مد البدل

وهو أن يوجد سبب المد الهمزة قبل حرف المد، وهو المد الوحيد الذي يكون فيه سبب المد قبل حرف المد، مثل «آدم، آزر، خاطِئِيَن» فنلاحظ في كل هذه الكلمات أنّ الهمزة تأتي قبل حرف المد وكذلك «أوَتوا، أوَتينا» ومقدار هذا المد حركتان.

٤- المد الساكن العارض

ويكون عند الوقف على آخر الكلمة، فعندما نريد أن نقف على آخر الكلمة ويكون في الكلمة حرف من حروف العلة (أ، و، ي) فنقف على تلك الكلمة ويكون هذا المد مثل الألف في قوله تعالى: ﴿ **شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾[2] فإذا وقفنا على كلمة ﴿ **العِقَابِ** ﴾ فنمد الأول في هذه الكلمة. وكذلك الياء في قوله تعالى: ﴿ **وإِيَّاكَ نَستَعِينُ** ﴾[3] فنمدّ الياء عند ﴿ **نَستَعِينُ** ﴾ إذا وقفنا ولم نصلها بما بعدها، وهكذا بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ **بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[4] فنمدّ الياء حينما نقف على ﴿ **الرَّحِيمِ** ﴾. وأيضاً الواو في قوله تعالى: ﴿ **وَهُم فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[5] فنمدّ الواو حينما نقف على ﴿ **خَالِدُونَ** ﴾ وكذلك إذا وقفنا على كلمة ﴿ **يَعلَمُونَ** ﴾[6] أو على ﴿ **يَعقِلُونَ** ﴾[7] فالواو في مثل هذه الكلمات عندما نقف عليها أيضاً يكون فيه المد.

وهناك ثلاثة حالات يجوز فيها المد: الأول المد الطويل ومقداره ست حركات، والثاني المد المتوسط ومقداره أربع حركات، والثالث المد القصير ومقداره حركات.

---

(١) البقرة، ١٤.

(٢) البقرة، ١٩٦.

(٣) الحمد (الفاتحة)، ٥.

(٤) الحمد (الفاتحة)، ١.

(٥) البقرة، ٢٥.

(٦) البقرة، ١٣.

(٧) البقرة، ١٦٤.

٥- المد الساكن اللازم

وهو أن يكون بعد حرف المد سكون لازم – أي ثابت وليس عارض على الكلمة فهو ملازم لها ولا يفارقها – فيكون ساكناً وصلاً ووقفاً مثل قوله تعالى: ﴿ **الحَآقَّةُ** ﴾[١] لأن بعد الألف القاف المشدّدة والتي هي من قافين الأولى ساكنة والقاف الثانية متحركة، فجاءت القاف الساكنة بعد الألف فهنا يجيء المد الساكن اللازم والواجب أيضاً ومقدار هذا المد ست حركات. وينقسم هذا المد إلى أربعة أقسام:

أ- المد اللازم الكلمي المثقّل: ومن عنوان هذا المد يُعرف بأنّه لابد من وجود السكون في كلمة وليس في كلمتين، ومثقل يعني فيه تشديد. وتعريفه: أن يكون بعد حرف المد حرف مشدّد في كلمة واحد كقوله تعالى: ﴿ **الضَّآلِّينَ** ﴾[٢] وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **الحَآقَّةُ** ﴾ و ﴿ **الصَّآخَّةُ** ﴾[٣]، ﴿ **تَأمُرُوَآنِّي** ﴾[٤] فهنا جاءت بعد الواو النون المشدّدة وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَتُحَآجُّوَآنِّي** ﴾[٥]، وفي هذه الكلمة توجد مدّان الألف بعد الجيم الساكنة والواو التي جاءت بعدها النون الساكنة. وهذا كثير في القرآن الكريم.

ب- المد اللازم الكلمي المخفّف: ومعنى ذلك أنّه هنا لا يوجد حرف مشدّد بعد حرف العلة وإنما يكون حرف واحد ساكن. وتعريفه: أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن غير مشدّد نحو كلمة «الآن». وهذا موجود في موضعين فقط في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ **آلآنَ وَقَد كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ** ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿ **آلآنَ وَقَد عَصَيتَ** ﴾[٧].

ج- المد اللازم الحرفي المُشبع: والمشبع مثل المثقّل أو المشدّد، فهنا في حرف وليس في كلمة. وتعريفه: إذا كان في فواتح السور حرف هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مدٍّ

---

(١) الحاقة، ١.

(٢) الحمد (الفاتحة)، ٧.

(٣) عبس، ٣٣.

(٤) الزمر، ٦٤.

(٥) الأنعام، ٨٠.

(٦) يونس، ٥١.

(٧) يونس، ٩١.

والثالث ساكن فإن أدغم الحرف الذي بعد حرف المد كان مثقلاً نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَـمّ ﴾[1] فندغم ميم اللام مع الميم الممدودة وهذا مدّ لازم حرفي مثقل. وإن لم يُدغم كان مخفّفاً مثل قوله تعالى: ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ﴾[2]، ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾[3]. وحروف المد اللازم المشبع هي ثمانية حروف في القرآن الكريم يجمعها قولك «سنقص علمك».

د- المد اللازم الحرفي المخفّف: وتعريفه هو ما كان الحرف فيه على حرفين، وحروفه خمسة يجمعها قولك «حي طهر»، والحاء مثل قوله تعالى: ﴿ حمٓ ﴾[4] وهي في سبعة سور من القرآن الكريم. والياء في قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[5] وكذلك ﴿ يسٓ ﴾[6]. والطاء في قوله تعالى: ﴿ طه ﴾[7] وكذلك الطواسيم ﴿ طسٓمٓ ﴾[8] في ثلاث سور. والهاء في قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾، والراء في قوله تعالى: ﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾[9] وهي في خمسة سور من القرآن الكريم. فهذه هي الحروف التي يجب أن تُمد في المد اللازم الحرفي المخفّف.

٦-مد الفرق

وهو مد لولاه لحصل اللبس بين الخبر وبين الاستفهام، فهو مدّ لولاه لتوهم الاستفهام أنّه خبر، فالأصل في الجملة هو الاستفهام ولولا هذا المد لتوهم أنّه خبر، ومقدار مدّه ست حركات. وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْمَعزِ اثْنَينِ قُل ءَآلذَّكَرَينِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَينِ ﴾[10]، و﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَينِ قُل ءَآلذَّكَرَينِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَينِ ﴾[11]، و﴿ قُل ءَآللهُ أَذِنَ لَكُم أَم عَلَى اللهِ

---

(١) البقرة، ١.

(٢) ص، ١.

(٣) ق، ١.

(٤) غافر، ١.

(٥) مريم، ١.

(٦) يس، ١.

(٧) طه، ١.

(٨) الشعراء، ١.

(٩) يونس، ١.

(١٠) الأنعام، ١٤٣.

(١١) الأنعام، ١٤٤.

**تَفتَرُونَ** ﴾[1]. فهم سابقاً لم يستعملوا علامة الاستفهام فمن خلال هذا المد يمكن التمييز بأن هذه الجملة استفهامية وليست خبرية، وقوله تعالى: ﴿ **ءَآللَّهُ خَيرٌ أَمَّا يُشرِكُونَ** ﴾[2]. فكل من هذه الآيات نمدُّ ست حركات حتى نُميّزُ بين الاستفهام الذي هو الأصل في الآية المباركة خشية أن يتوهم السامع أن الجملة خبرية وليست استفهامية.

٧-مد التمكين

ويكون عند اجتماع يائين فتكون الياء الأولى مشدّدة مكسورة والثانية ساكنة مثل قوله تعالى: ﴿ **حُيِّيْتُم** ﴾[3]، و ﴿ **النَّبِيِّيْنَ** ﴾[4]، فنمدّ الياء لننطق بالياءات عند اجتماعها ولا تخفى احداها.

---

(١) يونس، ٥٩.

(٢) النمل، ٥٩.

(٣) النساء، ٨٦.

(٤) البقرة، ٦١.

# الفصل السادس: أحكام الراء

نذكر هنا أحكام الراء من حيث التفخيم والترقيق وجواز الوجهين. إنّ الأصل في الراء أن تُفخّم ولكن تارة تأتي بعض الأسباب توجب الترقيق، وتارة أخرى تأتي بعض الأسباب تجوّز حالة الترقيق وحالة التفخيم.

**الحالة الأولى: تفخيم الراء**

تُفخّم الراء في الأحوال التالية:

١- إذا كانت الراء مضمومة كقوله تعالى: ﴿ **رُزِقنَا** ﴾[١]، ﴿ **عِشرُونَ** ﴾[٢]، فهنا الراء مضمومة فيجب أن تُفخّم.

٢- إذا كانت الراء مفتوحة كقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَـا** ﴾[٣]، ﴿ **حَذَرَ المَوتِ** ﴾[٤]، فهنا الراء مفتوحة فتُفخّم.

٣- إذا كانت الراء ساكنة بعد فتح أو ضم مثل «قَرْية» «غُرْفَة»، فإذا جاءت الراء بعد فتح أو ضم فحينئذ يجب التفخّيم.

٤- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر عارض مثل قوله تعالى: ﴿ **ارْتَابُوا** ﴾[٥]، فهذه الهمزة كُسرِت ولكنه كسر عارض وليس من أصل الكلمة، وهكذا في قوله تعالى: ﴿ **ارْجِعِي** ﴾[٦]، ﴿ **اركَبُوا** ﴾[٧]، ﴿ **ارحَمهُمَا** ﴾[٨].

---

(١) البقرة، ٢٥.

(٢) الأنفال، ٦٥.

(٣) البقرة، ١٢٧.

(٤) البقرة، ١٩.

(٥) النور، ٥٠.

(٦) الفجر، ٢٨.

(٧) هود، ٤١.

(٨) الإسراء، ٢٤.

٥- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلي ولكن غير متصل بها مثل قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي ارْتَضَى** ﴾[١] فهنا الياء توجب كسر الهمزة في ﴿ **ارتَضَى** ﴾ والراء ساكنة ولكن هذا الكسر أصلي في القراءة.

٦- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلي متصل بها ولكن جاء بعدها حرف استعلاء مثل قوله تعالى: ﴿ **قِرْطَاسٍ** ﴾[٢] فهنا حرف الطاء من حروف الاستعلاء.

٧- إذا كانت الراء طرفاً بعد سكون ووقفتَ عليها بالسكون وكان قبل الحرف الساكن فتح كقوله تعالى: ﴿ **لَيلَةِ القَدْرِ** ﴾[٣] فهنا الراء طرف الكلمة وبعد سكون ووقفنا على الراء بالسكون وكان قبل الحرف الساكن وهو القاف مفتوحاً فيجب تفخيم الراء في هذه الحالة.

**الحالة الثانية: ترقيق الراء**

تُرقق الراء في الحالات التالية:

١- إذا كانت الراء مكسورة مطلقاً مشدّدة كانت أو مخفّفة سواء بالاسم أو الفعل أو في أول الكلمة أو آخرها وسواء كانت كسرتها لازمة أو عارضة فيجب حينئذ أن تُرقّق الراء، كقوله تعالى: ﴿ **رِزقاً** ﴾[٤]، ﴿ **وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ** ﴾[٥]، ﴿ **رِجَالٌ** ﴾[٦]، ﴿ **أَنذِرِ النَّاسَ** ﴾[٧].

---

(١) النور، ٥٥.

(٢) الأنعام، ٧.

(٣) القدر، ١.

(٤) البقرة، ٢٢.

(٥) التوبة (براءة)، ٦٠.

(٦) التوبة (براءة)، ١٠٨.

(٧) يونس، ٢.

٢- إذا كانت الراء ساكنة بعد كسر أصلي، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **شِرْعَةً** ﴾[١]، ﴿ **الفِرْدَوسِ** ﴾[٢]، ﴿ **وَأَنذِرْهُم** ﴾[٣]، ﴿ **فِرْعَونَ** ﴾[٤]، ففي جميع هذه الكلمات الراء ساكنة وقبلها حرف مكسور فحينئذ تُرقّق الراء. وشرط يشترطه القراء في هذه الحالة ألا يأتي بعد الراء حرف استعلاء مفتوح.

٣- إذا كانت الراء ساكنة بعد ياء ساكنة مثل «خير، خبير».

**الحالة الثالثة: جواز الترقيق والتفخيم**

هناك وضعان فقط يجوز فيها الترقيقم والتفخيم: الأولى إذا كانت الراء ساكنة وقبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء مثل قوله تعالى: ﴿ **فِرقَةٍ** ﴾[٥]، فهنا يجوز الوجهان الترقيق أو التفخيم، فهناك ثلاث شروط: الراء ساكنة، وقبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء، والقراء يقولون بأن الترقيق أولى.

والثانية إذا كانت الراء ساكنة في آخر الكلمة وكان قبلها حرف استعلاء ولكن بعد حرف مكسور مثل «مِصْر، القِطْر»، فهنا قبل حرف الراء حرف استعلاء وقبله حرف مكسور، ففي هذه الحالة يجوز الوجهان.

---

(١) المائدة، ٤٨.

(٢) الكهف، ١٠٧.

(٣) مريم، ٣٩.

(٤) البقرة، ٤٩.

(٥) التوبة (براءة)، ١٢٢.

# الفصل السابع: أحكام هاء الكناية

ونقصد بهاء الكناية ضمير المفرد الغائب، فلهذه الهاء حالتان إمّا أن تأتي قبل حرف متحرك وإما أن تأتي قبل حرف ساكن.

**الحالة الأولى:** فإذا جاءت الهاء قبل حرف متحرك فلها أيضاً حالتان: الأولى: إمّا أن يتقدمها حرف متحرك وهذه الحركة تكون بالفتح أو بالضم فإنّها توصَل بواو اشباع، هذه الواو تأتي باشباع الحركة وهي الضمة فتنقلب إلى واو، وهذا متفق عليه عند جميع القرّاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ أَنَا** ﴾[1]، ﴿ **يُقَالُ لَهُۥ إِبرَاهِيمُ** ﴾[2]. وأمّا إذا تقدمها حرف متحركٌ ولكن بالكسر فإنّها توصل بياء متحولة من كسرة مشبعة، أي نُشبع الكسرة فتنقلب إلى ياء، وهذا متفق عليه عند جميع القرّاء قوله تعالى: ﴿ **وَقَومِهِۦٓ إِنَّنِي** ﴾[3].

والثانية: أن يتقدمها ساكن، فالحرف الذي تقدّم على الهاء إن كان الساكن ياءاً فابن كثير يصل الهاء ياء نُطقاً في الوصل مثل قوله تعالى: ﴿ **فِيهِ هُدًى** ﴾[4]، ﴿ **عَلَيهِ آيَةٌ** ﴾[5]، فهنا الياء ساكنة فابن كثير يصل الهاء ياء نطقاً بالوصل والباقون غير ابن كثير يكسرونها من غير صلة، وحفص وافق الباقين في كسرها من غير صلة إلا في موضعين حيث أنّ حفص لم يوافق الباقين في هذين الموضعين وهما قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا أَنسَانِيْهُ إِلا الشَّيطَانُ** ﴾[6]، حيث أن الباقين يكسرونها فيقولون ﴿ **وَمَا أَنسَانِيهِ إِلا** ﴾، والموضع الآخر الذي خالف فيه حفص باقي القرّاء ﴿ **عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ** ﴾[7].

---

(١) النمل، ٩.

(٢) الأنبياء، ٦٠.

(٣) الزخرف، ٢٦.

(٤) البقرة، ٢.

(٥) الأنعام، ٣٧.

(٦) الكهف، ٦٣.

(٧) الفتح، ١٠.

وأما إذا كان الحرف الساكن غير الياء فابن كثير يصلها بواو مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ** ﴾[1]، ﴿ **اجتَبَاهُ وَهَدَاهُ** ﴾[2]، والباقين يضمونها من غير صلة. كان هذا كله الحالة الأولى من حالات هاء الكناية.

**الحالة الثانية:** إذا جاء الهاء قبل ساكن، وهذه أيضاً لها حالتان: الأولى إذا تقدمها كسر أو ياء ساكنة فالأصل أنّها تُكسر من غير صلة عند الجميع مثل قوله تعالى: ﴿ **عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ** ﴾[3]، ﴿ **وَإِلَيْهِ المَصِيرُ** ﴾[4].

والثانية إذا تقدمها فتح أو ضم أو سكون – على أن يكون السكون غير الياء – فالأصل ضمّها من غير صلة عند كلّ القرّاء، مثل قوله تعالى: ﴿ **نَصَرَهُ اللهُ** ﴾[5]، ﴿ **إِذْ أَخرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾[6]، ﴿ **تَحمِلُهُ المَلآئِكَةُ** ﴾[7]، ﴿ **قَولُهُ الحَقُّ** ﴾[8]، ﴿ **فَجَاءَتْهُ إحدَاهُمَا** ﴾[9]، ﴿ **مِنْهُ الأَنهَارُ** ﴾[10].

---

(١) آل عمران، ٧.

(٢) النحل، ١٢١.

(٣) الكهف، ١.

(٤) المائدة، ١٨.

(٥) التوبة (براءة)، ٤٠.

(٦) التوبة (براءة)، ٤٠.

(٧) البقرة، ٢٤٨.

(٨) الأنعام، ٧٣.

(٩) القصص، ٢٥.

(١٠) البقرة، ٧٤.

# الفصل الثامن: الوقف والابتداء

إنّ الوقف والابتداء من العلوم الجليلة في مجال التجويد، وبهذا العلم يُعرف كيفية أداء القرآن الكريم ويترتب على ذلك معرفة انتهاء المعاني وابتداء المعاني الجديدة، وهل أنّ اللفظ موصول أم مقطوع ؟ هل له علاقة بما بعده أم ليس له علاقة بما بعده ؟

كل ذلك يُعرف من معرفة أصول الوقف والابتداء. وبه تتبيّن معاني ظواهر الآيات الكريمة ويؤمن من الاحتراز عن الوقوع في المشكلات التي قد تسبّب لعدم معرفة الوقف والابتداء، وقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع) في جواب سؤال عن الآية: ﴿ **وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرتِيلاً** ﴾[1] قوله: «الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف»[2]. يعني أنّ الإنسان إذا عرف الوقوف وجوّد الحروف فقد عرف علم الترتيل.

ابن الأنباري يقول في هذا المجال: «من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء»[3]، فالآيات الكريمة إذا كانت طويلة فأحياناً يحتاج القارئ فيها إلى وقف للتنفس والاستراحة وإلى أن تتم المعاني في تلك الألفاظ، فلابد من معرفة الوقف ومعرفة الابتداء.

وتعريف الوقف: اختيار وقفة مناسبة للتنفس والاستراحة عند تلاوة القرآن الكريم. فهناك بعض الوقفات لا يجوز فيها للقارئ أن يقف ولابد أن يصل فيها القراءة وبعضها يجب أن يقف فهناك بعض التعابير القرآنية لا يصحّ فيها الوقف كقوله تعالى: ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ** ﴾[4]، فلا يجوز أن نقف عند لفظ الجلالة ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهِ** ﴾ ونقف لأن لفظ الجلالة ستكون معطوفة على ﴿ **الَّذِي كَفَرَ** ﴾ – والعياذ بالله –، أو مثلاً في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَت وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصفُ وَلأَبَوَيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ** ﴾[5] فهنا لا يجوز أن نوصل

---

(١) المزمل، ٤.

(٢) الجزري: النشر في القراءات العشر، مصدر سابق، ج١/ ص ٢٠٩.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الاتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ١٩٩٩م. ج١/ ص ٢٧٨.

(٤) البقرة، ٢٥٨.

(٥) النساء، ١١.

كلمة ﴿ **النِّصفُ وَلأَبَوَيهِ** ﴾ فلابد أن نقف على كلمة ﴿ **النِّصفُ** ﴾ وكذلك لا يجوز أن نقف على ﴿ **لاَ تَقرَبُوا الصَّلاَةَ** ﴾ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُم سُكَارَى** ﴾[1]، فلابد أن نكمل وإلا اختلّ المعنى. كما لا يصح الابتداء إلا بما يناسب المعنى، ليس من أي نقطة نبتدء القراءة، فلابد أن يكون الابتداء بما يناسب المعنى كما لا يصح الوقف إلا بما يناسب المعنى كذلك لا يصح الابتداء إلا بما يناسب المعنى، فمثلاً لا يجوز الابتداء: ﴿ **إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ** ﴾ في قوله تعالى: ﴿ **لَّقَد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ** ﴾[2]، أو ابتداء القراءة: ﴿ **إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ** ﴾[3] في قوله تعالى: ﴿ **لَّقَد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ** ﴾[4]، هذا الابتداء غير جائز فلابد أن يبتدء بما يناسب المعنى فيذكر من بداية الآية.

ويرد في التجويد عبارات السكت والقطع والوقف فماذا نقصدُ بالوقف أو السكت أو القطع ؟

السكت عبارة عن قطع الصوت زمناً يسيراً دون زمن الوقف من غير تنفس، يعني يسكت القارئ على الكلمة من غير تنفس ويكون أقل من زمن الوقف.

الوقف هو قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة وبنيّة استئناف القراءة، لا بنيّة الاعراض عن القراءة ويكون هذا في رؤوس الآيات وفي أواسطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً كحروف الجر.

القطع هو قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء، فالقارئ يريد أن يقطع قراءته، والذي يقطع ثم يريد أن يبدأ فيحتاج إلى الاستعاذة للقراءة الجديدة ولا يكون إلا على رأس آية، أي أنّ القطع يكون في نهاية الآية.

---

(١) النساء، ٤٣.

(٢) المائدة، ١٧.

(٣) المائدة، ٧٣.

(٤) المائدة، ٧٣.

**المبحث الأول: أوجه الوقف**

هناك أوجه كثيرة للوقف ذكرها أئمة القرّاء ووصلوا بها إلى تسعة أوجه كما يلي:

الوجه الأول: السكون، فيقف القارئ على السكون فيقصد به اسقاط كل الحركة من الحروف الموقفة عليها فمثلاً انتهى إلى كلمة «الكتابِ» فيُسقط الحركة التي على الباء ويُسكّن الباء فيقول «الكتابْ» فكما أنّ العربي لا يبتدئ بساكن ولا يقفُ على متحرك. وأما الوصل مع السكون، أحياناً في الكلام أنّ الكلمة متحركة ولكنّ القارئ يُسكّن الكلمة ويوصلها بما بعدها باسقاط حركاتها، فهو لغة عربية جيدة ذكرها الشهيد الثاني (قدس) في الروضة في مبحث الأذان والإقامة، وأيضاً السيد محسن الحكيم (قدس) يذهب إلى هذا الرأي – جواز الوصل بالسكون –، ويقول ابن الجزري في هذا الوصل: «وذلك لغة أكثر العرب، وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء»[1].

الوجه الثاني: الرَّوم، وهو النطق ببعض حركة الحرف الموقوف عليه ثلثاً أو ربعاً، وعادة يكون الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة التي يريد القارئ أن يقف عليها مُحرّكة فمثلاً «الكتابُ» ففي الحالة الأولى ذكرنا بتسكين الباء عند الوقوف، وأما في حالة الرَّوم ينطقُ ببعض الحركة – ربع الحركة مثلاً – ويكون هذا الرَّوم في الضم والكسر الأصليين دون العارضين والفتح فمثلاً «لم يضربِ الرجل» فالأصل في الباء هو السكون وإنما كُسرت لالتقاء الساكنين فهذه الكسرة ليست أصلاً في الكلمة وإنما هي عارضة.

الوجه الثالث: الاشمام، وهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، يعني أن المقابل يرى الشفتين تتحرك بالضم ولكنّه من غير أن يعطي صوتاً بحيث لا الأعمى يسمع الصوت والناظر إلى القارئ يرى أنّ الشفتين قد تحركت لهدف الضم ويكون هذا في الضم فقط فلا يكون في الكسر ولا في الفتح.

الوجه الرابع: الابدال، ويتحقّق في الاسم المنصوب المنضم يُوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين، يعني عندما تنتهي الكلمة بالألف وهي منونة فعندما نقف على الألف نُسكّنها ولا ننطق بالتنوين – لأنّه لا يجور الوقوف على المتحرك – فمثلاً قوله تعالى: ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ**

---

(١) الجزري: النشر في القراءات العشر، مصدر سابق، ج٢/ ص ١٢١.

**تَرتِيلاً** ﴾[1]، فعند الوقوف على كلمة ﴿ **ترتِيلا** ﴾ فنُسكّن الألف ولا ننطق بالتنوين. وهكذا الوقوف على الهاء بالنسبة للاسم المفرد المؤنث مثل كلمة «حمزة» أو «جمعة» فالتاء اسم المؤنث فبدلاً من الوقوف على التاء فأقول «جمعه» كقوله تعالى: ﴿ **مِن يَومِ الجُمُعَةِ** ﴾[2] فنُسكّن التاء وتبدل إلى الهاء عن الوقوف عليها فنقول ﴿ **مِن يَومِ الجُمُعَه** ﴾.

الوجه الخامس: النقل، وهو من الحالات التي يقف عليها القارئ فيما آخره همزة بعد سكون فإنّه يوقف عليه بنقل حركتها إليه فيُحرّك بها ثم تُحذف مثل قوله تعالى: ﴿ **لَكُم فِيهَا دِفْءٌ** ﴾[3] فهنا الهمزة قبل الفاء ساكنة وكذلك ﴿ **الَّذِي يُخرِجُ الخَبْءَ** ﴾[4].

الوجه السادس: الادغام، فيما آخره همزة بعد ياء أو واو زائدتين وليس أصليتين فإنّه يوقف عليهما همزة بعد ابدال الهمزة من جنس ما قبلها مثل قوله تعالى: ﴿ **النَّسِيءُ** ﴾[5]، ﴿ **قُرُوءٍ** ﴾[6] فقبل الهمزة واو أو ياء فعندما نقف عليها نبدل الهمزة من جنس ما قبلها.

الوجه السابع: الحذف، في الياءات الزوائد عند مَن يثبتها وصلاً ويحذفها وقفاً، فهناك بعض الياءات تأتي زائدة فتحذف هذه الياءات، وياءات الزوائد – وهي التي لم ترسم – كقوله تعالى: ﴿ **دَعوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَستَجِيبُوا لِي** ﴾[7] فعند الوصل تُقرء ﴿ **دَعوَةَ الدَّاعي إِذَا دَعَاني فَلْيَستَجِيبُوا لِي** ﴾ عند الوصل وتُقرء ﴿ **الدَّاعْ** ﴾ عند الوقف وأيضاً ﴿ **دَعَانْ** ﴾ عدما نقف على هذه الكلمة، وهكذا قوله تعالى: ﴿ **اتَّبَعَنِ** ﴾[8]، ﴿ **فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾[9] فتُقرأ «نُذُرْ» عند الوقف وعند الوصل تُقرأ «نُذُري».

---

(١) المزمل، ٤.

(٢) الجمعة، ٩.

(٣) النحل، ٥.

(٤) النمل، ٢٥.

(٥) التوبة (براءة)، ٣٧.

(٦) البقرة، ٢٢٨.

(٧) البقرة، ١٨٦.

(٨) آل عمران، ٢٠.

(٩) القمر، ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣٧، ٣٩.

الوجه الثامن: الاثبات، في الياءات المحذوفات وصلاً عند من يثبتها وقفاً، نحو قوله تعالى: ﴿ **هَادٍ** ﴾[١]، ﴿ **وَالٍ** ﴾[٢]، ﴿ **وَاقٍ** ﴾[٣] فهي في الأصل هادي، والي، واقي ولكن بالوقف تُحذف هذه الياء.

الوجه التاسع: الالحاق، وهو ما يلحق آخر الكلمة من هاءات السكت عند مَن يلحقها في مثلاً ﴿ **عَمَّ** ﴾[٤]، فما يُلحق من هذه الهاء يقف عليها في مثل هذه الكلمات، والنون المشدّدة من جمع الاناث مثل «مثلهنّ» والنون المفتوحة «الذينَ».

## المبحث الثاني: أقسام الوقف

قسّم القرّاء فصول الوقف واختاروا أربعة أقسام: الأول الوقف التام، والثاني الوقف الكافي، والثالث الوقف الحسن، والرابع الوقف القبيح.

القسم الأول: الوقف التام

وهو الذي لا يتعلق بشيء من بعده لفظاً ولا معنىً، الكلام الذي يقرأه القارئ عندما يقف على آخره لا يوجد لهذا الكلام الذي قرأه تعلّق بما بعده لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى فتكون القراءة التي قرأها مستقلة المعنى.

مثلاً قوله تعالى: ﴿ **بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[٥] فهذه الآية المباركة يصحّ الوقوف عندها لأنها استوفت المعنى وليس لها تعلّق بما بعدها من حيث اللفظ، أو مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾[٦]، وهنا يصح الوقف لأن المعنى والمقصود قد تم ولا تعلّق لهذه الآية بما بعدها من حيث اللفظ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُم إِلَيهِ رَاجِعُونَ** ﴾[٧] فهنا أيضاً

---

(١) الرعد، ٧.

(٢) الرعد، ١١.

(٣) الرعد، ٣٤.

(٤) النبأ (عمّ)، ١.

(٥) الحمد (الفاتحة)، ١.

(٦) البقرة، ٥.

(٧) البقرة، ٤٦.

يصح الوقوف لعدم تعلّق الآية بما بعدها لفظاً أو معنىً. وأكثر ما يوجد هذا الوقف هو على رؤوس الآيات وآخر كل قصة من القصص التي ترد في القرآن الكريم وآخر كل سورة.

القسم الثاني: الوقف الكافي

ويكون عند المنقطع في اللفظ المتعلق بالمعنى، يعني إذا كانت الجملة أو العبارة التي ننطق بها منقطعة باللفظ ولكنها متعلقة بالمعنى بما بعدها فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، مثل قوله تعالى: ﴿ **لاَ يُؤمِنُونَ** ﴾[1] لأنّ ما بعدها ﴿ **خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم** ﴾[2]، فيصح هنا الوقف ولكنه لا لتعلق اللفظ حيث أنه قد انقطع ولكن هناك تعلّق بالمعنى.

القسم الثالث: الوقف الحسن

هو الوقف الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، يعني يصح أن نقف عليه، أي نقف بالآية المباركة وجزء الآية ولكن لا يصح أن نبتدأ بما بعده لتعلّقه بما بعده في اللفظ والمعنى كما لو وقفنا على ﴿ **بِسمِ الله** ﴾ وهي متعلقة بما بعدها ﴿ **الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ لفظاً ومعنى ولكن يحسن ويصح الوقوف عليه، ولكن لا يصح أن نبتدئ بـ﴿ **الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾، وكذلك الوقوف على ﴿ **الحَمدُ للهِ** ﴾ فلها تعلق معنى ولفظاً بـ﴿ **رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾[3] فلا يصح أن نبتدئ من ﴿ **رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾.

القسم الرابع: الوقف القبيح

وهو الوقف على ما لا يُفهم منه المراد، أي أنّ الكلام والمعنى لم يتم بعد، ومع هذا يقف القارئ مثل قوله تعالى: ﴿ **بِسْم** ﴾ ويقف فهنا لا يصح فلم يتم المعنى. وكذلك الوقف على ما يُفسد المعنى، مثل الوقوف على كلمة ﴿ **هَذَا** ﴾ في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا وَيلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرقَدِنَا هَذَا** ﴾[4] لأنّه لابدّ من السكت على كلمة ﴿ **مَّرقَدِنَا** ﴾ ثم اكمال القراءة

---

(١) البقرة، ٦.

(٢) البقرة، ٧.

(٣) الحمد (الفاتحة)، ٢

(٤) يس، ٥٢.

﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرسَلُونَ** ﴾[1]، لأن العبارة الأولى هي قول الكافرين الذين في القبر، أما العبارة الثانية فهو كلام آخر وبعضهم يفسّر بكلام الملائكة أو غيرهم. وهكذا في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَستَحيِي أَن يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا** ﴾[2]، فمن القبيح ولا يجوز الوقف عند كلمة ﴿ **يَستَحيِي** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَستَحيِي أَن يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا** ﴾ – والعياذ بالله – وإنما يجب أن يتم الآية، وأيضاً لا يجوز أن نقف على ﴿ **لاَ تَقرَبُوا الصَّلاَةَ** ﴾ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُم سُكَارَى** ﴾[3]، فلابد أن نكمل وإلا اختلّ المعنى، وهكذا الوقف عند ﴿ **فَوَيلٌ لِّلمُصَلِّينَ**﴾ في قوله تعالى: ﴿ **فَوَيلٌ لِّلمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُم عَن صَلاتِهِم سَاهُونَ** ﴾[4].

## المبحث الثالث: علامات الوقف في المصاحف

إن القارئ للمصحف الشريف يجد بعض العلامات، وهذه العلامات تُشير إلى الوقفات ونوعها جائز أم واجب أم غير جائز .. الخ.

| علامات الوقف | | |
|---|---|---|
| مـ | علامة الوقف اللازم | وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ |
| لا | علامة الوقف الممنوع | كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ |
| ج | علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطَّرفين | وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ |
| صلے | علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أوْلَى | فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا |
| قلے | علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أوْلَى | وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ |
| ∴ | علامة تعانق الوقف بحيث إذا وُقِف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر | ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ |

(١) يس، ٥٢.

(٢) البقرة، ٢٦.

(٣) النساء، ٤٣.

(٤) الماعون، ٤ و٥.

وهناك علامة حرف (س) على بعض الآيات الكريمة في المصاحف وهي علامة السكتة اللطيفة، فهذه السكتة القليلة التي وردت في قوله تعالى: ﴿ **مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾[1]، فهذه السين هي علامة السكة اللطيفة التي هي من دون تنفس، فيسكت القارئ قليلاً ثم يكمل الآية ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرسَلُونَ** ﴾[2] فهذه السكتة تفصل بين الأمرين.

هذه هي العلامات التي توجد في المصاحف وعلى القارئ أن ينتبه إليها.

## المبحث الرابع: الموصول والمقطوع من الكلام

أي الكلام الذي تعلّق بما بعده من حيث المعنى ومن حيث اللفظ، وهناك كلام له تعلّق من حيث المعنى ولا تعلّق له من حيث اللفظ، فالموصول لفظاً المقطوع معنىً.

هذه من أصول الوقف المهمة التي ترد في الآيات الكريمة ويكون اللفظ فيها متصلاً بلفظ آخر والمعنى على خلافه، وقد يُسمى الموصول المفصول أو الموصول المقطوع.

قد لا يُدرك العقل وجه المناسبة والارتباط بهذا الكلام وبالذي بعده أو بين آيتين، فيقف القارئ حائراً بين صلة الوصل بين هذا الكلام المتقدم والكلام المتأخر فلا يعرف وجه الاتصال.

وهذا ما ابتلي به بعض المفسرين مثل السيوطي الذي يقول في تفسير الآية: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوجَهَا لِيَسكُنَ إِلَيهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَت حَملاً خَفِيفاً فَمَرَّت بِهِ فَلَمَّا أَثقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشرِكُونَ** ﴾[3]: «فما زلتُ في وقفة من ذلك – إلى أن يقول: – فانحلت عني هذه العقدة، وانجلت لي هذه المعضلة، واتضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء ﴿ **فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾ وأن ما بعده تخلص إلى قصة العرب، وإشراكهم الأصنام. ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال «عما يشركان» كقوله ﴿ **دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا** ﴾، ﴿ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾، وكذلك الضمائر في قوله بعده: **أَيُشرِكُونَ**

---

(١) يس، ٥٢.

(٢) يس، ٥٢.

(٣) الأعراف، ١٨٩ و١٩٠.

**مَا لاَ يَخلُقُ شَيئاً وَهُم يُخلَقُونَ**﴾[1] وما بعده إلى آخر الآيات وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن»[2].

ومن الأمثال على اتصال الكلام بآخر، يعني اللفظ متصل بما بعده وانفصال المعنى عما بعده فيسمى الموصول المقطوع ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن أَصَابَكُم فَضلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّم تَكُن بَينَكُم وَبَينَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُم فَأَفُوزَ فَوزاً عَظِيماً** ﴾[3]، فقوله تعالى: ﴿ **كَأَن لَّم تَكُن بَينَكُم وَبَينَهُ مَوَدَّةٌ** ﴾ مفصول عن قوله عزّ وجلّ ﴿ **لَيَقُولَنَّ** ﴾ وهذا منظوم بقوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَد أَنعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذ لَم أَكُن مَّعَهُم شَهِيداً** ﴾[4] فهناك تعلّق باللفظ وانفصال بالمعنى.

ومثال آخر بقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ حَقَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُم أَصحَابُ النَّارِ ۞ الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرشَ وَمَن حَولَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم** ﴾[5] فقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرشَ وَمَن حَولَهُ** ﴾ موصول بـ﴿ **أَنَّهُم أَصحَابُ النَّارِ** ﴾ ولكن منقطع عنه بالمعنى، فهو موصول لفظاً ومنقطع معنىً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلا يَحزُنكَ قَولُهُمْ إِنَّا نَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ** ﴾[6] فقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ** ﴾ منقطع عن قوله تعالى: ﴿ **فَلا يَحزُنكَ قَولُهُم** ﴾ فهو منقطع من حيث المعنى ولكنه موصول لفظاً.

وهناك في القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذا النحو.

---

(١) الأعراف، ١٩١.

(٢) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق. ج١/ ص ٢٩٦.

(٣) النساء، ٧٣.

(٤) النساء، ٧٢.

(٥) غافر، ٦ و٧.

(٦) يس، ٧٦.

# الفصل التاسع: أحكام النون الساكنة والمد

## المبحث الأول: أحكام النون الساكنة والتنوين

وهذا تستفيد منه في تلخيص ما مرّ من أحكام النون الساكنة والتنوين وأقسام المد، فهو خلاصة لما مرّ معنا لأحكام النون الساكنة والتنوين. وتنقسم النون الساكنة والتنوين إلى قسمين: الأول أحكام مع الغنة والثاني أحكام بدون غنة.

**القسم الأول: أحكام النون الساكنة مع الغنة**

وهذه تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إخفاء، إقلاب، الادغام بغنة.

أ- وحروف الاخفاء: ص – ذ – ث – ج – ش – ق – س – ك – ض – ظ – ز – ت – د – ط – ف. وهذه الحروف يجب فيها الاخفاء إذا جاءت بعد النون الساكنة أو التنوين مثل قوله تعالى: ﴿ **أَنْفُسَكُم** ﴾[1] وهذه في كلمة واحد، وفي كلمتين قوله تعالى: ﴿ **مِّنْ دُونِ اللهِ** ﴾[2]. وكذلك في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ **أَنْتُم** ﴾[3]، وفي كلمتين قوله تعالى: ﴿ **مِنْ تَحتِهَا** ﴾[4]، فهذه أمثلة من كلمة واحدة ومن كلمتين بعد النون الساكنة.

ب- الاقلاب فيكون في حرف الباء إذا جاء بعد النون الساكنة والتنوين، وهذا نقلب فيه النون الساكنة أو التنوين إلى ميم ولكن بغنة ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **مِنۢ بَعدِ** ﴾[5] وكذلك مجيء الباء بعد التنوين في قوله تعالى: ﴿ **رَسُولٌۢ بِمَا** ﴾[6].

---

(١) البقرة، ٤٤.

(٢) البقرة، ٢٣.

(٣) البقرة، ٨٥.

(٤) البقرة، ٢٥.

(٥) البقرة، ٢٧.

(٦) البقرة، ٨٧.

ج- الادغام بغنة فهي في أربعة حروف التي هي الياء والنون والميم والواو (ينمو) كما في قوله تعالى: ﴿ **مَنْ يَعمَل** ﴾[1] فهنا النون ساكنة والياء مفتوحة فيكون فيها الادغام بغنة، فندغم النون ونُشدّد الياء فتلغى النون ولكن تبقى بدل النون الغنة، وكذلك في التنوين قوله تعالى: ﴿ **قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾[2] فهنا الباء عليها تنوين وجاء بعد الباء الميم والتي هي من الحروف التي يجب فيها الادغام بغنة، فينقلب التنوين إلى ميم التي تُشدّد فلا يبقى من التنوين إلا الغنة ويكون هناك ادغام.

**القسم الثاني: أحكام النون الساكنة بدون الغنة**

وهذا ينقسم إلى قسمين: ادغام بدون غنة، إظهار. فالإدغام بدون غنة في اللام والراء مثل قوله تعالى: ﴿ **مِّنْ رَّبِّهِم** ﴾[3] فهنا النون ساكنة والراء شُدّدت لأنها أصبحت راء مدغمة نتيجة لإلغاء النون وادغامها وانقلابها إلى راء فهنا بدون غنة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[4] فهنا التنوين تدغم مع اللام التي تُشدّد ولكن بدون غنة.

وأما الاظهار بدون غنة فهو يكون مع حروف الحلق وهي: أ، هـ، ع، ح، غ وخ. فهذه الحروف إذا جاءت بعد النون الساكنة أو التنوين فلابد من اظهار النون الساكنة وإظهار التنوين كما في قوله تعالى: ﴿ **أَنْعَمتَ** ﴾[5] فهنا النون ساكنة وجاء بعدها أحد حروف الحلق وهي العين فنُظهر النون، وكذلك في كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ **مِنْ عَذَابٍ** ﴾[6]، وكذلك في التنوين كقوله تعالى: ﴿ **نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾[7] فهنا التنوين وجاء بعدها أحد حروف الحلق فيجب إظهار التنوين وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **عَنْـهُم** ﴾ فهنا يجب إظهار النون لأنّه جاء بعدها الهاء وهي من حروف الحلق.

---

(١) النساء، ١٢٣.

(٢) هود، ٦١.

(٣) البقرة، ٥.

(٤) البقرة، ٢.

(٥) الحمد (الفاتحة)، ٧.

(٦) المائدة، ٣٦.

(٧) القارعة، ١١.

## المبحث الثاني: المد

والمد كما مرّ علينا[1] على قسمين أصلي وهو الطبيعي الذي يكون المد فيه بمقدار حركتان، وأما الفرعي وهو غير الطبيعي الذي يزود المد فيه عن الحركتين، والكلام هنا عن المد الفرعي فهو الذي له أقسام كثيرة. وينقسم المد الفرعي إلى ما سببه الهمزة وما سببه السكون. فالمد الذي سببه الهمزة ينقسم إلى قسمين: متصل ومنفصل.

### المد الفرعي الذي سببه الهمزة

فالمتصل يُمد أربع إلى خمس حركات كقوله تعالى: ﴿ **جَآءَ** ﴾[2]، وهو متصل وليس منفصل أي أنّه ليس من كلمتين وإنما كلمة واحدة مثل «بطيّء» ومثل قوله تعالى: ﴿ **وَجِاْيّءَ** ﴾[3]. وأما المنفصل أي في كلمتين كقوله تعالى: ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[4].

### المد الفرعي الذي سببه السكون

وينقسم هذا إلى ثلاثة أقسام: عارض للسكون وأحد حروف اللين وسكون لازم. العارض للسكون يُمد ما بين اثنتين أو أربع أو ست حركات مثل ﴿ **الرَّحِيمْ** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم** ﴾ فالأصل في الميم الكسر ولكن جاء السكون عارضاً على الميم لأنّه وقفنا عليها لأنّه لو أردنا أن نكمل فنقول ﴿ **بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾[5].

القسم الثاني: إذا كان حرفاً من حروف اللين فيُمدّ أيضاً ما بين اثنين أو أربع أو ست حركات كقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ** ﴾[6] فكلمة ﴿ **الْبَيْتِ** ﴾ نمدّ فيها الياء.

---

(١) راجع الفصل الخامس: المد والقصر، ص ٢٢١ – ٢٢٤.

(٢) النساء، ٤٣.

(٣) الزمر، ٦٩.

(٤) البقرة، ١٠٤.

(٥) الحمد (الفاتحة)، ١ و٢.

(٦) قريش، ٣.

القسم الثالث: سكون لازم وهو بدوره ينقسم إلى قسمين: لازم كلمي ولازم حرفي. واللازم الكلمي ينقسم إلى قسمين: مثقل ومخفّف. واللازم الحرفي أيضاً ينقسم إلى قسمين: مثقل ومخفّف. وفي جميع الحالات يكون المد فيه بمقدار ست حركات.

فاللازم الكلمي المثقل مثل قوله تعالى: ﴿ **الحَآقَّةُ** ﴾[1] في كلمة واحدة، والمخفّف مثل قوله تعالى: ﴿ **آلآنَ** ﴾[2]. واللازم الحرفي المثقل كقوله تعالى: ﴿ **ألٓمٓ** ﴾[3]، والمخفّف مثل قوله تعالى: ﴿ **صٓ** ﴾[4].

---

(١) الحاقة، ١.

(٢) يونس، ٩١.

(٣) البقرة، ١.

(٤) ص، ١.

# الفصل العاشر: حروف القلقلة

هناك حروف القلقلة الخمسة التي نُقلقل فيها الحرف بمعنى نظهر نبرة للصوت حال النطق هذه الحروف هي: القاف – الطاء – الباء – الجيم – الدال.

والقلقلة تنقسم إلى قسمين: قلقلة صغرى وقلقلة كبرى. فالصغرى عندما يأتي حرف القلقلة ساكناً في أثناء الكلمة كقوله تعالى: ﴿ **يَجْعَلُونَ** ﴾[١] فهنا الجيم لابد أن نُقلقلها أو قوله تعالى: ﴿ **يَدْخُلُونَ** ﴾[٢] أو قوله تعالى: ﴿ **الأَبْتَر** ﴾[٣] فهنا الباء يجب أن تُقلقل. هذه صور إذا كان أحد حروف القلقلة ساكناً.

وأما القلقلة الكبرى فعندما يأتي أحد حروف القلقلة ساكناً ولكن في آخر الكلمة عندما نقف عليها فمثلاً:

حرف القاف في ﴿ **الفَلَق** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ** ﴾[٤].

حرف الطاء في ﴿ **مُّحِيط** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ** ﴾[٥].

حرف الباء في ﴿ **وَقَب** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾[٦].

حرف الجيم في ﴿ **أَزوَاج** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **وَآخَرُ مِن شَكلِهِ أَزوَاجٌ** ﴾[٧].

حرف الدال في ﴿ **أَحَد** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ** ﴾[٨].

وبهذا ينتهي موضوع علم الأصوات وتجويد اللغة وكذلك تجويد القرآن الكريم.

---

(١) البقرة، ١٩.

(٢) النساء، ١٢٤.

(٣) الكوثر، ٣.

(٤) الفلق، ١.

(٥) البروج، ٢٠.

(٦) الفلق، ٣.

(٧) ص، ٥٨.

(٨) الإخلاص (التوحيد)، ١.

# المصادر والمراجع


١- القرآن الكريم

٢- ابن الجرزي، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف: شرح طيبة النشر في القراءات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.

٤- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، ط١، قم، ١٩٩٩م.

٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، دار سركين للطباعة والنشر، إستانبول – تركيا.

٦- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف في شرح التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، ط١، دار إحياء التراث القديم، القاهرة ١٩٥٤.

٧- ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الاعراب، تحقيق حسن الهنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق ١٩٩٣.

٨- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٩- أنيس، د. إبراهيم: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، ط٢، القاهرة ١٩٥٠.

١٠- الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، تدقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١١- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: اللامات، تحقيق مازن مبارك، دار الفكر، دمشق.

١٢- السعران، محمود: علم اللغة، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة ١٩٩٧.

١٣- سيبويه، أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني – القاهرة، ١٩٩٢م.

١٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الاتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ١٩٩٩م.

١٥- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

١٦- فندريس، جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠.

١٧- القاضي ابن خلكان، العباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، ط١، دار صادر بيروت ١٩٧٢.

١٨- كانتينو، جان: دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، ط١، الجامعة التونسية، ١٩٦٦.

١٩- المصري، محمود بن علي بسّه: العميد في علم التجويد، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، ط١، دار العقيدة، الإسكندرية ٢٠٠٤م.

٢٠- نصر، عطية قابل: غاية المريد في علم التجويد، ط٤، القاهرة، ١٩٩٤.

٢١- النعيمي، د. حسام سعيد: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ط١، دار الرشيد، العراق ١٩٨٠.

٢٢- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، مكتبة الارشاد، ط١، ١٩٩٠م.